

جامعة مؤته

عمادة الدراسات العليا

بدر الجمالي وتأثيره في أحوال الدولة الفاطمية السياسية والاقتصادية

إعداد الطالب

سفيان سالم العلياني الحجايا

إشراف

الدكتور محمد حسين المحاسنة

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في التاريخ قسم التاريخ

جامعة مؤتة، 2005

بسم الله الرحمن الرحيم



MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

إجازة رسالة جامعية

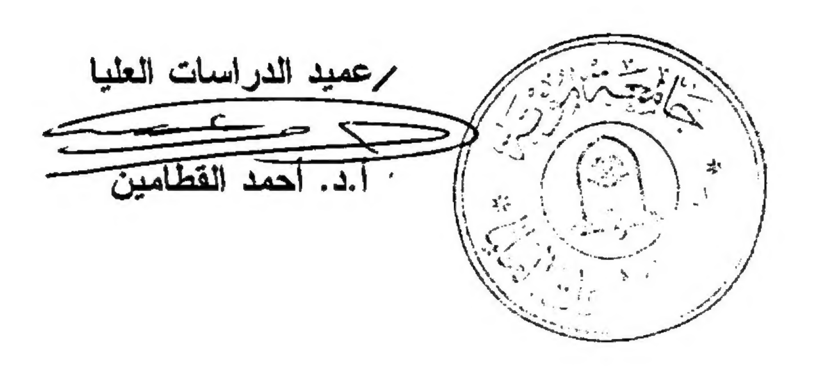
تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب سفيان سالم العلياني الموسومة بـــ:

بدر الجمالي وتأثيره في أحوال الدولة الفاطمية السياسية والاقتصادية

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **التاريخ.**

القسم: التاريخ.

	التوقيع	التاريخ	
د. محمد المحاسنة		2006/1/17	مشرفاً ورئيسا
أ.د. سليمان الخرابشة		2006/1/17	عضواً
أ.د. حسين الكساسبة		2006/1/17	عضواً
د. عبدالكريم حتاملة		2006/1/17	عضواً



عميد الدراسات العليا

أ.د. أحمد القطامين

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهــداء

إلى ست الحبايب، إلى نبع الحنان الذي لا ينضب، إلــى التــي سهـــرت علـــــي الليالي الطوال، إلى التي حملت القنديــل الــذي أنار لي درب العلــم الطويل، **إلى أمي الحنونة.**

وإلى الذي لم يبخل علـــي بدعمه المادي والمعنوي، إلى من لولا جهوده مــا كان لهذه الرسالة أن ترى النور، إلى الذي سكب في مسمعي أحلى الكلمات وأعذبها، **إلى والدي العزيز.**

وإلى إخواني وأخواتي، أهدي أول ثمرة من ثمرات البحث العلمي.

سفيان سالم العلياني الحجايا

الشكر والتقديـــر

بداية أحمد الله تعالى على النعمة التي أنعم بها علي والتي لو لهجت الألـسنة أبد الدهر بشكر وأحد منها ما أدت حقها، فشكراً لك ربي وحمداً يليق بجلال وجهـك وعظيم سلطانك.

أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي الدكتور محمد حسين المحاسـنة الذي أشرف على هذه الدراسة ومنحني من جهده ووقته الـشيء الكثيـر، وأمـدّني بنصائحه وعلمه، وفتح لي مكتبه وبيته، والذي دونه ما كان لهذه الدراسة أن تغـدو أمراً واقعاً، أدامه الله ذخراً وسنداً لطلبة العلم، وكلله الله بموفور الـصحة والعافيـة وأنار على طريق الخير خطاه.

كما أتقدّم بالشكر والتقدير إلى أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور سليمان الخرابشة، والأستاذ الدكتور حسين الكساسبة والدكتور عبد الكريم الحتاملـة، لما بذلوه من اهتمام كبير في سبيل إخراج هذه الدراسة بالشكل المطلوب ولجهودهم الطيبة في إنارة طريقنا بالعلم والمعرفة.

وأخيراً يسرني أن أسجل عميق شكري وامتناني إلى جميع أساتذة قسم التاريخ في جامعة مؤتة، وإلى زملائي في مركز محافظة الكرك، وإلى كل من مدّ لـي يـد العون والمساعدة والدعاء .

سفيان سالم العلياني الحجايا

فهـرس المحتويـات

الموضــــــوع	الصفحة
الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
فهرس المحتويات	ج
قائمة الملاحق	و
الرموز والمختصرات	ز
الملخص باللغة العربية	ح
الملخص باللغة الإنجليزية	ط
الفصل الأول: بدر الجمالي نشأته وحياته	**1**
1.1 المقدمة	1
2.1 عرض لأهم مصادر ومراجع الدراسة	4
3.1 اسمه ولقبه	12
4.1 مولده	13
5.1 نشأته	14
6.1 صفاته	19
7.1 أولاده	23
8.1 وفاته	26
الفصل الثاني: أحوال الدولة الفاطمية في عهد المستنصر بالله حتى عام 450 هـ/1058م.	**30**
1.2 المستنصر بالله	30
1.1.2 اسمه ولقبه	30
2.1.2 نشأته وحياته	31
3.1.2 صفاته وأخلاقه	33
4.1.2 أولاده	34

5.1.2 وفاته	35
2.2 الأوضاع الداخلية	36
3.2 الأوضاع السياسية في بلاد الشام	48
4.2 إقامة الدعوة الفاطمية في العراق	58
5.2 تمرّد المعز بن باديس	67
6.2 ظهور الدعوة في بلاد اليمن	72
الفصل الثالث: أحوال الدولة الفاطمية قبيل تولي بدر الجمالي الوزارة (الشدة العظمى)	**80**
1.3 أحوال مصر قبيل حدوث الشدة العظمى	80
2.3 الشدة العظمى	83
1.2.3 أسبابها	83
2.2.3 مظاهرها	103
الفصل الرابع : ظهور بدر الجمالي ودخوله مصرة	**109**
1.4 تولي بدر الجمالي ولاية دمشق	109
2.4 عودة بدر الجمالي إلى مصر وتولية الوزارة	117
3.4 القضاء على الفوضى	124
1.3.4 تجميد صلاحيات المستنصر بالله	125
2.3.4 إلغاء صلاحيات أمّ المستنصر بالله	125
3.3.4 القضاء على الأطراف المتنازعة داخل الدولة	125
4.4 الإصلاحات التي قام بها بدر الجمالي	131
1.4.4 الإصلاحات الزراعية	131
2.4.4 الإصلاحات التجارية	135
3.4.4 الإصلاحات الإدارية	136
4.4.4 إصلاح الحركة العلمية	138
5.4.4 أعماله العمرانية	138
5.4 نتائج الإصلاحات التي قام بها بدر الجمالي	143

الفصل الخامس : سياسة بدر الجمالي العسكرية وأعماله 149
1.5 أعمال بدر الجمالي العسكرية 149
1.1.5 حملة أتسز على مصر 149
2.1.5 حملات بدر الجمالي على بلاد الشام 154
2.5 تأثيره في أوضاع الدولة الفاطمية السياسية بعد وفاته 159
3.5 الخاتمة 161
المراجع 164
الملاحق 175

قائمة الملاحق

رمز الملحق	عنوان الملحق	الصفحة
أ	أسماء الخلفاء الفاطميون في مصر وفترة حكمهم.	175
ب	ترتيب الوزراء في عهد المستنصر بالله قبل تولي بدر الجمالي الوزارة.	177

الرموز والمختصرات

الرمز		المختصر
ت	:	توفـــــي
هـــ	:	هجـــري
م	:	ميـــلادي
ج	:	جـــــزء
ص	:	صفحـــه
ق	:	قســــم
مج	:	مجلــــد
د . ت	:	دون تاريـــخ
ط	:	طبعـــه
د . ط	:	دون طبعـــه
د .د .ن	:	دون دار نشـــر
د .م .ن	:	دون مكان نشر

الملخّص

بدر الجمالي وتأثيره في أحوال الدولة الفاطمية السياسية والاقتصادية

سفيان سالم العلياني الحجايا

جامعة مؤته، 2005

تتناول الدراسة موضوع وزير المستنصر بالله بدر الجمالي وتأثيره في أحوال الدولة الفاطمية السياسية والاقتصادية، حيث كانت الدولة الفاطمية حين اعتلى عرشها الخليفة المستنصر بالله الفاطمي قد استقرت تماماً، واتسعت اتساعاً هائلاً، بيد أن وقوعها في أيدي المغامرين والطامحين أدى إلى اشتعال الفتن والثورات بين فرق الجيش، والتنافس على الجاه والسلطان، مما جعل أحوال البلاد تسوء بسرعة ويعمها الفوضى والاضطراب ويحل بها الخراب .

ولم يكن أمام الخليفة المستنصر بالله للخروج من هذه الأزمة سوى الاستعانة بقوة عسكرية قادرة على فرض النظام، فاستنجد بواليه على عكا بدر الجمالي وولاه منصب الوزارة، فعمل بدر على التخلص من قادة الفتنة ودعاة الثورة، وبدأ في إعادة النظام إلى الدولة الفاطمية، وعمل على تنظيم شؤون الدولة وإنعاش اقتصادها، وإعادة بنائها، وأصبحت الأمور كلها في قبضته، حيث بدأ عصراً جديداً في تاريخ الدولة الفاطمية في مصر، تحكم فيه وزراء أرباب السيوف، وهو ما اصطلح عليه بعصر نفوذ الوزراء.

وتتكون الدراسة من خمسة فصول إضافة إلى مقدمه وقائمه للمصادر والمراجع، وتناول الفصل الأول التعريف ببدر الجمالي، أما الفصل الثاني فتناول أحوال الدولة الفاطمية في عهد المستنصر بالله حتى عام 450 هـ/1058م، وبحث الفصل الثالث أحوال الدولة الفاطمية قبيل حدوث الشدة العظمى ودراسة تفصيلية للشدة العظمى، أما الفصل الرابع فتحدث عن ظهور بدر الجمالي على الساحة السياسية من خلال توليه إمارة دمشق ودخوله إلى الديار المصرية بناءً على طلب المستنصر بالله وتوليته شؤون الوزارة وقضائه على الفوضى، وتناول الفصل الخامس من هذه الدراسة سياسة بدر الجمالي العسكرية بعد توليه شؤون الوزارة في مصر، وأبرز أعماله العمرانية.

Abstract

Badr Al-Jamali & His Influence on the Political and Economical Conditions of the Fatimal State

Sofyan Salem Alolayani Al-Hajaya

Mu'tah University, 2005

This study deals with the topic of Almostancer Bellah's vizier Badr Al-Jamal and his influence on the political and economical conditions of the Fatimal state, when the Fatimal state was quite stable, and extended extremely at the time that the Fatimal caliph Almostancer Bellah succeed the throne. But being in the hands of the ambitious adventures led to the inflammation of riots and revolutions among the army squads, the competition for authority and glory, which worsen the conditions of the country by confusion, disturbance and destruction.

The Caliph Almostancer had no choice to overcome this crisis but asking a military force that could impose discipline, he called upon his governor (the Wally) of Akko (Acre) Badr Al-Jamali and assigned him as Vizier, who in his turn worked on getting rid of the riot and revolution leaders, he could gain control for the Fatimal State again, then he worked on organizing the State' affairs, refreshing its economic and rebuilding it, and all the power and control fell in his grip.

Afterward, another new stage started in the Fatimal state history in Egypt, where the viziers of swords rule at that time which is known as the stage of Viziers domination.

The study comprise five chapters in addition to introduction and reference and sources list. The first chapter deal with introducing Badr Al-Jamali, the second chapter introduced the situations of the Fatimal state in the region of Almostanser Bellah until 450 A.H-/1058 A.D, the third chapter investigated the Fatimal state conditions before the occurrence of the great distress, and a detailed study of the great distress.

The fourth chapter introduced the appearance of Badr Al-Jamali on the political stage through his rule to Damascus emirate, his entrance into the Egyptian country upon the request of Almostancer Bellah and his assignment of the ministry or vizarah, and imposing discipline. The fifth chapter of this study dealt with Badr Al-Jamal military policy after his assignment as a vizier in Egypt and the most important of his architectural works.

الفصل الأول

بدر الجمالي نشأته وحياته

1.1 المقدّمة:

تتناول الدراسة موضوع وزير المستنصر بالله بدر الجمالي وتأثيره في أحوال الدولة الفاطمية السياسية والاقتصادية، فقد كانت الدولة الفاطمية في بداية حكم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي قد استقرت واتسعت بشكل كبير، وبلغت دعوتها الإسماعيلية أقصى مدى لها في الذيوع والانتشار، وامتلأت خزائنها بالأموال، غير أن وقوعها في أيدي المغامرين والطامحين، واشتعال الفتن والثورات بين فرق الجيش، والتنافس على الجاه والسلطان أضاع منها الشيء الكثير، وتراجعت الدولة التي كانت تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى نهر الفرات شرقاً ليقتصر سلطانها على مصر[1].

وبعد أن كانت ترفل في غناها وثرائها وكثرة خيراتها أصبح يعلوها الذبول والشحوب بفعل المجاعات التي أصابتها، وهذا التحول من السعة إلى الضيق، ومن الغنى إلى الفقر،هو ما شهده عصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وبعد وفاة الوزير القوي أبي القاسم الجرجرائي بدأت أمّ الخليفة المستنصر بالله تتدخل في شؤون الدولة، وصار لها الكلمة الأولى في تعيين الوزراء، وفي إدارة الدولة، وأسفر تدخلها في شؤون الحكم عن إنكاء نار العداوة والفتنة بين طوائف الجيش، فاشتعلت المنازعات والمعارك بينهم، ولم تجد أمّ الخليفة وزيراً قوياً بعد عزل أبو محمد الحسن اليازوري سنة450 هـ/ 1058م يمسك بزمام الأمور ويسوس الجند، وهو ما جعل أحوال البلاد تسوء بسرعة وتعمها الفوضى والاضطراب ويحل بها الخراب[2].

1- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت 681هـ /1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت – لبنان 1997م، ج 5، ص230، وسيشار إليه فيما بعد ابن خلكان، وفيات الأعيان .

2 – سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر أبو يوسف قزاوغلي (ت 654هـ /1256م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق جنان جليل الهماوندي، الدار الوطنية، (د.ط)، بغداد(1990م)، ج 12، ص191، 196، وسيشار إليه فيما بعد سبط بن الجوزي، مرآة الزمان .

ولم يكن أمام الخليفة المستنصر بالله للخروج من هذه الأزمة العاتية سوى الاستعانة بقوة عسكرية قادرة على فرض النظام، وإعادة الهدوء والاستقرار إلى الدولة التي مزقتها الفتن وثورات الجند، وإنهاء حالة الفوضى التي عمت البلاد، فاتصل ببدر الجمالي واليه على عكا، وطلب منه القدوم لإصلاح حال البلاد، فأجابه إلى ذلك، وما أن حل بدر الجمالي بمدينة القاهرة حتى تخلص من قادة الفتنة ودعاة الثورة، وبدأ في إعادة النظام إلى القاهرة وفرض الأمن والسكينة في ربوعها، وامتدت يده إلى بقية أقاليم مصر فأعاد إليها الهدوء والاستقرار، وضرب على يد العابثين والخارجين، وبسط نفوذ الخليفة في أرجاء البلاد جميعها[1].

وفي الوقت نفسه عمل على تنظيم شؤون الدولة وإنعاش اقتصادها، فشجع الفلاحين على الزراعة برفع الأعباء المالية عنهم، وأصلح لهم الترع والجسور، وأدى انتظام النظام الزراعي إلى كثرة الحبوب، وتراجع الأسعار، وكان لاستتباب الأمن دور في تنشيط حركة التجارة في مصر، وتوافد التجار عليها من كل مكان.

كما اتجه بدر الجمالي إلى تعمير القاهرة وإصلاح ما تهدم منها، فأعاد بناء أسوار القاهرة وبنى بها ثلاثة أبواب تعد من أروع آثار الفاطميين، ولم يكن للوزير بدر الجمالي أن يقوم بهذه الإصلاحات المالية والإدارية دون أن يكون مطلق اليد، مفوضاً من الخليفة المستنصر بالله، حيث استبد بدر الجمالي بالأمر دون الخليفة، وأصبحت الأمور كلها في قبضة الوزير القوي، الذي بدأ عصراً جديداً في تاريخ الدولة الفاطمية في مصر، تحكم فيه الوزراء أرباب السيوف، وهو ما اصطلح عليه بعصر نفوذ الوزراء.

وبلغت سطوة بدر الجمالي أن عهد بالوزارة لابنه الأفضل الذي كان يشاركه في أعمال الوزارة، فلما توفي بدر سنة 487هـ / 1094م خلفه ابنه في الوزارة،

---

[1] – ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ /1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، (د.ط)، القاهرة 1995م، ج16، ص118، وسيشار إليه فيما بعد ابن الجوزي، المنتظم ؛ ابن كثير، أبو الفداء الحافظ (ت 774هـ/ م)، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وأخرون، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت 1987م، ج12، ص106، وسيشار إليه فيما بعد ابن كثير، البداية والنهاية .

وأقره الخليفة على منصبه، ثم لم يلبث أن توفي المستنصر بالله بعد ذلك بشهور في سنة 487هـ/ 1094م .

وتأتي هذه الدراسة في محاولة لإلقاء الضوء على الأعمال الإصلاحية التي قام بها بدر الجمالي بعد توليه وزارة السيف والقلم والتي أدت إلى النهوض بالدولة في كل المجالات، وإنقاذها من الانحطاط الذي وصلت إليه من خلال دراسة الدور الذي قام به بدر الجمالي في الحياة السياسية والاقتصادية في الدولة الفاطمية قياساً بما كانت عليه قبيل توليه شؤون الوزارة في مصر.

وتتكون الدراسة من خمسة فصول تسبقها مقدمة وتحليل لأهم المصادر والمراجع،وتتبعها خاتمه وقائمة بالمصادر والمراجع،حيث تناول الفصل الأول التعريف ببدر الجمالي من خلال ذكر اسمه وألقابه ومولده ونشأته وصفاته وأولاده ووفاته .

وتناول الفصل الثاني أحوال الدولة الفاطمية في عهد المستنصر بالله حتى عام 450 هـ/1058م، واشتمل على التعريف بالخليفة الفاطمي المستنصر بالله وذكر اسمه ولقبه وحياته وأبرز صفاته وأولاده، بينما تطرق الفصل الثاني إلى الأوضاع الداخلية في مصر والأوضاع السياسية في بلاد الشام وإقامة الدعوة الفاطمية في العراق وتمرد المعز بن باديس في افريقيا وظهور الدعوة في بلاد اليمن .

أما الفصل الثالث فقد اشتمل على دراسة أحوال الدولة الفاطمية قبيل حدوث الشدة العظمى ودراسة تفصيلية للشدة العظمى التي بدأت في سنة 450هـ/1058م واستمرت لغاية سنة 466هـ /1073م، وكانت ذروتها خلال الفترة الواقعة ما بين 457 -464هـ/1064 -1071م حيث استمرت سبع سنوات، وذلك من خلال بيان أسبابها التي تجلت في ضعف الخلافة الفاطمية، وسيطرة رجال الدولة المتنفذين بشؤون الحكم، ونقص مياه النيل، وتوقف الفلاحين عن العمل بالزراعة، وفساد العربان، واعتدائهم على الدولة، وعدم توفر الأمن في البلاد، وبيان ومظاهرها التي اتسمت بحدوث أزمة اقتصادية وتردي في الأحوال الاجتماعية وانتشار الأمراض والأوبئة، والمجاعات، وقلة الإنتاج الزراعي، والجفاف، وخراب الأراضي الزراعية، والارتفاع الكبير في الأسعار، وضعف التجارة، وانتشار

الاحتكار، وانعدام الأمن وظهور أعمال القتل والسلب، وتعطل دواوين الدولة، وبيع الثياب والتحف والهدايا الثمينة التي كانت في قصر المستنصر بالله بأبخس ثمن لشدة الحاجة.

وجاء الفصل الرابع ليتحدث عن ظهور بدر الجمالي على الساحة السياسية من خلال توليه إمارة دمشق ودخوله إلى الديار المصرية بناءً على طلب الخليفة المستنصر بالله وتوليته شؤون الوزارة، وقضائه على الفوضى حيث شرع منذ قدومه إلى مصر بمعالجة الأحوال الاقتصادية السيئة التي عمت البلاد عن طريق معالجة أسبابها، فقد عمل على تجميد صلاحيات المستنصر بالله وإلغاء صلاحيات أمه التي تمثلت بإلغاء ديوان أمّ المستنصر بالله، والقضاء على الطوائف المتنازعة داخل الدولة وتوطيد الأمن، كما قام بإصلاح الاقتصاد الفاطمي عن طريق اصلاح قطاع الزراعة والتجارة وإصلاح الحركة العلمية، ثم تناول الأعمال العمرانية التي قام بها بدر الجمالي في مصر، وينتهي هذا الفصل بنتائج الإصلاحات التي قام بها بدر الجمالي على كافة قطاعات الدولة الفاطمية.

وتناول الفصل الخامس من هذه الدراسة سياسة بدر الجمالي العسكرية بعد توليه شؤون الوزارة في مصر، واشتمل على البحث في حملة القائد التركي أتسز بن أوق الخوارزمي على مصر، والجهود التي بذلها بدر الجمالي لصد هذه الحملة، كما تناول الحملات التي قام بها بدر على بلاد الشام لاستعادة النفوذ الفاطمي فيها والذي بدأ يتلاشى بسبب الفوضى والاضطراب على الساحة الفاطمية وأحداث الشدة العظمى، وينتهي بمدى تأثيره في أوضاع الدولة الفاطمية السياسية بعد وفاته.

2.1 عرض لأهم مصادر الدراسة :

بالرغم من أن بعض المصادر التي اعتمدت عليها جاءت متأخرة عن فترة الدراسة إلا أنها لا تقل أهمية عن المصادر المعاصرة لفترة الدراسة، وذلك لما ورد بها من أحداث لم تصل إلينا عن طريق المصادر المعاصرة لفترة الدراسة، وبعض المصادر التي كان مؤلفوها أما موظفين في دواوين الدولة أو عبارة عن مذكّرات يومية تعتمد على التسلسل الزمني للأحداث .

فابن الصيرفي، أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب (ت 542هـ / 1147م)، صاحب كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة[1]، كان يعمل كاتبا في ديوان الرسائل، ويعد كتابه هذا أول كتاب تم تأليفه عن الوزراء الفاطميين في مصر، حيث بدأه بذكر الوزير ابن كلس أول وزراء الدولة الفاطمية في مصر وانتهى بالوزير المأمون البطائحي (ت 519هـ / 1125م)[2]، وقد أفاد هذا الكتاب الدراسة من خلال ذكره عدد من الشخصيات التي عملت في منصب الوزارة خلال فترة حكم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، من حيث ذكر سنة توليهم منصب الوزارة وسنة عزلهم وألقابهم وأبرز صفاتهم ومدى صلاحياتهم، وتطرق أيضاً إلى الأحداث التي عاصروها[3].

أما المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر البعلي العبيدي (ت 845هـ / 1441م)، ولد ونشأ في مدينة القاهرة واصله كان من حارة المقارزة في مدينة بعلبك وإليها نسب، وكان أبو العباس المقريزي ينسب نفسه إلى البيت الفاطمي ومن هنا تظهر كلمة العبيدي في اسمه[4]، درس في الجامع الأزهر وتخصص في دراسة الفقه والحديث والأدب، عمل في وظيفة الواعظ في المساجد ثم ولي الحسبة[5].

لقد استفادت الدراسة من مؤلفات المقريزي وبخاصة كتابه اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا[6]، المختص بتاريخ الدولة الفاطمية الذي يعتمد على

---

[1] – تحقيق عبد الله مخلص، المعهد العلمي الفرنسي، (د.ط)، القاهرة (1924م)، وسيشار إليه فيما بعد ابن الصيرفي، الإشارة .

[2] – عنان، محمد عبد الله، مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (ط1)، القاهرة 1969م، ص 124 – 128، وسيشار إليه فيما بعد عنان، مؤرخو مصر .

[3] - ابن الصيرفي، الإشارة، ص 55 .

[4] – السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ / 1497)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع الهجري، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، م 1، ج 2، ص 21، وسيشار إليه فيما بعد السخاوي،الضوء اللامع .

[5] – عنان، مؤرخو مصر، ص 87 – 89 .

[6] – تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2001م، وسيشار إليه فيما بعد المقريزي، اتعاظ الحنفا .

التسلسل الزمني في ذكر الأحداث، مؤرخة باليوم والشهر والسنة، وقد أغنى الدراسة بالكثير من المعلومات والأحداث المهمة التي جرت قبيل تولي بدر الجمالي شؤون الوزارة وخلال توليه هذا المنصب [1].

كما استفادت هذه الدراسة من كتابه المقفى الكبير[2] الذي ذكر فيه تراجم الخلفاء والوزراء والقضاة والقادة والعلماء الفاطميين، فتناول خلالها أسماءهم وأرزاقهم وألقابهم وديانتهم ومذاهبهم وصلاحياتهم[3] .

أما كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية[4]، فقد تحدث فيه عن مدينة القاهرة وخططها القديمة من الشوارع والأحياء والمساجد والقصور والأسواق والمدارس والخزائن والأعياد والاحتفالات التي كانت تشهدها مدينة القاهرة مبيناً مدى مشاركة الوزراء فيها وصلاحياتهم [5].

أما أبن ميسر، تاج الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف بن جلسب بن غيسان (ت 677هـ /1276م)[6] كتابه أخبار مصر، الذي لم يصل إلينا منه إلا جزءٌ وأحدٌ في صورة مختصرة أتمها المقريزي سنة 814هـ / 1411م وهو الجزء الثاني المسمى (المنتقى من أخبار مصر)[7] الذي اعتمد به على التسلسل الزمني للأحداث، وابتداء فيه ابن ميسر بحوادث سنة 439هـ /1047م في عهد خلافة المستنصر بالله وينتهي بحوادث سنة 553هـ /1158م في عهد خلافة الفائز بنصر

---

[1] – اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 147 .

[2] – المقفى الكبير، ط 1، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط 1بيروت – لبنان (1991م)، وسيشار إليه فيما بعد المقريزي، المقفى الكبير .

[3]- المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 101 .

[4] – تحقيق خليل منصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت – لبنان (1998م)، وسيشار إليه فيما بعد المقريزي، الخطط المقريزية .

[5] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 101 .

[6]– المقريزي، المقفى الكبير، ج 6، ص 395 .

[7] – المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (د.ط)، القاهرة 1981م، وسيشار إليه فيما بعد ابن ميسر، المنتقى .

الله، ويعد من الكتب المتخصصة بتاريخ مصر خلال حكم الدولة الفاطمية وقد أفاد الدراسة في الكثير من الجوانب[1] .

وتأتي السجلات المستنصرية، سجلات وتوقيعات وكتب المستنصر بالله[2]على درجة كبيرة من الأهمية في المعلومات التي قدمتها للدراسة؛ وقد عثر على هذه السجلات في الهند السيد حسين الهمداني عند أحد الإسماعيلية وأهداها إلى مكتبة الدراسات الشرقية في لندن، وتعد مصدراً تاريخياً مهماً يشتمل على وثائق وسجلات صادره من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله إلى ملوك الصليحين في اليمن، وقد أفادت هذه السجلات الدراسة في بيان الظروف السياسية والاقتصادية التي كان يعاني منها المستنصر بالله ومساهمة بدر الجمالي بالنهوض في الدولة الفاطمية[3] .

أما كتاب رفع الاصر عن قضاة مصر[4]لابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت 852 هـ /1448م)، الذي ولد ونشأ في مصر ودرس الفقه واللغة وعلوم القرآن في مكة والقاهرة، وقام بعدة رحلات دراسية في البلاد الشامية واليمنية، وعمل في التدريس والقضاء، واعتبر قطباً من أقطاب الحديث والعلوم الدينية وقد بلغت مؤلفاته في الحديث والفقه والتفسير نحو مائة وخمسين كتاباً، وأورد في كتابه رفع الاصر سيرة قضاة مصر منذ الفتح الإسلامي ولغاية القرن التاسع الهجري(الخامس عشر الميلادي)[5]، وأفاد هذا الكتاب الدراسة بمعلومات عن القضاة قبيل بدر الجمالي،وقدم معلومات عن أخبارهم ومذاهبهم وسنة توليهم وعزلهم وأبرز الأحداث التي عاصروها[6].

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 53.

[2]– تحقيق عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي، (د.ط)، القاهرة(1954م)، وسيشار إليه فيما بعد السجلات المستنصرية .

[3] – السجلات المستنصرية، سجل رقم 15، ص 63 .

[4]– تحقيق علي محمد عمر، نشر مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة 1998م، ص، وسيشار إليه فيما بعد ابن حجر، رفع الاصر .

[5]– ابن حجر، رفع الاصر، ص 3 ؛ عنان، مؤرخو مصر، ص 105 – 111 .

[6]- ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

أما كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة[1]، لصاحبه ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي (ت 874هـ/1470م)، الذي ولد في مدينة القاهرة في عهد الملك الظاهر برقوق في سنة 812هـ / 1408م،ونشأ في حجر الإمارة وحياة الثراء[2]، الأمر الذي ساعده على تعلم القرآن والحديث والفقه والنحو والبيان، وتتلمذ على يد كبار المدرسين أمثال ابن حجر العسقلاني والمقريزي، وأقتبس من منهجهم وأسلوبهم في البحث والكتابة، ويعد كتابه موسوعة حافلة بحوادث التاريخ الإسلامي بشكل عام وتاريخ مصر خاصة مرتب على السنوات والأشهر والأيام، وأفاض في أصل الخلفاء الفاطميين وأبرز الأحداث التي شهدوها[3]، وقد أفاد الدراسة في الكثير من المعلومات القيمة خاصة في إبراز مظاهر الشدة العظمى والأعمال التي قام بها بدر الجمالي للقضاء عليها[4].

وتحدث ابن ظافر الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور بن ظافر بن حسين (ت 613هـ /1216م) صاحب كتاب أخبار الدول المنقطعة[5]، عن الدول الإسلامية ومنها الدولة الفاطمية، ضمنه الكثير من المعلومات عن خلافة المستنصر بالله وأبرز الأحداث التي جرت في عهده[6] .

---

[1] – تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت – لبنان 1992م .

[2] – كان أبوه مملوكاً رومي الجنس اشتراه الملك الظاهر وأعتقه وقربه منه لذكائه الشديد ورفعه إلى أعلى المناصب في الجيش، وفي أوائل عهد الملك الناصر ابن الملك الظاهر ثار نائب الشام وثار معه تغري بردي ولكن الملك الناصر تمكن من إخماد هذه الثورة ففر تغري الى جهة المشرق، وفي أثناء غيبته عن البلاد تزوج الملك الناصر من أبنته (أخت المؤرخ) ثم عفا عنه وأرجعه وأنعم عليه إلى أن توفي في سنة 815هـ /1411م وعمر ابنه المؤرخ جمال الدين لم يبلغ الثلاث سنوات بعد،(انظر : عنان، مؤرخو مصر، ص 115 – 122) .

[3] – عنان، مؤرخو مصر، ص 115 – 122 .

[4] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 138.

[5] – أخبار الدول المنقطعة، تحقيق عصام هزايمه وآخرون، مؤسسة حماده ودار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، أربد 1999م، وسيشار إليه فيما بعد ابن ظافر، أخبار الدول.

[6] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 224 .

أما القلقشندي، شهاب الدين بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الشافعي (ت 821هـ / 1418م) صاحب كتاب صبح الأعشى في صناعة الأنشاء[1]، تتلمذ القلقشندي في القاهرة والإسكندرية وتخصص في الأدب والفقه الشافعي وبرع في علوم اللغة والبلاغة والإنشاء، التحق بالعمل في ديوان الإنشاء في عهد السلطان الظاهر برقوق، شرع القلقشندي في تأليف كتابه هذا سنة 805هـ/1402م وانتهى منه في سنة 814هـ/1411م[2]، وقد استفدت منه الدراسة في العديد من الجوانب حيث تحدث في مقدمته عن معنى ديوان الإنشاء وتطوره ثم استعرض جغرافية ونظم الدول الإسلامية منذ ظهور الإسلام وتفصيل خاص لشؤون الديار المصرية والشامية وما يحيط بها أو يجاورها من الأمم الأخرى، ويذكر أيضاً تفصيلاً لألقاب الملوك والسلاطين وأرباب السيوف والعلماء والكتاب والقضاة، وتقليد الوزراء ومجالسهم وخلعهم وصلاحياتهم[3] .

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ /1332م)[4] صاحب كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب[5]، لقد درس النويري في الجامع الأزهر بالقاهرة، وعمل في شبابه بنسخ الكتب حيث كان يمتاز بخط جميل، ثم عمل في بلاط السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وتقلب في الكثير من الوظائف الإدارية والمالية، وبعد ذلك انقطع عن الأعمال الإدارية وتفرغ للأدب، و يعدُّ كتابه موسوعة مكونة من واحد وثلاثين جزءاً ضخماً جمعت الكثير من المواد والمعارف الأدبية والتاريخية الحافلة، وقد خصص النويري الجزء الثامن والعشرون من كتابه لأخبار الفاطميين في أفريقيا ومصر، حيث أعتمد على كتاب ابن ميسر المنتقى من أخبار مصر وكتاب ابن ظافر الأزدي أخبار الدولة المنقطعة حيث كان متفقاً معه في

---

[1] – شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان(1978م)، ج3، ص404، وسيشار إليه فيما بعد القلقشندي، صبح الأعشى .

[2] – عنان، مؤرخو مصر، ص 76 – 82 .

[3] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 404 .

[4] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 1، ص 521 .

[5] – نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد محمد أمين ومحمد حلمي محمد، مركز تحقيق التراث، (د.ط)، القاهرة 1992م، وسيشار إليه فيما بعد النويري، نهاية الأرب .

المنهج[1]، وقد أفاد الدراسة بذكره أهم الأحداث الخاصة بالوزراء في عهد الخليفة المستنصر بالله من تاريخ توليهم شؤون الوزارة إلى تاريخ عزلهم مروراً بأهم الأحداث التي عاصروها منها الشدة العظمى[2].

أما الدوداري، أبو بكر عبد الله بن أيبك، (ت 736هـ /1236م)، كنز الدرر وجامع الغرر (الجزء السادس المعروف بالدرر المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية)[3]، فقد تناول هذا الكتاب أبرز الأحداث التي شهدتها الدولة الفاطمية خاصة خلال خلافة المستنصر بالله 427 – 487هـ/ 1036 – 1094م والشدة العظمى وتولي بدر الجمالي شؤون الوزارة في مصر[4] .

وأفاد الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ /1347م) في كتبه سير أعلام النبلاء[5]، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام[6]، والعبر في خبر من غبر[7]، ودول الإسلام [8]، الدراسة في بيان تراجم الخلفاء والأمراء والقادة والعلماء والقضاة وغيرهم من رجالات الدولة البارزين في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، فتحدث الذهبي عنهم من حيث ذكر أسمائهم وألقابهم وسنة توليهم مناصبهم وسنة عزلهم عنها [9].

---

[1] – عنان، مؤرخو مصر، ص 62 – 67 .

[2] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 240 24.

[3]– تحقيق صلاح الدين المنجد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.ط)، القاهرة(1961م)، وسيشار إليه فيما بعد الدواداري، كنز الدرر .

[4]- الدواداري، كنز الدرر، ص 399.

[5]– تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، طباعة وتوزيع مؤسسة الرسالة، ط 1، (د.ت)، وسيشار إليه فيما بعد الذهبي، سير أعلام .

[6]– تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان (1994م)، وسيشار إليه فيما بعد الذهبي ، تاريخ الإسلام .

[7]– تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1985م، وسيشار إليه فيما بعد الذهبي، العبر .

[8]– تحقيق عبد الله الأنصاري، دار إحياء التراث الإسلامي، (د.ط)، قطر (د.ت)، وسيشار إليه فيما بعد الذهبي، دول الإسلام .

[9] – الذهبي، سير أعلام، ص81 ؛ العبر، ج 2، ص 357 ؛ دول الإسلام، ج 1، ص 8 .

أما ابرز المصادر الجغرافية التي افادت الدراسة كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار[1] لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت 749هـ/1348م)، وهو من الآثار الإسلامية الضخمة التي تمتاز بغزارة مادتها وتنوع موضوعاتها، ولد العمري في مدينة دمشق ونشأ وتربى في مصر، تقلد ديوان الإنشاء والرسائل أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وقد برع في دراسة الجغرافيا الطبيعية والسياسية ودراسة الممالك، من حيث طبائعها وخصائصها وأحوالها وعجائبها، ولم يكتف بذلك بل درس الفلك أيضاً، وألف الكثير من الكتب المهمة ويعد كتاب مسالك الابصار من أهمها وأضخمها، وقد شرع في كتابته في سنة 730هـ/1329م، وتأثر فيه بأسلوب كتابة النويري في موسوعته نهاية الأرب في فنون الأدب وأمتاز بها بدراسة الجغرافيا التاريخية[2]، وقد أفاد هذا المصدر الدراسة بالجزء الرابع والعشرين المسمى (دوله الحسنيين والحسينيين والدولة العباسية والأموية بالشام والأندلس) حيث ألقى الضوء على أبرز الأحداث التي مرت خلال فترة حكم المستنصر بالله منها الشدة العظمى وأثارها الى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الدولة الفاطمية[3].

---

[1] - تحقيق يحيى الجبوري، المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي - الإمارات العربية 2003م .

[2] - عنان، مؤرخو مصر، ص 68 - 73 .

[3] - العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص113.

3.1 اسمه ولقبه :

هو أبو النجم[1] بدر[2] بن عبدالله[3] الجمالي[4] المستنصري[5] الأرمنـــي[6]، ولقـب بألقاب كثيرة فقد حمل لقب (الأمير الوزير)[7]بعد أن تولى الوزارة للخليفة الفـاطمي

[1]- ابن الصيرفي، الإشارة، ص 55 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ص 399؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ/ 1362م)، كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق جاكلين سوبله وعلي عمـاره، دار النـشر فرانـز شتايز، ط1، شتوتغارت – ألمانيا (د.ت)، ص 95، وسيشار إليه فيما بعـد الـصفدي، الـوافي بالوفيـات ؛المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 394 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 101 ؛ ابن حجـر، رفع الاصر، ص 91 ؛ الشهابي، قتيبه، معجم ألقاب أرباب السلطان في الـدول الإسـلامية مـن العـصر الرشيدي حتى بديات القرن العشرين، منشورات وزارة الثقافة السورية، (د.ط)، دمشق (1995م)، ص 24، وسيشار إليه فيما بعد الشهابي، معجم ألقاب.

[2] – ابن الصيرفي، الإشارة، ج 3، ص 55 ؛ ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 224 ؛ابن ميسر،المنتقى، ص 53؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 240 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 439، 399؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تحقيق أحسان بنـت سـعيد الخلوصـي وزهير حميدان الصمام، منشورات وزارة الثقافة السورية، دار إحياء التراث، (د.ط)، دمشق(1992م)، ج2، ص46، وسيشار إليه فيما بعد الصفدي، تحفة ذوي الألباب ؛ الصفدي، الوافي بالوفيـات، ص 95 ؛ ابـن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 185 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص101، 233 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 138؛ الشهابي، معجم ألقاب، ص 24.

[3] – الذهبي، سير أعلام،ج2، ص81 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 46.

[4] – ابن الصيرفي، القانون، ص 94 ؛ ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 224 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 53 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 240 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 439، 399؛ الذهبي، سير أعلام، ص 81 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 185 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ص 394، 395؛ الخطط المقريزية، ج2، ص101، 233 ؛ اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 147 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 138 ؛ الشهابي، معجم ألقاب، ص 24 ؛ المناوي، الـوزارة والوزراء، ص 67 .

[5] – ابن الصيرفي، الإشارة، ج 3، ص 55 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 399 .

[6] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 224 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 240 ؛ الـدواداري، كنـز الدرر، ج 6، 372 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 394 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 138 .

[7] - الذهبي، سير أعلام، ص 81 .

المستنصر بالله كما لقب (بالسيد الأجل)[1]، (أمير الجيوش)[2]حيث تولى قيادة الجيوش الفاطمية في بلاد الشام .

وبعد أن استدعاه الخليفة المستنصر بالله لتولي منصب الوزارة والمساهمة في مواجهة الأزمات التي كانت تعصف بالدولة أغدق عليه ألقاباً كثيرة فلقب (بسيف الإسلام ناصر الإمام[3]،كافل أمير المؤمنين[4]وقضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين[5]، تاج الأمراء وثقة الدولة، شرف الملك وعدة الإمام[6]، مقدم الجيوش المظفر، عضد الله به الدين)[7].

4.1 مولده :

لم تذكر المصادر التاريخية التي تم الرجوع إليها شيئاً عن تاريخ ومكان ولادته بشكل مباشر وإنما نستطيع أن نقدر تاريخ ولادته من عمره عند وفاته حيث

---

1 – السجلات المستنصرية، سجل رقم 15، ص 63؛ ابن الصيرفي، الإشارة، ص 94 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 399 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 395 ؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 67 .

2 – السجلات المستنصرية، سجل رقم 15، ص 63 ؛ ابن الصيرفي، الإشارة، ص 94 ؛ ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 224؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 399 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ص 95 ؛ تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 46 ؛ = المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص 394، 395؛ اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 147 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 138 ؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 67 .

3 – ابن الصيرفي، الإشارة، ص 94 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ص 394، 395 ؛ الخطط المقريزية، ج2، ص 233؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 67 .

4 – ابن ميسر، المنتقى، ص 40 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 399 .

5 – السجلات المستنصرية، سجل رقم 15، ص 63 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 45 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 399 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص 394، 395؛ الخطط المقريزية، ج2، ص 233 ؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 67 .

6 – ابن القلانسي، أبو يعلى حمزه بن أسد (ت 555هـ /1160م)، ذيل تاريخ دمشق، (د.ط)، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت 1908م، ص91، وسيشار إليه فيما بعد ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ؛ الشهابي، معجم ألقاب، ص24 .

7 – السجلات المستنصرية، سجل رقم 15، ص 63 .

قيل أن عمرة حين وفاته قد ناهز الثمانين عاماً[1] وقد توفي سنة 486هـ/1093م [2] وقيل في سنة 487هـ/1094م[3] وقيل في شهر ذي القعدة من سنة 488هـ/1095م[4]، أي إنه ولد في حوالي سنة 407هـ/1016م تقريباً .

5.1 نشأته:

نشأ بدر الجمالي مملوكاً أرمني الجنس[5]، اشتراه[6] جمال الدولة أبي الحسن علي بن عمار[7] الطرابلسي[8] صاحب طرابلس الشام[9] بثلاثة عشر ديناراً[10]، وهو صغير[11] ورباه عنده[12]، فنسب إلى جمال الدولة وعرف بالجمالي[13].

---

[1] – أبو الفداء، أسماعيل بن علي بن محمود ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت 732هـ /1332م)، تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمود أيوب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1997م، ج2، ص21، وسيشار إليه فيما بعد أبو الفداء، المختصر ؛ الذهبي، سير أعلام، ج 19، ص 82 ؛ ابن الوردي، عمر بن المظفر، (ت 749هـ / 1348م)، تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، ط2، النجف 1969م، ج2، ص10، وسيشار إليه فيما بعد ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[2] – العماد الاصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت 597هـ /1200م)، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق علي الطعاني، مؤسسة حماده للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع،(د.ط)، أربد 2003م، ص315، وسيشار إليه فيما بعد العماد الاصفهاني، البستان الجامع ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 439 .

[3] – ابن الصيرفي، الإشارة، ص 97 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 10، ص 95 ؛ الشهابي، معجم ألقاب، ص24.

[4] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص229؛ الذهبي، سير أعلام، ج 19، ص 81 ؛ العبر، ج 2، ص 357 .

[5] – ابن الصيرفي، الإشارة، ص 94 ؛ الذهبي، سير أعلام، ج 19، ص 81 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 10، ص 95 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[6] – الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 10، ص 95 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[7] – ابن الصيرفي، القانون، ص94؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 53 ؛ النويري ، نهاية الأرب، ج 28، ص 240 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 10، ص 95 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91.

[8] – الذهبي، سير أعلام، ج 19، ص 81 .

[9] – ابن الصيرفي،الإشارة،ص94 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 10، ص 95 ؛أبن حجر،رفع الاصر، ص 91 .

[10] – الدواداري، كنز الدرر، ص 372 .

[11] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[12] – الذهبي، سير أعلام، ج 19، ص 81 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 10، ص 95 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[13] – ابن الصيرفي، القانون، ص 94 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 53 ؛ النويري ، نهاية الأرب، ج 28، ص 240 ؛ الذهبي، سير أعلام، ج 19، ص 81 ؛المقريزي، الخطط المقريزية،ج 2،ص 101؛أتعاظ الحنفا، ج 1، ص 147 .

وقد أثر هذا الرجل في مستقبل بدر الجمالي تأثيراً كبيراً الأمر الذي أسهم في تقلده المناصب الرفيعة في حياته إلى أن أصبح من الرجال المعدودين من ذوي الرأي وقوة العزم والشهامة[1]، وذلك نتاج التربية العسكرية التي ترباها في ظل الظروف التي نشأ بها ويوصف بأنه من أرباب السيوف، وهو بذلك أول من تولى الوزارة في الدولة الفاطمية من أرباب السيوف[2].

كان بدر الجمالي منذ الصغر جاداً في أعماله وتصرفاته فلما نشأ تنقل في الخدمة لدى البلاط الفاطمي [3] حتى عين حاجباً لوالي دمشق[4] إلى أن استأثر به الخليفة المستنصر بالله وعينه على ولاية دمشق[5] مرتين[6] كانت الأولى منها في ربيع الآخر[7] سنة 455هـ /1063م[8]، وفي هذه الولاية حدث خلاف بينه وبين جندها وأهلها، وحدثت بينهم حروب[9] أدت إلى هروبه منها، فقد خاف على نفسه ولم يتمكن

---

[1] – الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 10، ص 95 .

[2] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 402 .

[3] – ابن الصيرفي، الإشارة، ص 94؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 53 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 147 .

[4] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 448؛ الذهبي، سير أعلام، ج 19، ص 81 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 1، ص 381 .

[5] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 92 ؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، (ت 630هـ /1233م)، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان 1987م، ج 8،ص 363، وسيشار إليه فيما بعد ابن الأثير، الكامل في التاريخ ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 28 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 516 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 232 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 46 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 107 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[6] – ابن الصيرفي، الإشارة، ص 55 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 232 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 357 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 47 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 147 .

[7] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 92 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 363 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 541 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 46 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 394 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[8] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 496، 363؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 28؛ أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 541 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 357؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 516؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 46 ؛ الشهابي، معجم ألقاب، ص24.

[9] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 92 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 363 .

من البقاء في المدينة فتركها وخرج منها في الرابع عشر[1] من شهر رجب سنة 456هـ /1064م[2]،حيث أقام بها سنة وأربعة أشهر[3]، وكانت ولايته الثانية على إمارة دمشق[4] في السادس من شهر شعبان سنة 458هـ /1066م[5]، وفوض إليه فيها ولاية الشام كاملة[6]، وفي سنة 460هـ/1067م وعندما كان بدر الجمالي في مسجد القدم خارج دمشق[7] حدثت فتنة بينه وبين جيشه وأهل المدينة [8]، حيث تم خلال هذه الفتنة إحراق قصر الإمارة وجامع بني أمية[9] المعروف بجامع دمشق[10].

وعلى أثر هذه الفتنة انهزم بدر الجمالي من دمشق [11]متوجهاً إلى مصر حيث ولاه المستنصر بالله إمارة عكا[12]، فلما حدثت الشدة العظمى في الديار المصرية [13]

---

[1] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 92 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 46 .

[2] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 92 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 363 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 46 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[3] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[4] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 92 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 232 .

[5] – ابن ميسر، المنتقى، ص 30 ؛المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 109 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91.

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 30؛ أبو الفداء، المختصر،ج 1،ص 550؛النويري، نهاية الأرب،ج 28،ص 232.

[7] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[8] – ابن ميسر،المنتقى، ص 33 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 130 ؛ ابن حجر، رفع الاصر،ص 91 .

[9] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 96 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 53 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 147 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[10] – العماد الأصفهاني، البستان الجامع، ص 305 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 311 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 130 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، مطبعة المدني، (د.ط)، القاهرة 1964م، ط2، ص421، وسيشار إليه فيما بعد السيوطي، تاريخ الخلفاء .

[11] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 82 .

[12] – عكا : – هي مدينة واسعة الأرجاء كثيرة الضياع ولها مرسى مأمون وهي كثيرة القرى والضياع، و يحدها البحر من ثلاث جهات، ويتبع إليها الكثير من الحصون، (انظر : – ابن شداد، عز الدين أبو عبد محمد بن علي الحلبي (ت 684هـ/1285م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، (د.ط)، دمشق – سوريا 1962م، ج2، ص 172 ، وسيشار إليه فيما بعد ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 147 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91) .

[13] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 101 .

استدعاه الخليفة المستنصر بالله ليتولى منصب الوزارة[1] في سنة 466هـ/1073م[2] وقيل في سنة 467هـ/1074م[3]، فأصبح بذلك أول وزراء السيف والقلم في تاريخ الدولة الفاطمية حيث كان جميع الوزراء الذين قبله وزراء قلم[4]، كما تولى شؤون القضاء والدعوة فقد فوض إليه في سنة 470هـ/1077م قضاء القضاة وزيد في نعوته كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين[5].

بهذا أصبح جميع أهل الدولة والدعاة نواباً عنه والقضاة يعينون من قبله ومسؤولين أمامه[6]، فأصبح الحاكم للدولة الفاطمية والمرجوع إليه في كافة الأمور[7]، فأصلح أحوالها بعد أن تحكم الفساد فيها[8]، وحكم بها حكم الملوك[9] فقد كان أول وزراء السيوف الذين حجروا على خلفاء الدولة الفاطمية[10]، واستمر في حكمه إحدى وعشرين سنة [11] كانت فيها الدولة الفاطمية في منزلة رفيعة بعد أن تلاشي أمرها[12].

---

1 – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 224 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 496؛ أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 550 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 525 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 147؛ الشهابي، معجم ألقاب، ص24 .

2 – ابن الصيرفي، القانون، ص 95 ؛ ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 229 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 524 .

3 – ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 524 .

4 – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 232 .

5 – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 229 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 238 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 151، 141.

6 – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 137 .

7 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 496 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2 ، ص 102 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 138 .

8 – ابن الصيرفي، القانون، 95 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 52 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 239 .المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 400 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 103.

9 – أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 21 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2 ، ص 102 .

10 – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 103 .

11 – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 240 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 148 .

12 – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 103 .

وتدخل الحظ في الكثير من جوانب نشأة وحياة بدر الجمالي، حيث ابتسم لـه الحظ من خلال وجوده في مدينة طرابلس[1] في بداية حياته ونشأته العسكرية في ظل أجواء مضطربة مليئة بالحروب والفتن الأمر الذي ساعده على وصوله إلى الإمارة في الكثير من ولايات الشام، كما ساعده الحظ في عبوره البحر من عكا إلى دمياط عندما أستدعاه المستنصر بالله الفاطمي لإنقاذ الدولة من الأنهيار، حيث غير هذا العبور تاريخه وحياته، إذ إنه عبر البحر في أول[2] شهر كانون[3] وهو وقت لا يمكن فيه ركوب البحر لهيجانه بسبب كثرة العواصف والرياح بالإضافة إلى البرد القارس[4]، وقد نصحه البحارة والخبراء بأمور البحر بأن لا يركب البحر في هذه الأجواء وأن يتأخر قليلاً، ولكن بدر الجمالي لم يلتفت إلى نصحهم مدركاً بأنه إن لم يذهب إلى الديار المصرية بالسرعة الممكنة فأنه سيواجه الكثير من المشاكل هناك خاصة وأن مهمته في مصر كانت على درجة من السرية بحيث إن تأخر قد يفتضح أمره، وتضيع كل جهوده وآماله في بسط سيطرته على مصر، وإنهاء حالة الفوضى المنتشرة في البلاد، وخاطر[5] بدر الجمالي وركب البحر ومعه مائة مركب فشهد البحر صحوة لم يعرف قبلها استمرت أربعين يوماً تخللها رياح طيبه عجب لها البحارة وأسموها صحوة أمير الجيوش[6] وكان لـه بعد ذلك ما كان في الديار المصرية .

---

[1] – طرابلس : هي مدينة عظيمة، لها سور من حجر منيع، ويتبع لها الكثير من الأعمال، (انظر : ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص 104) .

[2] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 235 .

[3] – جميع المصادر التي تم الرجوع إليها اكتفت بذكر شهر كانون فقط ولم تحدده إن كان كانون الأول أم كانون الثاني .

[4] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 235 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 525 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 101.

[5] – الذهبي، العبر، ج 2، ص 321 .

[6] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 235 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 395 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 101 .

6.1 صفاته:

تحدث الكتاب والمؤرخون اللذين تم الرجوع إليهم عن صفات بدر الجمـــالي وذكروا الكثير من هذه الصفات، منها إنه كان شديد الهيبة[1] ومخوف السطوة[2]، كثير البطش[3] حيث وصف بأنه فتاكاً جبارا[4] لكثرة من قتل من كبار المصريين وقـــوادهم وكتابهم ووزرائهم [5] وعلمائهم[6]، ويقال إنه قتل من أهل البحيرة نحو عـــشرين ألـــف رجل، كذلك فعل بأهل الأقاليم والمدن المتمردة على الدولة[7]، وقد ذكر بعض صفاته الشريف أبو يعلى محمد بن محمد ابن الهبارية في قصيدة منها قوله :

كـــان بمصر بدر لـــه عليها الأمـــر   يقتل كـــل ساعة من أهلها جمـــاعـــه

ويهرق الدماء حتى تخال مـــــــــاء   أصلحها بسـيفه وجـــوره وحيفـــــه

جـــــزاء كل فعل لـــه ســـوء القتـــل   لما عـــصـــاه ولـــده وبان منه نكـــده

خنـــقه بيـــــده ثـــم رمـــــى بجســـده   فغضب المستنصر بالله وقال هذا منكر

فقـــال: لو عـــصاني قلبي في جثمانـــي   نـــزعته مـــن صدري ولم يكن بنكر

ثـــم غـــــزا لواتـــه إذ ظنهـــم حماتـــه   فحين قيد الأسرى قال أقتلوهم صبراً

عشرين ألف كانوا حتى جـــرى الميـــدان   فـــي الـــنيـــل دماهم ولج في أفناهم

وهو على ظهر الفرس كضيغم إذا أفترس   ومات حتـــف أنفه لم يعتسف بسعفه[8]

---

[1] – ابن الصيرفي، القانون، ص 94 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 52 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 148؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 400 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 93 .

[2] – ابن الصيرفي، القانون، ص 94 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 52 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 400 .

[3] – ابن الصيرفي، القانون، ص 94 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 52 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 239 .المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص147، 148 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 400 .

[4] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 119 .

[5] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39، 40، 52 ؛ النويري، نهايـــة الأرب، ج 28، ص 236، 239 ؛ المقريـــزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 147 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 400 .

[6] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 587؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 119 .

[7] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 103 .

[8] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 400 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 93 .

وقد وصف بدر الجمالي بالذكاء[1]وحسن السياسة[2] وعلو الهمـة[3]، ووصـف كذلك بالعدل ففي عهده أمنت الطرق وحضر إلى مصر والقاهرة الكثير من التجـار وأرباب الأموال بعد نزوحهم عنها في أيام الشدة العظمى[4].

وكان رافضياً وأمر بأقامة الأذان بحي على خير العمل والتكبير على الجنائز خمس مرات وكتابة سبٌّ الصحابة على الحيطان[5]، كما كان مـحباً للعلماء الـشيعة وحدد لهم رواتب شهريه[6] .

و اتصف كذلك بسعة نفسه حيث يقال إنه عندما كان في عكا أشترى ثلاثمائة قنطار[7] من السكر، وعندما قل وجود السكر عند التجار وارتفعت اسـعاره إلـى أن بلغت قيمة القنطار منه خمسين ديناراً، وأصبح غير متوفر عند التجار في أول شهر رجب من سنة 462هـ/ 1069م، فعرض أحد التجار على بدر أن يبيعـه الـسكر الموجود في بيته بخمسة عشر ألف ديناراً، فرفض بدر ذلك وقال : - نحن نحتـاج إليه في هذه الشهور يقصد بها شهر رجب وشعبان ورمضان، وبالفعل فقد استخدمت هذه الكمية في مطابخه وسمـحت لـه نفسه باستهلاك هذا المبلـغ الكبيـر مـن الذهب والدنانير[8]، وقيل أن احتياجه من مادة السكر في كل شهر كان مائة قنطار[9].

1- ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[2] - المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 148 .

[3] - ابن الصيرفي، القانون، ص 94 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 148 .

[4] - المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 103 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 400 .

[5] - ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 587، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 119 .

[6] - ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 157 .

[7] - القنطار: المتعارف عليه بالشام يساوي مائة رطل، والرطل يختلف وزنه بين المدن الشاميه ويتراوح مابين 2 الى 3 كيلو غرام، (انظر : هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظـام المتـري، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان 1970م، ص 33 – 35، وسيشار إليه فيمـا بعـد هنتس، المكاييل) .

[8] - المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص 401 .

[9] - ابن حجر، رفع الاصر، ص 94 .

كما كان كريماً[1] سخياً ومفضالاً[2]، فقد قيل إنه قدم إليه تاجر من الهند ومعه سمكة مصنوعة من العنبر وقد تأنق التاجر في تزيينها، فعرضها التاجر على بدر الجمالي وسامها منه بدر فطلب بها التاجر ألف دينار، فاستغلاها بدر وردها إلى التاجر، وعند خروج التاجر من بيت بدر الجمالي لاحظه رجل يدعى أبا المليح وهو نصرانيّ ويعمل كاتباً عند كاتب الجيش، فسأله عن ثمنها فقال له التاجر ألف دينار، فدفع له ألف دينار واشتراها منه، وبعد فترة وعندما كان أبو المليح بداره في يوم عطله، شرب وقال لمن عنده بالدار: أحضروا لي النار والمقلى لقد أشتريت سمكة، فأحضر إليه ما طلب وأشعل النار ووضع السمكة في المقلى ففاحت روائحها وتزايدت حتى امتلأت بيوت الجيران ووصلت رائحتها إلى دار بدر الجمالي، فخشي بدر أن تكون خزائنه قد احترقت فتفقدها فوجدها سالمة، وأمر خدمه بأن يستكشفوا مصدر هذا الدخان، فتتبعوا مصدر الدخان فوجدوه صادراً من بيت أبي المليح، فعرف بدر بذلك وبموضوع السمكة، وعندما دخل أبو المليح الديوان على عادته استدعي على الفور لبدر الجمالي الذي قال له وهو غاضب : ويحك أنا أستعظم شراء سمكة عنبر بألف دينار وأنا ملك مصر فأتركها استكثاراً لثمنها، وتشتريها أنت! ثم لا يقنعك حتى تلقيها في النار فتذهب في ساعة واحدة ؟ ما سمحت بهذا إلا وقد نقلت خزائن بيت المال إلى دارك، فقال له أبو المليح : لا والله ما فعلت هذا إلا غيرة على الملك، فإنك اليوم سلطان نصف الدنيا، وهذه السمكة لا يشتريها إلا الملوك، فخفت أن يقال إنك استعظمتها فتركتها فأردت أن يقال إنما تركتها احتقاراً لها لأن كاتباً من الكتاب ببابك اشتراها وأحرقها فيشيع ذلك ويعظم قدرك بين الملوك، فأعجب بدر الجمالي به وأمر له بضعف ثمنها وزاد في أرزاقه[3].

---

[1] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 157 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 400 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 103.

[2] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 157 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 148 .

[3] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 95 ؛ تامر، عارف، تاريخ الدولة الإسماعيلية، مطبعة رياض الريس للكتب والنشر، ط1، لندن (1411هـ/ 1991م)، ج 3، ص 223، وسيشار إليه فيما بعد تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية .

وكان يسمع المديح ويثيب عليه[1]، ومن كثرة حبه للشعر يقال إن الشاعر علقمه بن عبد الرزاق العليمي قد توجه إلى بيت بدر الجمالي عندما كان وزيراً في مصر فوجد على بابه الكثير من إشراف الناس وأكابرهم وقد طال مقامهم على بابه ولم يستطيعوا الوصول إليه بعد[2]، فلم يتجاسر على العبور إلى مجلسه، فبقي على هذا الوضع أياماً إلى أن خرج أمير الجيوش يريد الصيد، فوقف له الشاعر علقمه فوق تل وأشار برقعة كانت في يده وأنشد قصيدة طويلة قال فيها :

نحن تجار وهذه أعلاقنا	دُرٌّ وَجَودَ يمينك المبتاعُ
قَلِّبَ وفتّشها بسمعك إنما	هي جوهر تختاره الأسماعُ
كَسَدتَ علينا بالشام وكلّما	قلَّ النفاقُ تعطل الصناعُ
فأتاكَ يحملها إليك تجارها	وَمطيُّها الآمال والأطماعُ
حتى أناخوها ببابك والرجا	من دونك السمسار والبياعُ
فوهبْتَ ما لم يُعْطِهِ في دهره	هَرمٌ ولا كَعَب ولا القعقاعُ
وَسبقّتَ هذا الناس في طلب العُلى	فالناس بعدك كلهم أتباعُ
يا بدر أُقسم لو بك أعتصم الورىَ	ولجوا إليك جميَعهم ما ضاعوا

فانفرد بدر الجمالي عن حرسه وأخذ يعيد في الأبيات والشاعر علقمه يسير إلى جانبه إلى أن أستقر في مجلسه، فلما اطمأن لما في الأبيات قال للحاضرين من مرافقيه: من أحبني فليخلع عليه، فخرج من عنده علقمه ومعه سبعون جملاً يحملون الأنعام، وأمر له من ماله بعشرة الآف درهم[3]، فعندما خرج الشاعر علقمه فرق جزءاً مما كان يحمله على الشعراء الذين كانوا ينتظرون ببابه.

كما كان بدر الجمالي حسن التصرف يحب التسامح، ذلك إنه في سنة 472هـ/1079م خرج ملك النوبة من بلاده وسار إلى أسوان يريد زيارة كنيسة لهم

---

[1] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 94 .

[2] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 497 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 46 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 148 .

[3] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 497؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 46 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 148؛ المقفى الكبير، ج2، ص 402 .

فيها، فألقى والي قوص[1] القبض عليه وأرسله إلى القاهرة، وعندما وصل الملك إلى القاهرة أكرمه بدر الجمالي وأفاض عليه بالنعم والهدايا، ولكن أجله أدركه ومات ملك النوبة في القاهرة قبل أن يعود إلى بلاده[2].

7.1 أولاده :

لم تشر المصادر التاريخية التي تم الرجوع إليها إلى جميع أولاد بدر الجمالي فأوردت المصادر ذكر ابنه أبي القاسم شاهنشاه[3] الملقب بالأفضل ولي عهده[4] وابنه المسمى بالأوحد وهو الذي ثار عليه في سنة 477هـ/1084م وتحصن هو وأتباعه بالاسكندرية[5] الأمر الذي أضطر بدر إلى قتله[6]، وذكر

---

[1] – قوص : مدينة أقليم الأعمال القوصية تقع على الضفة الشرقية لنهر النيل، (انظر : ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت 809هـ /1406م)، الأنتصار لوساطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، (د.ط)، بيروت (د.ت)، ج 5، ص28، وسيشار إليه فيما بعد ابن دقماق، الأنتصار) .

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 46، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 142 .

[3] – ولي الأفضل أبو القاسم شاهنشاه منصب الوزارة في الدولة الفاطمية بعد وفاة أبيه بدر الجمالي في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله سنة 487هـ/1094م، أستمر في الوزارة خلال فترة خلافة الخليفة الفاطمي المستعلي بالله ومنتصف فترة خلافة الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله، إلى أن قتل في شهر رمضان من سنة 515هـ /1024م بتدبير من الشيعة الناقمين عليه لسوء سيرته ولدوره في عزل نزار بن المستنصر بالله عن ولاية العهد، أستمرت وزارته ثمان وعشرين سنة وستة أشهر، وقد خلف ورائه الكثير من الأموال التي لا يمكن إحصائها، ولي الوزارة مكانه أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي الذي لقب بالمأمون، (انظر : ابن سعيد، عبد الملك بن سعيد (ت 685هـ / 1286م)، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المُغرب في حُلى المغرب تحقيق حسين نصار، دار الكتب، (د.ط)، القاهرة 1390هـ/1970م ، ص83، وسيشار إليه فيما بعد ابن سعيد، النجوم الزاهرة ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 404 ؛ السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت 911هـ /1505م)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، (1968م /1387هـ)، ج2، ص 204، وسيشار إليه فيما بعد السيوطي، حسن المحاضرة) .

[4] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 77 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 21 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 439، 441 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 10، ص 95 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 138 .

[5] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 225 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 46 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 93 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 119 .

[6] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 238 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 399 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 93 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 119 .

المقريزي ابنه أبو محمد جعفر بن بدر الملقب بالمظفر[1]، وذكرت بعض المصادر أن لـه أبناً قتل في عسقلان في سنة 460هـ/ 1068م وهـذا الأمر هـو الـذي دفـعه إلى الخـروج مـن دمـشق سنـة 458هـ /1066م[2].

وكان عنده عدة بنات حسبما يظهر من كتابات المصادر التي تـم الرجـوع إليها، زوج أحداهن للخليفة المستنصر بالله، وهي التي أنجبت لـه الخليفة المستعلي بالله[3] الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه بتدبير من خاله الـوزير الأفـضل بـن بـدر الجمالي، وعزم الأمير تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان[4] على الزواج من إحدى بنات بدر الجمالي أيام وزارته للمستنصر بالله غير أن قاضي طرابلس جلال الملك أشـار عيه إلا يفعل ذلك، فعدل عن الزواج منها[5] .

وعندما توجه بدر الجمالي إلى الديار المصرية بناءاً على طلب المستنـصر[6] ترك أسرته في مدينة عكا[7] وأخذ معه إلى الديار المصرية رجل يعرف بأبن سقحاء

---

[1] – المقريزي، المقفى الكبير، ج3، ص 15.

[2] – المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص 395 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[3] – المستعلي بالله : – هو أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله، ولد في شهر محرم من سنة 467هـ / 1074م، بويع لـه بالخلافة بعد وفاة أبيه المستنصر بالله، وفي بداية خلافته أنقسمت الحركة الإسماعيلية إلى قـسمين القسم الأول يؤيد توليه الخلافة وسمو بالمستعلية والقسم الأخر يؤيد خلافة أخيه نزار وسمو بالنزارية، توفي في شهر صفر من سنة 495هـ/ 1103م وعمره ثمان وعشرون سنة فكانت مدة خلافته سبع سنوات كـان خلالها الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن بدر الجمالي وزيره، وبعد وفاته بويع لابنه الأمر بأحكام الله أبو علي المنصور وكان عمره خمس سنوات (انظر : ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 82، 83 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج3، ص 196) .

[4] – هو أبو المظفر تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان، صاحب دمشق وغيرها من البلاد، تزوج من علـي ابـن أخيه بركيارق بن ملكشاه، كان قد أخذ دمشق من أتسز عندما قدم جيش بدر الجمالي إلى دمشق فـي سـنة 471هـ/1078م، تقاتل هو وأخوه بركيارق في بلاد الري فهزمه بركيارق، وقتل أثناء المعركة في مدينـة أصفهان في سنة 488هـ/1095م وقيل بل في سنة 487هـ/1094م وملك ابنه رضوان مدينة حلب بعـده وأبنه دقاق مدينة دمشق، (انظر :العماد الاصفهاني، البستان الجامع، ص 316 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 159).

[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5 ، ص 115 .

[6] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 550 ؛ الذهبي، سير أعلام، ج 19، ص81 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 10، ص 95 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 23 .

[7] – المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص 398 .

وكان رفيع المنزلة عند بدر ويثق به في جميع أموره، فلما حصل بدر الجمالي على المال والجوهر في مصر بعث بها مع ابن سقحاء إلى عكا عن طريق البحر ليضمها إلى أمواله وذخائره الموجودة هناك، وفي أثناء الطريق غرق المركب الذي يحمل هذه الأموال والجواهر فخاف ابن سقحاء من عقاب بدر الجمالي له، وقد كان معه في المركب الأخر جماعه من أهل عكا، فقال لهم : ما بقي لنا وجه عند أمير الجيوش فهل لكم في أمر أن توافقوني عليه يكون فيه سلامة لنا، فقالوا نفعل، فعندما وصل ابن سقحاء إلى عكا قال لأهلها أن أمير الجيوش بدر قد قتل جميع أبنائهم ورجالهم الذين أخذهم معه إلى مصر، حيث كان بدر قد أخذ معه إلى الديار المصرية ستين رجلاً من خيار رجال عكا كرهائن، فعظم ذلك عند أهل عكا وغضبوا على بدر الجمالي وأقاموا المأتم لأبنائهم، وفي السر أرسل ابن سقحاء إلى شكلي بن أوق الخوارزمي أمير التركمان الذي كان محاصراً لعكا يدعوه إلى دخول البلدة ليلاً، فدخلها شكلي بعد أن قام جماعة ابن سقحاء بفتح أبواب عكا لهم فجأة، فألقى شكلي بن أوق الخوارزمي القبض على فارس الدولة نائب بدر الجمالي في عكا وعلى ابن أبي الليث القاضي وعلى جميع عمال بدر فضرب أعناقهم جميعاً واستولى على أموال بدر وذخائره وقبض على ابنه وزوجته وابنته، وأحضر أبو يعلى بن الأقساسي وقال له أليس بدر الجمالي قد زوجني ابنته وأنت شاهد عليه فقال له : بلى، فأحضر القاضي والشهود وزوجها منه ودخل بها، وأخرج بعد ذلك أبو يعلى بن الأقساسي من عكا لأنه كان من أصحاب بدر الجمالي[1]، وفي رواية أخرى ذكر بأنه عندما حاصر شكلي أخو أتسز[2] بن أوق الخوارزمي مدينة عكا

---

[1] – سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ص 171 .

[2] أتسز : هو أتسز بن واق الخوارزمي التركي مقدم الأتراك أمير دمشق لقب نفسه الملك المعظم وهو أول من ملك دمشق من الأتراك وقطع الدعوة الفاطمية منها وأعاد الدعوة العباسية ومعنى كلمة أتسز هو الفريد وهي كلمة تركية وورد اسمه في بعض المصادر أطسز، أظهر السنة، ونشر العدل، وهو أول من أسس قلعة بدمشق وأكمل بنائها الملك تتش بن ألب أرسلان، (انظر : ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 120 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 1، ص 131 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 220) .

وأخذها بالسيف في سنة 467هـ / 1074م لم يتعرض لأولاد بدر بسوء بل أحسن إليهم وبعث بهم جميعاً إلى بدر الجمالي في مصر[1].

8.1 وفاته :

أصيب بدر الجمالي بالمرض مدة طويلة اسكت فيها عن الكلام لفترة من الزمن [2]، واستمر به المرض لأقل من سنة [3] حيث اشتد به في شهر ربيع الأول من سنة 487هـ /1094م [4] إلى أن توفي في مدينة القاهرة [5]، وقد اختلف المؤرخون الذين تم الرجوع إليهم في تاريخ وفاته فمنهم من قال إنه توفي في سنة 486هـ/1093م[6] ومنهم من قال في شهر ذي القعدة[7] من سنة 487هـ/1094م[8] وقيل بل في سنة 488هـ/1095م [9]و كما اختلفوا في

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 41 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص 398 .

[2] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 127 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 147 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 399 .

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 54 .

[4] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 127 ؛ ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 229 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 52 ؛ ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 77 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 102 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 399 ؛ اتعاظ الحنفا، ج1، ص 147 .

[5] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 60 .

[6] – العماد الأصفهاني، البستان الجامع، ص 315 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 439 .

[7] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص157 .

[8] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 127 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 54 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 2، ص 10 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 10، ص 95 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص157 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 44 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 138 ؛ الشهابي، معجم ألقاب، ص24 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج3، ص 196 ؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 203.

[9] – ابن الصيرفي، الإشارة، ج 3، ص 56 ؛ ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 229، الذهبي، العبر، ج 2، ص 357 ؛ سير أعلام، ج 19، ص 81 ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 204 ؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي في العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس (232-447 هـ / 847-1055م)، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، بيروت – لبنان (د، ت)، ص 36، وسيشار إليه فيما بعد حسن، تاريخ الإسلام السياسي .

أي شهر من هذه السنة كانت وفاته فمنهم من قال في شهر ذي القعدة[1] ومنهم من قال في شهر ربيع الأول[2] ومنهم من قال في شهر ربيع الآخر ومنهم من قال أيضا في العشر الأوائل[3] من شهر جمادى الأولى منها[4]، ودفن في القاهرة بالقرب من باب النصر في مقبرة خاصة به تسمى بتربة بدر الجمالي[5]، وكان عمرة حين وفاته قد ناهز الثمانين عاماً[6]، وقد حكم في البلاد المصرية ما يقارب إحدى وعشرين سنّه[7] .

و قد خلف بدر الجمالي بعد وفاته من الأموال ما يضرب به المثل[8]، حيث إنه خلف منها بعد بنائه سور القاهرة ستة الآف ألف دينار (ستة ملايين دينار) وأربعمائة الآف ألف درهم (أربعمائة مليون درهم) ومن الجواهر والياقوت أربعة صناديق ألف قطعة زمرد جمعت له من جميع الأقطار فقد كان من المعجبين بأحجار الزمرد، كما خلف من الذهب والفضة والمراتب والسروج المحلاة ما يعجز الإنسان عن وصفه [9].

وعندما توفي بدر الجمالي ركب بعض الأمراء من غلمان بدر إلى المستنصر بالله يسألونه أن يوليهم الوزارة، وكان الأمير ناصر الدولة أفتكين[10] وأمين الدولة

---

[1] – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 496، الذهبي، العبر، ج 2، ص 357 .

[2] – أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 21 .

[3] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 127 .

[4] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 127 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 52 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 147 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 399 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 102 .

[5] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 60 .

[6] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 496 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 52 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 21 ؛ الذهبي، سير أعلام، ج 19، ص 82 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 2، ص 10 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص 399 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 103 .أبن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[7] – ابن ميسر، المنتقى، ص 52 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 399 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 103 .

[8] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 139 .

[9] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 149 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج 3، ص 223 .

[10] – هو الأمير ناصر الدولة أفتكين التركي، أحد غلمان أمير الجيوش بدر الجمالي، ترقى في الخدمة إلى أن ولاه بدر ولاية الإسكندرية، أختلف مع الأفضل بتأيدة لنزار فألقى الأفضل القبض عليه وأمر

لاوون من أكابر أمراء الدولة آنذاك وكان ناصر الدولة أعظم منزلة من لاوون، فعمل لاوون على رشوة جماعة من الأمراء ليوافقوه على أن يلي الوزارة، فبلغ ذلك ناصر الدولة فاجتمع مع الأمراء كل على حده واستنكر عليهم أن يكون مثل لاوون يحكم فيهم مع وجود أولاد سيدهم بدر الجمالي وذكرهم بأفعال لاوون القبيحة حيث كان لاوون يوصف بالبخل، فرجع جميع الأمراء عن تأيدهم للاوون، وفي أثناء ذلك كان المستنصر بالله قد قلد أمين الدولة لاوون خلع الوزارة وأجلسه إلى جانبه في القصر، وعندما علم الأمراء بذلك توجهوا إلى ساحة القصر رافعين سيوفهم[1] فشق ذلك على المستنصر بالله وعلى من بحضرته من خواصه [2] فخرج إليهم المستنصر بالله وشرع الأمراء في مخاطبة المستنصر بالله في أبطال وزارة لاوون وهو يأبى عليهم حتى طال الخطاب فقال لهم : إذا أقمنا قصبة أمتثلنا لأمرها، فقالوا له إذا أقمت هذه القصبة قطعناها بهذه السيوف، وجردوا سيوفهم ولم يبق إلا وقوع الشر، فأمر المستنصر بالله باستدعاء أبي القاسم شاهنشاه الملقب بالأفضل ورتبه في الوزارة مكان أبيه [3] بإجماع ومباركة جميع الأمراء والأجناد في مصر[4].

فكان بذلك الأفضل أول الوزراء الذين حصلوا على منصب الوزارة عن طريق الوراثة[5]، إذ إنه نصب في ولاية العهد من قبل أبيه[6] في جمادى الأولى من سنة 477هـ / 1084م[7]، وكان يقوم بإدارة أمور الدولة خلال مدة مرض أبيه، فلما

بضربه إلى أن مات، (انظر : ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 81 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 228) .

[1] - ابن ميسر، المنتقى، ص 54 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 149 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج 3، ص 223 .

[2] - المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 149 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج 3، ص 223 .

[3] - ابن ميسر، المنتقى، ص 54 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 149 ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 204 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج 3، ص 223 .

[4] - ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 127 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج 3، ص 223 .

[5] - ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 77؛ أيوب، إبراهيم رزق الله، التاريخ الفاطمي السياسي، الشركة العالمية للكتاب، ط1، بيروت – لبنان (1997م)، ص121، وسيشار إليه فيما بعد أيوب، التاريخ الفاطمي .

[6] - ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 127، ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 229 .

[7] - ابن ميسر، المنتقى، ص 47، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 142.

توفي بدر الجمالي خرجت إليه الخلع بالوزارة وجمع لــه ما جمع لأبيه من الـسيف والطيلسان المقور[1] وبعد الأفضل بن بدر الجمالي لم يخلع على أحد من الوزراء كما خلع عليه وعلى أبيه إلى أن قدم الوزير طلائع بن زريك [2].

وكان الأفضل عند مباشرته مهام الوزارة قد تقلد التصرف في جميع أمـور الدولة، حيث ورد إليه خبر أن رسول ملك الهند قادماً إلى الديار المصرية، فأرسـل الأفضل إلى المستنصر بالله يطلب منه أن يترك هيبته بحالها حفاظاً على هيبة الدولة وذلك إنه لا بد من مثول رسول ملك الهند أمامه، فقد كان من عادة المستنصر بـالله أن يحلق جميع وجهه بحيث لا يبقي في وجهه شعرة تلـوح للنـاظر، فكتـب إليـه المستنصر بالله ((قد جعلنا لك الأموال والإقطاع ولم نعارضك بشيء منها، فلا أقـل ما تهبنا هيئتنا والسلام))، فمنذ هذه الحادثة لم يراجعه أو يستشيره الأفضل بشيء من أمور الدولة بعد ذلك[3]، فقام الأفضل بالوزارة أحسن قيام وأعظم مما قام به أبيه وزاد عليه[4].

---

[1] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 240 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 439 ؛ المقريزي، الخطـط المقريزية، ج2، ص234 .

[2] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص234 .

[3] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 422 .

[4] – المصدر السابق، ج 6، ص 439 .

الفصل الثاني
أحوال الدولة الفاطمية
في عهد المستنصر بالله حتى عام 450 هـ/1058م

1.2 المستنصر بالله :

1.1.2 اسمه ولقبه:

هو أبو تميم معد الملقب بأمير المؤمنين المستنصر بالله بن الظاهر[1] لإعزاز دين الله علي بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله أبي المنصور نزار بن المعز لدين الله أبو تميم معد أول خلفاء الفاطميين بمصر ابن المنصور بالله أبو طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن المهدي عبيد الله الفاطمي، وهو الخامس من خلفاء مصر والثامن من ملوك الدولة العبيدية [2].

---

[1] – توفي الإمام الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي بن الحاكم بأمر الله في ليلة الأحد الخامس عشر من شهر شعبان سنة 427هـ / 1036م وعمره أثنتان وثلاثين سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام، وكانت خلافته خمس عشرة سنه وأحد عشر شهراً وخمسة أيام، وذكر المؤرخون الذين تم الرجوع اليهم إنه كان جميل السيرة حسن السياسة منصفا للرعية رغم ما عرف عنه من إنه كان منشغل بلذاته محب للدعة والراحة معتمداً في إصلاح الأعمال وحفظ الأموال وتدبير السياسة على الوزير أبي القاسم علي بن أحمد الجرجرائي، (انظر : العماد الاصفهاني، البستان الجامع، ص 295 ؛ ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت 685هـ/ 1286م)، تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، (د.ط)، بيروت – لبنان، (د.ت)، ص 183، وسيشار إليه فيما بعد ابن العبري، تاريخ مختصر ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 511 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 339 ؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 83 ؛ السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت 911هـ /1505م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، مطبعة المدني، (د.ط)، القاهرة (1964م)، ط2، ص419، وسيشار إليه فيما بعد السيوطي، تاريخ الخلفاء) .

[2] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 209 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 158؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 3 ؛ تامر، عارف، المستنصر بالله، طباعة دار الجيل، ط1، 1400هـ / 1980م، ص 5، وسيشار إليه فيما بعد تامر، المستنصر بالله .

2.1.2 نشأته وحياته :

ولد المستنصر بالله في مدينة القاهرة[1] من جارية سوداء[2] اسمها رصد[3]، أهداها أبو سعيد التستري[4] اليهودي للخليفة الظاهر[5]، وكانت ولادته في السادس عشر من شهر جمادى الآخرة[6] سنة 420هـ /1029م[7] .

نشأ في رعاية والده الظاهر، غير أن وفاة أبيه وهو طفل أدى به أن يتولى خلافة الدولة الفاطمية في سن مبكرة مما جعل أمه تقوم بالوصاية عليه وتصبح صاحبة السيادة والأمر في البلاط الفاطمي، حيث ولي المستنصر بالله الخلافة بعد موت أبيه الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله في يوم الأحد منتصف شهر شعبان[8] سنة 427هـ /1036م[9]، وكان عمره يوم ولي الخلافة سبع سنوات[10].

---

[1] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 342 تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج3، ص 187 .

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 25 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 106 .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 45 .

[4] – هو أبو سعد إبراهيم بن سهل بن هارون التستري، (انظر:المقريزي،الخطط المقريزية،ج 1،ص 355، 424).

[5] – ابن ميسر، المنتقى، ص 3، 25.المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 45 .

[6] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 225 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 54 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 240 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 342 ؛ العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص113.

[7] – ابن ظافر، أخبار، ج 1، ص 225 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 54 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 240 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 342 ؛ العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص 113 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 45 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج3، ص 187 .

[8] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 225 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 54، 3 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 210 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 342 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 5 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج3، ص 187 .

[9] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 225 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 54، 3 ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص 183 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 342 ؛ العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص 113 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 44؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 83 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 5 ؛ تامر، المستنصر بالله، ص 5 .

[10] – ابن ظافر، أخبار، ج 1، ص 225 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 3 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 210 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 342 ؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 83 ؛ ابن تغري

واختلفت سنوات حكمه فمنها ما كان حسناً ومنها ما كان سيئاً وخطب لـــه على منابر بغداد والحجاز والشام وهذا الأمر لم يحدث لأي خليفة من خلفاء الدولـة الفاطمية لا قبله ولا بعده[1].

وعانت مصر في خلافته سنوات صعبة من الشدائد بـسبب الفـتن والغـلاء والوباء[2] والقحط الذي أصاب البلاد المصرية وأستمر سبع سنين حتـى شـبه بمـا أصاب مصر أيام سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، حيث امتدت فترة القحط فيمـا بين سنتي 457-464هـ /1065-1072م[3]، وعلى الرغم من أرتفاع منسوب المياه في نهر النيل في بعض السنين إلا إنه لم يكن هنالك من يتمكن من اسـتثمار ذلـك والقيام بأعمال الزراعة التي تحد من الأزمات والغلاء والجوع وذلك بسبب تفـشي الموت بين الناس وشدة وطأة الولاة والعمال الذين استبدوا بالرعية، وانعدام الأمـن في البر والبحر[4] .

وكثر تعيين الوزراء في خلافة المستنصر بالله حتى أصبحت ظاهرة غريبة، ولم يستقر أحد منهم في منصبه فترة طويلة، حتى إن بعضهم كان يتـولى الـوزارة أياماً معدودة ولا يلبث أن يعزل، فتولى الوزارة في هذه الفتـرة أربعـة وعـشرون وزيرا[5]، فأدى ذلك إلى أضطراب الأحوال السياسية وعدم استقرارها فـي الدولـة الفاطمية[6].

بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 5 ؛ السيوطي، تـاريخ الخلفـاء، ص 419 ؛ تـامر، تـاريخ الدولـة الإسماعيلية، ج3، ص 187 ؛ المستنصر بالله، ص 5 .

[1] – ابن العبري، تاريخ مختصر، ص 183 ؛ العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص 112 .

[2] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 240؛ العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص 112؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 149 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 5 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفـاء، ص 419 .

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 58 ؛ النويري، نهايـة الأرب، ج 28، ص 240.ابن تغري بـردي، النجـوم الزاهرة، ج 5، ص 5 .

[4] – النويري، نهايـة الأرب، ج 28، ص 240 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 149 ؛ ابن تغري بردي، النـــجوم الزاهرة، ج 5، ص 5 .

[5] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 356 –360 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسـماعيلية، ج3، ص 188 – 197 ؛ المستنصر بالله، ص 8، 18 .

[6] – للإطلاع على الوزراء الذين عينوا في عهد الخليفة المستنصر بالله انظر ملحق رقم (2) .

وبرزت هذه الظاهرة أيضاً في تعيين القضاة وأن كان ذلك بدرجة أقل مما هو في تعين الوزراء، فمن القضاة الذين عملوا في خلافة المستنصر بالله عبد الحاكم بن سعيد الفارقي، والقاسم بن عبد العزيز بن النعمان، وأبو الفضل القضاعي، وجلال الدولة أبو القاسم علي بن أحمد بن عمار وأبو الفضل عتيق وأبو الحسن على بن يوسف الكحال النابلسي، وفخر الأحكام محمد بن عبد الحاكم، بالإضافة إلى الوزراء الذين جمع لهم منصبي القضاء والوزارة معاً[1].

3.1.2 صفاته وأخلاقه:

اختلف المؤرخون الذين تم الرجوع إليهم في وصف المستنصر بالله وبيان صفاته وأخلاقه فذكر ابن القلانسي إنه كان حسن السيرة جميل السريرة محبا للعدل والأنصاف[2]، وهذه من الصفات التي تجعل ولي الأمر محبوباً ومقبولاً عند الرعية لأن العدل والأنصاف يمنع التعدي ويعيد الحقوق لأصحابها .

إلا إنه ومن خلال استعراض الأحداث التي مرت أيام المستنصر بالله، فيبدوا إنه لم يكن حازما في التعامل مع الرعية لذلك كثر عناد الأجناد واختلافهم[3]، وبالتالي ظهرت الفتن بين عناصر الجيش خاصة من الأتراك والسودان، وهذا هو الذي دفع ابن ظافر الأزدي لأن يقول بأنه كان سيئ التدبير مفرطاً في التخلف[4] .

وكان المستنصر بالله حسن الهيئة جميل الوجه، وقال الدواداري بأنه كان حليق الوجه فكان لا يبقي في وجهه شعرة واحدة[5]، وجاء في وصفه إنه كان كالطيف له وجود وليس له حقيقة[6].

---

[1] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 243 ؛ السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت 911هـ /1505م)، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، (1968م /1387هـ)، ج2، ص147– 151، وسيشار إليه فيما بعد السيوطي، حسن المحاضرة ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج3، ص 188 – 197 .

[2] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 128 .

[3] – المصدر نفسه، ص 128 .

[4] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 226 .

[5] – الدواداري، كنز الدرر، ص 441.

[6] – العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص 112 .

4.1.2 أولاده :

كان للخليفة المستنصر بالله الفاطمي عدد من الأولاد، وكان أكبرهم نزار الذي جعل إليه ولاية العهد[1]، فلما توفي المستنصر بالله وقام الأفضل بن بدر الجمالي بالاتفاق مع بعض الأمراء والقادة بتنصيب المستعلي بن المستنصر بالله فهرب نزار إلى الإسكندرية وثار على خلافة أخيه معتبراً خلافته باطلة وبايعه الناس فيها[2].

و المستعلي هو الابن الأصغر للخليفة المستنصر بالله ويلقب بأبي القاسم أحمد[3]، وهو أصغر أبناء المستنصر بالله تولى الخلافة بعد أبيه بتدبير من الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي[4].

ومن أبناء المستنصر بالله أيضاً الأمير عبد الله الذي شارك أخوه نزاراً في الخروج من القاهرة إلى الإسكندرية والثورة على خلافة المستعلي[5]، ومن أبنائه أيضاً أبو علي وأبو القاسم محمد وأبو الحسين جعفر[6]، وأبو القاسم محمد هو والد الخليفة الحافظ لدين الله، وقد بعثه المستنصر بالله خلال تعرض مصر للشدة العظمى إلى دمياط، ثم إلى عسقلان[7]، كما أرسل كل من الأميرين عبد الله وأبو علي إلى عكا، ونزلا عند أمير الجيوش بدر الجمالي، ويعتبر المقريزي أن شدة الأزمة التي تعرضت لها مصر هي التي دفعت المستنصر بالله إلى تفريق أبنائه في البلاد[8].

---

[1] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 158 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 142 .

[2] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 231 ؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (681هـ/1280م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت – لبنان 1417هـ / 1997م، ج1، ص179، وسيشار إليه فيما بعد ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 179 .

[3] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 178 .

[4] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 158 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 143 .

[5] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 128 .

[6] – ابن ظافر، أخبار، ج 1، ص 226 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 241 .

[7] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 2، ص 298 .

[8] – المصدر نفسه، ج 2، ص 298 .

وكان للمستنصر بالله بنات لم أجد ذكراً لأسمائهن، غير أن ابن تغري بردي أشار إلى أن أمّ المستنصر بالله نزحت مع بناته إلى بغداد خوفا من أن يمتن من الجوع وكان ذلك سنة 460هـ/1068م[1].

5.1.2 وفاته :

مرض المستنصر بالله الفاطمي بمرض في أواخر عهده وقد اشتد عليه المرض حتى توفي في ليلة الخميس الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة 487هـ/1094م[2] وعمره سبع وستون سنة وخمسة أشهر[3]، وكانت مدة توليه الخلافة حوالي ستين سنة[4] وهي أطول فترة حكم فيها خليفة أو حاكم مسلم[5].

وتولى الخلافة بعد وفاته ابنه المستعلي أحمد الذي كان عمره آنذاك وأحد وعشرين عاماً [6] وذلك بتدبير من الوزير أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجمالي[7].

---

1 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 2 .

2 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 128 ؛ ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 225 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 497 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 54 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 240 ؛ العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص 113 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 158 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 149 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 138 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 426 .

3 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 497 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 149.

4 – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 225 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 497 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 21 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 342 ؛ العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص 112 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 158 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص45، 149؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 419 .

5 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 3، 4 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 419 ؛ تامر، المستنصر بالله، ص 6 .

6 – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 158 .

7 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 128، النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 240 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 158 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 4 ؛ السيوطي،تاريخ الخلفاء، ص 426 .

2.2 الأوضاع الداخلية :

كان الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (ت411 – 427هـ/1020 – 1035 م) معتمداً على الوزير أبي القاسم علي بن أحمد الجرجرائي[1] في إصلاح الأعمال وحفظ الأموال وتدبير السياسة والأجناد وعمارة البلاد وكذلك كان ابنه المستنصر بالله[2]، وعندما توفي أبو القاسم في السادس من شهر رمضان [3]سنة 436هـ/1044م[4]، بدأت الاضطرابات السياسية تجتاح الدولة الفاطمية، حيث كان المستنصر بالله ينوي تعين أبي الحسن علي الأنباري في الوزارة مكان أبي القاسم ولكن أبو سعيد التستري وزير أمّ المستنصر بالله قد حال دون ذلك[5]، كما إن أبا القاسم قد أوصى قبيل وفاته بالوزارة إلى أبي نصر صدقه بن يوسف[6] بن علي الفلاحي[7]، فكان لـه ذلك حيث تولى الوزارة تاج الرياسة أبو نصر صدقه بن

---

[1] – هو الوزير صفي الدين أبي القاسم أحمد بن علي الجرجرائي، ينسب إلى قرية في العراق أسمها جرجريا قدم إلى مصر هو وأخاه أبو عبد الله محمد، فتنقلت به الحال إلى أن خدم في الصعيد فكثرت فيه الشكاوى أيام الخليفة الحاكم بأمر الله، فأعتقله في شهر ربيع الآخر من عام 404هـ/1012م، وأمر بقطع يده فمد يده اليسار فقطعت، وعلم الحاكم بذلك وأصر على قطع يده اليمين كما أمر، فقطعت يده اليمين أيضا، وكان قطعهما في الثامن عشر من شهر ربيع الآخر ؛ وبعد قطع يداه عاد إلى ديوانه، ثم صرفه عنه الحاكم وعينه في ديوان النفقات في سنة 406هـ/1015م ثم عين ناظرا للدواوين في سنة 412هـ/1021م، ثم عين وزيرا للظاهر لإعزاز دين الله في سنة 418هـ/1027م وأستخدم أبو الفرج البابلي كاتبا عنده، وضبط الأمور أحسن ضبط وكان عالماً، فطناً، كاتباً، وكان شديد الأمانة وتمكن في الدولة إلى ان توفي في الثالث من رمضان سنة 436هـ/1044م ودفن في داره وصلى عليه المستنصر بالله، وقد أستمرت وزارته سبعة عشر سنة وثمان أشهر وثمانية عشر يوما ؛(انظر : ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 356 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 214، 241، 242 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، 48 ؛ ابن القلانسي، نيل تاريخ دمشق، ص 83 ؛ تامر، المستنصر بالله، ص 8، 9).

[2] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 83 ؛ سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة(1992م)، ص126، وسيشار إليه فيما بعد سيد، الدولة الفاطمية في مصر .

[3] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، 48.

[4] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 356 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص48، 106، 150.

[5] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، 49 ؛ سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 126 .

[6] – كان يوسف بن علي الفلاحي من الكتاب البلغاء وتولى ديوان إمارة دمشق،(انظر: ابن ميسر، المنتقى، ص 5).

[7] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 356 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 216 .

يوسف الفلاحي[1] الذي كان يهودياً فأسلم[2]، وعين في يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر رمضان سنة 436 هـ /1044م[3]، ولقبه المستنصر بالله بـ(تاج الرياسة فخر الملك مصطفى أمير المؤمنين)[4].

وكان من أول أعماله في الوزارة أن قبض على أبي الحسن علي الأنباري صاحب الوزير أبي القاسم علي الجرجرائي وسجنه في خزانة البنود[5] ثم قتله ودفنه فيها[6]، فقد كان أبو الحسن علي الأنباري من جماعة الوزير أبي القاسم علي الجرجرائي ورفيقاً لأبي نصر صدقه الفلاحي وبينهما صحبة، فخاف منه أبو نصر صدقه الفلاحي عندما ولي الوزارة، وعمل على قتله في سنة 436هـ/1044م[7] وقيل أن قتله كان في سنة 438هـ/1046م[8].

وبوفاة الوزير أبي القاسم الجرجرائي بدأ نفوذ أمّ المستنصر بالله التي كانت جارية عند أبي سعيد التستري الذي أهداها إلى الخليفة الظاهر، فتزوجها وولدت له المستنصر بالله، وترقى أبو سعيد إلى درجة عالية بعد وفاة الظاهر حيث أصبح متولي ديوان أمّ المستنصر[9]، وكان أبو سعيد التستري يخاف من الوزير أبي القاسم الجرجرائي فلم يستطع إظهار ما في نفسه من حب السلطة[10]، فلما مات الجرجرائي

---

[1] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 216 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 150 .

[2] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 356 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 216 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 356 .

[3] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 216 .

[4] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 216 .

[5] – خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير الكائن بين قصر الشوك وباب العيد وكان يعمل فيها السلاح والبنود أي الأعلام ثم أستخدمت بعد ذلك كسجن في أيام المستنصر بالله ؛(انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 404) .

[6] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 .

[7] – ابن ميسر، المنتقى، ص 8 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 56 .

[8] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 51 .

[9] – ابن ميسر، المنتقى، ص 3 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 51 .

[10] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 51 .

وتولى الوزير صدقه بن يوسف بن علي الفلاحي مكانه[1]، حكمت أمّ المستنصر بالله الدولة وأصبحت صاحبة القرار[2]، كما أصبح وزيرها أبو سعيد التستري ذا شأن عظيم في الدولة بحيث لم يبق للوزير صدقه بن يوسف بن علي الفلاحي معه أمر أو نهي سوى لقب الوزارة[3] وبعض الصلاحيات[4].

وغضب الوزير صدقه بن يوسف بن علي الفلاحي من أبي سعيد التستري فأتفق الفلاحي مع الجند الأتراك على قتله فقتلوه[5] في شهر جمادى الأولى سنة 439هـ/1047م[6]، فحقدت أمّ المستنصر بالله على الوزير صدقه الفلاحي وصرفته عن الوزارة، ولم تكتفِ بذلك حتى قبضت عليه في سنة 439هـ/1047م[7] واعتقلته بخزانة البنود[8]، وفي شهر محرم[9] من سنة 440هـ/1048م[10] قتل الوزير صدقه بن يوسف الفلاحي في خزانة البنود ودفن فيها[11].

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 3 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 51 .

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 54 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 106، 149 ؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 155.

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 3 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28،ص 216؛المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج 1،ص 106.

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 3 .

[5] – ابن ميسر، المنتقى، ص 3؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 216 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 51، 106.

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 3 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 216 ؛ المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج 1،ص 51.

[7] – ابن ميسر، المنتقى، ص 3 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 217، 218 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 357 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 150 .

[8] – ابن ميسر، المنتقى، ص 3 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 217 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 357 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 52 .

[9] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 8 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، 52 .

[10] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 8 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 217 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، 52 .

[11] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، 52 .

وكان الوزير صدقه بن يوسف الفلاحي عندما ولي الوزارة قد قـام بأعتقـال أبي الحسن علي الأنباري وقتله ودفنه في خزانة البنود، فأعتقل هو أيضاً في نفـسه المكان الذي أعتقل فيه ابن الأنباري وقتل فيه أيضاً ودفن بجانبه[1]، وقيل بأنه وقبيـل قتل الفلاحي وأثناء قيام الجند بحفر قبره ظهر لهم رأس فسئل عنه الفلاحي فقال هذا رأس ابن الأنباري وأنا قتلته ودفنته في هذا الموقع وأنشد الفلاحي فقال :

ربّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكاً من تزاحُم الأضداد[2]

و من شدة غضب والدة المستنصر بالله على مقتل سيدها ووزيرها أبي سعيد التستري على يد الجند الأتراك أخذت في شراء عبيد السودان وأكثرت من عـددهم وجعلتهم خاصين بها، وأشتد أمرهم في الدولة إلى أن صار العبد يحكم حكم الولاة[3]، وخصتهم بالنظر، وبسطت لهم الرزق، ووسعت عليهم، وبدأت تظهر كرهها للأتراك وتنتقص منهم[4].

وبعد مقتل أبي سعيد التستري أوكل المستنصر بالله لأبـي نـصر إبـراهيم التستري أخو أبو سعيد التستري بالنظر في خزانة الخاص[5]، كما عين ابن أبي سعيد التستري في النظر في أحد الدواوين[6]، وكانت أمّ المستنصر بالله قد طلبت من أبـي نصر التستري بأن يقوم بخدمتها مكان أخيه الذي قتل إلا إنه رفض ذلك خوفاً مـن الوزير صدقه بن يوسف بن علي الفلاحي والأتراك واستمرت لمدة ثـلاث أشـهر تطلب منه ذلك وهو يمتنع[7].

---

1 – ابن القلانسي،ذيل تاريخ دمشق، ص 84 ؛ابن ميسر،المنتقى، ص 8 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفـا،ج 1، ص 56 .

2 – من شعر أبي العلاء المعرّي، (انظر : المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، 52) .

3 – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 225 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 106 .

4 – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 106 .

5 – خزانة الخاص : – لم يجد لها الباحث مصدراً ينفرد بالحديث عنها أو التعريف بها .

6 – الدواوين : جمع ديوان وهو موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال، (انظر : الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيـب البـصـري البغـدادي (ت 450هـ / 1058م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيـروت 1985م، ص 349، وسيشار إليه فيما بعد الماوردي، الأحكام السلطانية ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 3) .

7 – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 54 .

وولي مكان أبي سعيد التستري في نظر ديوان أمّ المستنصر بالله أبو محمد[1] الحسن ابن علي اليازوري[2]، حيث أشار أمير الأمراء المظفر رفق الخادم المستنصري[3] على أمّ المستنصر بالله بأن تستخدم اليازوري وزيراً لها فاستخدمته، فقد كان رفق المستنصري من المقربين إلى أمّ المستنصر[4].

وولي في منصب الوزارة مكان صدقه بن يوسف الفلاحي الوزير أبو البركات الحسين بن عماد الدولة محمد بن أحمد الجرجرائي[5] ابن أخي الوزير أبي القاسم الجرجرائي[6]، ولقبه المستنصر بالله بالوزير الأجل الكامل الأوحد علم الكفاءة سيد الوزراء ظهير الأمة عماد الرؤساء فخر الأمة ذي الرئاستين صفي أمير المؤمنين[7].

---

[1] – كان والد أبو محمد الحسن بن علي اليازوري قاضياً في قرية يازور التي أخذ اسمه منها وهي من أعمال الرمله، فلما توفي أباه خلع عليه القضاء في يازور مكان أبيه ثم عزل عنها، فقدم إلى مصر وسعى في العودة إلى أعمال القضاء في يازور ولكن قاضي القضاة لم يجبه لذلك فتعرف على رفق المستنصري الذي ساعده وأمر قاضي القضاة بأن يسمع قوله في مصر أي أن يتقبل شهادته ففعل ذلك، (انظر : ابن ميسر، المنتقى، ص 9؛ ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 357 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 218 ؛المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج 1، ص 52) .

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 5 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 218 .

[3] – هو أمير الأمراء المظفر فخر المُلك عدة الدولة وعمادها أمير الأمراء رفق الخادم المستنصري، من قادة الجيش الفاطمي، ولي أمرة دمشق يوم الخميس الثاني عشر من شهر محرم سنة 441هـ/1049م، أقام في دمشق مدة إلى أن جاءته الأوامر من مصر بالتحرك إلى حلب لانتزاعها من بني مرداس ولكنه هزم وأسر وتوفي في الأسر في العام نفسه، (انظر : ابن القلانسي، تاريخ، ص 139 ؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج 1، ص 266–267 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 44).

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 9؛ النويري، نهاية الأرب،ج 28، ص 218 ؛المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، 52، 55.

[5] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 5 ؛ ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 356 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 218 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 357؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 150 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 131 .

[6] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 5 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 218 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 357 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، 52 .

[7] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، 52 .

ومع مرور الأيام أصبح اليازوري ذا شأن في الدولة وترقى به الحال، وكان اليازوري يستمد سلطته من سيطرة أمّ المستنصر بالله على شؤون الحكم حيث وصلت به الحال إلى أن أمرته أمّ المستنصر بالله بأن لا يقوم لأي شخص مهما كانت منزلته فأمتثل لأمرها ولم يكن يقوم إلا لرفق المستنصري ولى نعمته، كما أصبح اليازوري يحضر في مجلس الخليفة الذي كان يستشيره في أمور الدولة، بحيث لا يقطع أمراً دون أن يستشيره فيه، كما كان المستنصر بالله لا يخاطب وزيره أبي البركات الحسين الجرجرائي إلا من خلال اليازوري، فثقل ذلك على الوزير أبي البركات الجرجرائي[1]، وخاف من أن يجمع لليازوري النظر في ديوان أمّ المستنصر بالله والوزارة، وأراد أشغاله بالقضاء كي لا يتفرغ لأي عمل أخر[2]، فبدأ الوزير الجرجرائي يعمل على تعين اليازوري في منصب قاضي القضاة، فأفسد الجرجرائي بين قاضي القضاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان والمستنصر بالله وطعن في أحكامه وعابها وزاد من مدح اليازوري عند الخليفة فوصفه بالعقل والمعرفة التامة بالقضاء والأحكام، وحسن السياسة والصبر[3]، وأشار على المستنصر بالله أن يوليه القضاء[4]، وكان لقاسم بن عبد العزيز بن النعمان في منصب قاضي القضاة أكثر من ثلاث عشرة سنة[5]، فأمر المستنصر بالله بصرفه عن القضاء[6]على أن يولى مكانه أبا محمد الحسن اليازوري[7]، فعندما بلغ ذلك اليازوري خشي من أبعاده عن أمّ المستنصر بالله، فاستشارها بذلك، فقالت له : (لا يضيق صدرك فأني لا أستبدل بك أحداً ولا يهولانك أمور القضاء فأن القضاعي وابن أبي زكريا ينفذان الأمور مكانك وأجعل نزولك إليهم يومان في الأسبوع وفيهما يكون ولدك ينوب عنك

---

[1] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 131 ؛ تامر، المستنصر بالله، ص 11.

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 9 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 221 .

[3] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 131 .

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 9 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 131 .

[5] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 59 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 42 .

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 9 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 59 .

[7] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 42 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 131 ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 150 .

عندي)، فأستقر الأمر على ذلك وخلع عليه ولقبه المستنصر بالله بقاضي القضاة داعي الدعاة الأجل المكين عمدة الدين أمين أمير المؤمنين، وكانت ولايته للقضاء في شهر محرم سنة 441هـ/1049م[1].

واستناب اليازوري ولده الأكبر أبا الحسن محمد في النظر في القضاء ولقب بالقاضي الأجل خطير الملك[2]، وأقام ابنه الأخر في النظر بديوان أمّ المستنصر بالله[3]، ثم أرسل الوزير أبو البركات الحسين الجرجرائي إلى أمّ المستنصر بالله يطلب منها استخدام ابنه عندها بدلاً من أبي محمد الحسن بن علي اليازوري، فقالت له: (لا أستبدل بكاتبي أحداً)، فعرف أبو البركات الحسين الجرجرائي بأن حيلته قد فشلت، وأن منزلة اليازوري زادت فأخذ في مداراته حيث أجتمع به وتعاهدا وتواثقا وصارا يجتمعان يوماً في الشهر عند بيت الوزير أبي البركات الجرجرائي[4].

وفي شهر شوال من سنة 441هـ/1049م[5] ألقي القبض على الوزير أبي البركات الجرجرائي وصرف عن الوزارة[6]ونفي إلى مدينة صور[7]، وذلك بسبب أن والدة المستنصر بالله قد طلبت منه أن يوقع ما بين الأتراك والعبيد الذين أخذت في شرائهم والإكثار من عددهم، فخاف الوزير أبو البركات الجرجرائي من عاقبة الأمور ولم يفعل فغضبت منه أمّ المستنصر بالله وصرفته عن الوزارة[8]، هذا بالإضافة إلى أن جميع أيامه في الوزارة وصفت بالرديئة، وذلك لكثرة اعتقالاته للناس ومصادرته لأموالهم ونفي

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 9 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 42 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 131 .

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 9 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 60 .

[3]– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 60 .

[4] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 60 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 131 .

[5] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 61 .

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 16 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج 1، ص 61 ؛الخطط المقريزية، ج 2، ص 42 .

[7] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 218 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 61 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 42 .

[8] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 225 .

بعضهم دون علم الخليفة فكثر ذمه بين الناس وكان من جملة من اعتقلهم ناصر الدولة[1] الحسن بن حمدان[2]، وكان له في منصب الوزارة سنه وتسعة أشهر وعشرة أيام[3]، وعمل مكانه أبو المفضل صاعد بن مسعود في الوساطة عند الخليفة[4]وفي النظر في الدواوين[5]ولقبه المستنصر بالله بعميد الملك زين الكفاءة[6].

وبعد إلقاء القبض على الجرجرائي أجتمع ناصر الدولة الحسين بن الحسن بن حمدان باليازوري الذي لم يكن له في القضاء إلا مدة يسيرة وأشار عليه بإستلام الوزارة مع القضاء وتحدث له في ذلك مع المستنصر بالله، فقبل المستنصر بالله وولاه الوزارة[7] في شهر محرم[8] من سنة 443هـ/1051م [9]، حيث

---

[1] – هو الأمير المظفر ناصر الدولة ذو المجدين أبو محمد الحسن بن الحسين بن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن أبي الهيجاء حمدان بن حمدون التغلبي من كبار قواد الدولة الفاطمية، ولي دمشق يوم الأربعاء السادس عشر من شهر جمادى الآخرة سنة 433هـ/1041م بدلا من الدزبري ؛ قطعت يده في معركة الفنيدق التي جرت بينه وبين نصر بن صالح بن مرداس وهو أخر من بقي من أولاد بني حمدان ملوك حلب تزوج من أبنة القائد التركي الأمير الدكز ولقب نفسه بسلطان الجيوش توفي سنة 465هـ/1073م بعد أن سيطر على أغلب البلاد الفاطمية وخطب بها للعباسيين، (انظر : ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 83، 86 ؛ ابن ظافر، أخبار الدول، ج1، ص 106 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 397 ؛ أبو الفداء،المختصر، ج 1، ص 548 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 232 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 92).

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 10 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 60، 150 ؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 156 .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 61 .

[4] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 357 .المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 150 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 42 ؛ تامر، المستنصر بالله، ص 11 .

[5] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 218 .

[6] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 61 .

[7] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 16؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 218، 222.المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 150 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 42 .

[8] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 62 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 131؛ تامر، المستنصر بالله، ص 11 .

[9] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 131 .

أصبح من أعماله الوزارة وقضاء القضاة والنظر في ديوان أمّ المستنصر[1]، وزاد المستنصر بالله من ألقابه بـ (الناصر للدين[2]، غياث المسلمين، الوزير الأجل المكرم، سيد الرؤساء، تاج الأصفياء، قاضي القضاة[3] وداعي الدعاة[4]،سيد الوزراء)[5]، وخلع عليه خلعاً فاخرة[6].

وفي عهد الوزير أبي محمد الحسن بن علي اليازوري مرت على الدولة الفاطمية الكثير من الأحداث الخطرة ومنها يذكر إنه في سنة 443هـ/1051م[7] تجمع عرب البحيرة وخرجوا عن طاعة المستنصر بالله، وكان ذلك بسبب قيام الوزير أبي محمد اليازوري بتولية رجل عليهم يقال له المقرب، فنفروا منه وطالبوا بعزله عنهم، حيث حضر عدد من كبارهم إلى الوزير اليازوري للمطالبة بعزل الوالي الجديد وللمطالبة أيضاً باعطياتهم[8]وأغلظوا له في القول[9] فنفر فيهم اليازوري ولم يستجب لطلبهم وهددهم، فشقوا عصا الطاعة للدولة وأظهروا العصيان، وأجتمعوا على محاربته في الجيزة، فجهز إليهم اليازوري جيشاً وجرت بينهم معركة في منطقة كوم شريك[10] في شهر ذي القعدة من سنة 443

---

[1] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 357 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 221 .

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 11 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 131 .

[3] – كان قاضي القضاة هو الذي يجلس للنظر في القضاء قبل إلحاق هذا المنصب بالوزارة، ولكن بعد إلحاقه بالوزارة صار القاضي الأجل نائباً للوزير في قضاة القضاة ويجلس للنظر في القضاء في المسجد، (انظر : عزام، الدولة الفاطمية، ص62) .

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 11 ؛ تامر، المستنصر بالله، ص 11 .

[5] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 42 .

[6] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 .

[7] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 219 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 66 .

[8] – ابن ميسر، المنتقى، ص 12، 13 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 219 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج3، ص 200 .

[9] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 219 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 66 .

[10] – كوم شريك : هو موقع بالقرب من الإسكندرية، وتنسب إلى الصحابي شريك بن سمي، (انظر : ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ /1228م)، معجم البلدان، دار صادر، (د.ط)، بيروت – لبنان(1984م)، ج4، ص 495، وسيشار إليه فيما بعد ياقوت، معجم البلدان ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص224، 225 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 317؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص 183 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 21، 22) .

هـ/1051م أسفرت عن هزيمة الجيش الفاطمي، فجهز اليازوري جيشاً أخر وهزمهم وقتل منهم عدداً كبيراً وفر من بقي منهم إلى منطقة برقه[1]، وحملت رؤوس القتلى إلى القاهرة ومعها أموالا كثيرة[2]، كما توقف النيل عن الفيضان خلال الفترة من سنة 445هـ-447هـ /1053م -1055م[3] الأمر الذي أدى إلى ارتفاع الأسعار، فاتخذ الياوزري الكثير من الإجراءات أدت إلى أن انخفضت الأسعار وعادت كما كانت عليه سابقا[4]، وكانت والدة المستنصر بالله قد طلبت منه أن يوقع ما بين الأتراك والعبيد، فلم يقبل منها اليازوري ذلك ودبر الأمر وساسه إلى أن قتل[5].

وفي سنة 450هـ/1058م وشي باليازوري عند المستنصر بالله بأنه قد كاتب السلطان طغرلبك السلجوقي[6] ودعاه إلى السيطرة على الديار المصرية، وشجعه على ذلك [7]، ولكن بعض المؤرخين فسّروا تصرف اليازوري هذا بأنه من أجل حماية

---

[1] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 219 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج3، ص 200.

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 12، 13 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 219 .

[3] - ابن ميسر، المنتقى، ص 15 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 71، 75 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 43 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 132 .

[4] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 71، 75 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 43، ابن حجر، رفع الاصر، ص 132 .

[5] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 225 .

[6] – هو طغرلبك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق سلطان الغز، قدم إلى بغداد سنة 447هـ/1055م ولقبه الخليفة العباسي القائم بأمر الله بملك المشرق والمغرب وهو أول ملوك بني سلجوق وهو الذي أزال دولة بني بويه من العراق ومهد الطريق لقيام دولة السلاجقة ورد ملك العباسين بعد أحداث البساسيري وتزوج أبنة الخليفة القائم بأمر الله، كان شجاعاً مقداماً حليماً، توفي في الري يوم الجمعة الموافق الثامن من رمضان سنة 455هـ/1063م وكان عمره السبعون سنة وقيل بل تجاوز الثمانون ولم يكن لـه أبناء فتولي مكانه ابن أخيه ألب أرسلان، (انظر : العماد الاصفهاني، البستان الجامع، ص 303 ؛ ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد (ت 660هـ /1261م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، (د.ط)، دمشق – سوريا 1988م، ج 4، ص 1971، وسيشار إليه فيما بعد ابن العديم، بغية الطلب ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص 184 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 538 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 74 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 418 ؛ شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي – الدولة العباسية، المكتب الإسلامي، ط1، بيروت(1985م)، ج 2، ص201، وسيشار إليه فيما بعد شاكر، التاريخ الإسلامي).

[7] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 449 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 221 .

بلاد الشام وذلك إنه عندما علم اليازوري أن طغرلبك قد ملك بغداد وأنه مستعد للتوجه إلى بلاد الشام ليملكها فرأى اليازوري أن الحيلة أفضل من الأستعداد لمواجهته فكتب إلى السلطان طغرلبك يهنئه بوصوله بغداد ويعلن تأييده له، وشكك اليازوري في هذه الرسالة بصحة نسب الفاطميين وأيد فيها نسب العباسيين مؤكداً له فيها بأنه لا يمانع في مبايعتهم بالولاء وتسليم الشام لهم طوعاً بدلاً من إراقة الدماء، وكذلك بعث اليازوري إلى أخي طغرلبك من أمه إبراهيم ينال[1] وإلى زوجة طغرلبك خاتون[2]، وعندما أستلم طغرلبك الرسالة أعجب بما جاء بها وفرق الجند، فأرسل إليه اليازوري برسالة جاء فيها بأنه قد أغراه بما جاء بكتابه السابق وطلب منه خلع القائم والدعوة للمستنصر بالله وهدد بقتاله إن لم يفعل، ولما وصلت هذه الرسالة إلى طغرلبك أرسل إلى أخيه إبراهيم ينال يطلب منه جمع الجند، فلم يأتي إليه أحد وكان ذلك بسبب ظهور البساسيري، ومن الأسباب الأخرى التي أدت إلى عزل اليازوري أن المستنصر بالله قد غضب على اليازوري وحسده على المرتبة الرفيعة التي وصل إليها وعلى الغنى الفاحش الذي أصبح به هو وولده صفي الدين، حيث وصل اليازوري إلى مرتبة تفوق مرتبة المستنصر بالله نفسه[3]، كذلك وصف اليازوري بسوء التدبير حيث إنه أسهم في خروج أفريقيا وحلب عن طاعة المستنصر بالله[4]، فقبض عليه[5] في أول شهر محرم من سنة

---

[1] – إبراهيم ينال : هو أحد قادة ومؤسسي الدولة السلجوقية، وسيطر على بلاد واسعة كالري وهمذان والموصل، خرج على أخيه السلطان طغرلبك مراراً كان أخرها في سنة 450هـ/1058م مما دفع طغرلبك إلى قتله في سنة 451هـ/1059م، (انظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 341-345) .

[2] – هي زوجة السلطان طغرلبك السلجوقي، كثيرة التدين والصدقات، كانت صاحبة رأي وتدبير وحزم وعزم وكان زوجها طغرلبك سامعاً ومطيعاً لها وكانت تسير أعلام الجيوش وتقاتل الأعداء، توفيت سنة 452 هـ/1160م، (انظر : ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 68) .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 82 .

[4] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 222 .

[5] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 449 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 221 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 370 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 82 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 43 .

450هـ/1058م[1] وقرر عليه وعلى أصحابه أموالا عظيمة[2]، ونفي إلى مدينة تنيس[3] وقتل بها[4] في شهر صفر من سنة 450هـ/1058م[5].

وبمقتل اليازوري زينت بلاد الروم وكثر أبتهاج البيزنطيين بأنه قد صـــرف عنهم، وذلك لتشدده في محاربتهم والتضييق عليهم[6]، وبعد وفاته أخذ نفوذ الفاطميين في بلاد الشام وعلاقة الفاطميين مع البيزنطيين تضعف نتيجة أستيلاء السلاجقة على معظم بلاد الشام وحلولهم محل الفاطميين[7].

وتقلد منصب الوزارة مكان أبي محمد اليازوري عميد الخلافة أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي[8]، كما تقلد مكانه في القضاء أبو علي أحمد بن عبد الحكيم بـــن سعيد، وصرف أبو القاسم عبد الحاكم بن وهيب بن عبد الرحمن المليجي عن مهمـــة داعي الدعاة وتولى مكانه المؤيد في الدين أبو نصر هبة الله بن موسى الشيرازي[9].

كان أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي عدواً لليازوري، فعمل عنـــد توليتـــه الوزارة على أعتقال أصحاب اليازوري[10]، ومن جملة مـــن ألقـــي القـــبض علـــيهم واعتقلهم أبي الفـــرج[11] محمد بن جعفر بـــن محـــمد المغربي[12] كما اعتقل أســـرة

---

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 82 .

[2] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 449،

[3] – تنيس : هي جزيرة مصرية تقع بين الفرما ودمياط، (انظر : – ياقوت، معجم البلدان، ج 2، ص 51) .

[4] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 221 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 370 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 82 .

[5] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 221 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 82 .

[6] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 74 .

[7] – المناوي، الوزارة والوزراء، ص 224 .

[8] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 357 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 372 ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 202 ؛ تامر، المستنصر بالله، ص 12 .

[9] – ابن ميسر، المنتقى، ص 18 ؛ المقريزي، اتعـــاظ الحنفـــا، ج 1، ص 93 ؛ الخطـــط المقريزيـــة، ج 2، ص 43 ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 149 .

[10] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 5، ص 502 .

[11] – هو الوزير أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن محمد المغربي ابن يوسف بن بحـــر بن بهرام بن جور بن يزدجرد ؛ الوزير الأجل الكامل الأوحد صفي أمير المؤمنين وخاصته، سار إلى المغرب وخدم هناك ثم تقلبت به الأحوال فعاد إلى مصر في أيام الوزير الناصر لدين الله أبي محمد الحسن اليـــازوري، فأصـــطفاه وولاه ديوان الجيش وأنتمى إلى أمّ المستنصر بالله وأعتنت به، (انظر : المقريزي، المقفى الكبير، ج 5، ص 502).

[12] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 223 .

اليازوري الذي كان قد أوصاه بهم خيراً عندما نفي[1]، ولم يكتفِ البابلي بـذلك بـل عمل وبكل جهده على قتل اليازوري، حيث جهز إلى اليـازوري من قتله في منفـاه بـغير علم المستنصر بالله[2]، فقد أرسل شخص يدعى طاهر وكان يعمل كاتباً للـسر ليقتله، فقتله في الثاني والعشرون من شهر صفر سنة 450هـ/1058م، وطرحـت جثة اليازوري في المزبلة ثلاثة أيام ثم دفـن[3]، وهـذا الأمـر أدى إلـى غـضب المستنصر بالله وأمه[4]، فأمر بعزل البابلـي عن الوزارة في شهر ربيع الأول مـن سنه 450هـ/1058م، وكان أبـا الفرج البابلي قد بقي في منصب الـوزارة أثنـان وسبعين يوماً فقط، حيث قـال المستنصر بالله : أن اليازوري أقام في خدمتنا عشرة سنوات وعددنا عليه تسعة عشر ذنباً وأقام البابلي في خدمتنا أثنان وسـبعين يومـاً عددنا عليه تسعة عشر ذنباً منها قتله اليازوري دون علمنا وكذبه وقلة احتـشامه[5]، وقد أخرج المستنصر بالله أبا الفرج محمد بن جعفر بن محمد المغربي من الـسجن وولاه الوزارة مكان البابلي في شهر ربيع الآخر من السنة نفسها[6]، فعفـى الـوزير المغربي عن البابلي ولم يتعرض لـه بسؤ أو لأحد من أصحابه[7].

3.2 الأوضاع السياسية في بلاد الشام :

كانت ولاية حلب تتبع فـي حكمهـا إلـى الدولـة الفاطميـة وفـي سـنة 428هـ/1036م ساءت العلاقة بين والي حلب نصر بن صالح بن مـرداس وبـين

---

[1] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 132 .

[2] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 223 .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 93 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 132 .

[4] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 82 .

[5] – المصدر نفسه، ج 1، ص 93 .

[6] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 357 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 223 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 372 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 93، 150 ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 202 ؛ تامر، المستنصر بالله، ص 12 .

[7] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 150 ؛ المقفى الكبير، ج 5، ص 502 .

الخليفة المستنصر بالله، فأرسل نصر بن صالح هديه إلى ملك الروم[1] وأخبره بما آلت إليه العلاقات مع المستنصر بالله، فأشار عليه ملك الروم بالرجوع إلى طاعة المستنصر بالله واسترضائه، فأستجاب نصر بن صالح إلى مشورته وأرسل وفداً كبيراً محملاً بالهدايا الجليلة إلى القاهرة، فرضي عنه المستنصر بالله وأضاف إليه أعمال حمص ولقبه بـ (مختص الأمراء خاصة الإمام شمس الدولة ومجدها ذي العزيمتين)، فغضب على ذلك والي دمشق أمير الجيوش أنوشتكين الدزبري[2]، وأخذ في مضايقة أصحاب نصر بن صالح[3].

وفي سنة 429هـ/1037م بعث والي دمشق أمير الجيوش أنوشتكين الدزبري جيشاً لمقاتلة نصر بن صالح، فالتقى الجيشان بالقرب من حلب وجرت بينهم معركة قتل فيها نصر بن صالح في شهر شعبان من سنة 429هـ/1037م وحمل رأسه إلى دمشق[4]، فعمل أخوه معز الدولة ثمال[5] على السيطرة على حلب قبل

---

[1]- هو الأمبراطور ميخائل الرابع حكم من سنة 425هـ /1034م ولغاية سنة 536هـ/ 1041م، (انظر : حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريه وبلاد العرب، (د.ط)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (1958م)، ص259، وسيشار إليه فيما بعد حسن، تاريخ الدولة الفاطمية).

[2] – هو أمير الجيوش قسيم الدولة أنوشتكين أبو منصور التركي الدزبري الختني، ولد بختن من بلاد الترك، كان مولى لدزبر بن أونيم الديلمي المعروف بأمير الجيوش، ولي إمارة دمشق من قبل الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله في سنة 419هـ / 1027م، كان شجاعاً وعادلاً وصارماً وحسن السياسة وعظيم الهيبة، طرد العرب المفسدين من الشام وأمنت الطرق في أيامه، هرب عنها في سنة 433هـ /1041 م إلى مدينة حلب بعد خلاف وقع بينه وبين جنده، فأقام في حلب ثلاثة أشهر ومات أثر مرض أصابه، (انظر: ابن القلانسي، تاريخ، ص 116-125 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج1، ص 519 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 29، 30 ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 36) .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 46 .

[4] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص514 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 112 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 46 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 46 .

[5] – هو أبو علون ثمال بن صالح بن مرداس الكلابي، من ملوك الدولة المرداسية في حلب، كان كريماً حليماً شجاعاً، ولي الملك سنة 434هـ/1038م وكانت الدولة في مصر للفاطميين فسيروا إليه ثلاثة جيوش أستطاع أن يصدها ثم كاتب المستنصر بالله وأرسل إليه الهدايا الثمينة فتنازل له عن حلب ؛ (انظر: الأعلام، ج 2، ص 100 ؛ ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد (ت 660هـ /1261م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، (د.ط)، دمشق – سوريا(1371هـ / 1951م)، ج1، ص259- 288، وسيشار إليه فيما بعد ابن العديم، زبدة الحلب) .

قدوم أمير الجيوش أنوشتكين إليها واستخلف بها ابن عمه مقلد بن كامل بن مـــرداس واتجه إلى أخواله بني خفاجه ليستنجد بهم، ولكن جيش أنوشتكين قـــد سـبقه وأخـذ المدينة حيث تسلم الدزبري قلعتها في يوم الثلاثاء الثامن من شهر رمـضان سـنة 429هـ / 1037م واستولى على المناطق التابعة لها وعاد راجعا إلى دمشق[1].

وفي سنة 429هـ/1037م هادن الخليفة المستنصر بالله ملك الروم علـى أن يطلق خمسة الآف أسير من أسرى المسلمين مقابل أن يمكنه من إعادة أعمار كنيسة القيامة[2] التي خربها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، فأطلق الأسرى وأعاد أعمـار الكنيسة حيث أرسل إليها ملك الروم أموالا كثيرة[3]، ولكن ملك الروم نقض الهدنة في سنة 432هـ/1040م حيث أغارت جيوشه على حلب وهزمت جيش الدزبري الذي كان متواجداً بها، فقد كان ثمال بن صالح بن مرداس وأبن عمــه المقلـد المـالكين لمدينة الرقة[4] قد أرسلوا إلى ملك الروم بالهديا من أجل عقد هدنه معه، ولكن ملـك الروم طلب منهم دفع المال مقابل أعطائهم مدينة الرقة، وعندما علم أمير الجيـوش أنوشتكين بذلك غضب وأرسل إلى ثمال وأبن عمه برسالة يهددهم ويـرغبهم فيهـا، فأجاباه بالأعتذار عما بدر منهم، وعمل قوم من بني جعفر بن كلاب على مـضايقة جيوش الروم فكمنت لهم جيوش الروم وأوقعوا بهم، فأرسل أمير الجيوش أنوشتكين جيشاً إلى الروم وانتصر عليهم وقتل منهم أعداداً كبيرة، كما عزم أميـر الجيـوش أنوشتكين على إرسال جيشٍ أخر إلى الروم ولكنهم هادنوه حتى سـكنت الحـرب بينهم[5].

---

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 46 .

[2] – هي أعظم كنيسة للنصارى في بيت المقدس، ولم فيها مقبرة يسمونها القيامة لاعتقادهم أن المـسيح قامـت قيامته فيها، (انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج 4، ص 396).

[3] – أبو الفداء، المختصر، ج، ص 151 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 47 ؛ حـسن إبـراهيم، تـاريخ الدولة، ص 259.

[4] – الرقة : هي مدينة تقع على نهر الفرات وتعد من بلاد الجزيرة الفراتية، (انظر : ياقوت الحمـوي، شـهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ /1228م)، معجم البلدان، دار صـادر، (د.ط)، بيروت – لبنان(1984م)، ج 3، ص59، وسيشار إليه فيما بعد بياقوت، معجم البلدان).

[5] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 47 .

وقد مرض أمير الجيوش أنوشتكين الدزبري وتوفي بحلب في شهر جمادى الآخرة سنة 432هـ/1040م[1]، وتولى مكانه في ولاية دمشق ناصر الدولة الحسن بن حمدان في يوم الأربعاء السادس عشر من شهر جمادى الآخرة سنة 433هـ/1041م[2].

و بعد وفاة أمير الجيوش أنوشتكين الدزبري قدم ثمال بن صالح بن مرداس وأبن عمه المقلد[3] إلى حلب وحاصرا قلعتها لمدة سبعة أشهر إلى أن سيطرا عليها في شهر صفر من سنة 435هـ/1043م وقتلا من بها[4]، فلما بلغ ذلك إلى المستنصر بالله أرسل إلى ثمال بن صالح الخلع والهدايا والتحف وسجلاً بتوليته وكان في حلب مائتا ألف دينار أخذها ثمال بن صالح[5].

وفي سنة 437هـ/1045م تم تجديد الهدنة بين ملك الروم[6] والمستنصر بالله والتي أبرمت سابقاً بين ملك الروم والظاهر لإعزاز دين الله، وكانت هذه الهدنة قد انتهت فعلياً منذ أربع سنوات[7]، وفي سنة 437هـ/1045م أرسل ملك الروم قسطنطين التاسع هدايا ثمينة إلى المستنصر بالله كما قام المستنصر بالله بإرسال هدية له أكثر قيمه من تلك التي بعثها ملك الروم[8].

وفي سنة 440هـ/1048م سار أمير دمشق ناصر الدولة أبو محمد الحسن ابن الحسين بن الحسن بن حمدان ووالي حمص شجاع الدولة جعفر بن كليد بالجيش والقبائل إلى حلب لقتال أميرها ثمال بن صالح بن مرداس، وذلك لأن ثمال لم يقم بدفع ما ترتب عليه للدولة الفاطمية حيث إنه أتفق مع الوزير صدقه بن يوسف

---

[1] – المصدر نفسه، ج 1، ص 47 .

[2] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 83 .

[3] – ورد ذكره على إنه عمه، (انظر المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 47) .

[4] – العماد الاصفهاني، البستان الجامع، ص 297 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 354 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص47 .

[5] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، 47 .

[6] – هو الأمبراطور قسطنطين التاسع حكم من سنة 434هـ/ 1042م لغاية سنة 446هـ/ 1054م، (انظر : حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 259).

[7] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 50 ؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 208 .

[8] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 50 .

الفلاحي أن يدفع كل سنة عشرين ألف دينار فتأخر عن الدفع لمدة سنتين، وكان شجاع الدولة جعفر بن كليد يحث الوزير صدقه بن يوسف الفلاحي على عقاب ثمال ابن صالح ويهون له من أمر حلب، فخرج الأمر من القاهرة إلى ناصر الدولة ابن حمدان بالتوجه إلى حلب مع والي حمص شجاع الدولة، فنزلوا على حماه وأخذوها وحاصروا حلب في شهر ذي القعدة سنة440هـ/ 1048م وجرت بينهم وبين ثمال ابن صالح عدة معارك؛ أسفرت عن رحيل ناصر الدولة ابن حمدان عنها بغير طائل، وبعث ثمال بن صالح إلى المستنصر بالله يسأله العفو عنه، وكان المتوسط بينهم أبو نصر إبراهيم أخو أبو سعيد التستري فعفى عنه المستنصر بالله، ثم ورد إلى المستنصر بالله رسول من الشام يخبره بأن مقلد بن كامل بن مرداس قد قتل جعفر بن كليد أمير حمص وشهر برأسه في حلب وأسر الكثير من جيشه وذلك في شهر شعبان من سنة 440هـ/1048م، فغضب لذلك المستنصر بالله[1].

ونظراً للعلاقات السيئة التي أصبحت بين ثمال بن صالح والمستنصر بالله ولكون أبي نصر إبراهيم التستري كان الوسيط بينهما؛ عمل الوزير أبو البركات الجرجرائي على إقناع المستنصر بالله بأن أبا نصر إبراهيم التستري هو جاسوس لثمال بن صالح، وأنه قد تآمر مع ثمال ليضر بالدولة ولينتقم من مقتل أخيه أبي سعيد التستري، وأن ناصر الدولة ابن حمدان قد أساء في رجوعه عن حلب، فقبض المستنصر بالله على أبي نصر إبراهيم التستري في سنة 440هـ/1048م وصادر أمواله وعاقبه حتى مات تحت الضرب في سنة 441هـ/1049م [2]، كما ولي دمشق بهاء الدولة وصارمها طارق المستنصري[3] فدخلها في شهر رجب سنة 440هـ/1048م سراً وقبض على واليها ناصر

---

[1]- المصدر السابق، ج1، ص 55 .

[2] - المصدر السابق، ج 1، ص 56، 6.

[3] - هو بهاء الدولة وصارمها القائد طارق الصقلبي المستنصري تولى إمارة دمشق يوم الجمعة في مستهل شهر رجب سنة 440هـ/1048م، (انظر : ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84) .

الدولـــة الحسن ابن حمدان[1] وحمله إلى صــــور[2] ثـم نقلـــه منها إلـــى الرملــــــة[3]، ثـــم أرسلـــه إلى القاهرة[4] حيث أعتقل[5].

وفي شهر ذي القعدة من سنة 440هـ/1048م خرج رفق الخادم من القاهرة قاصداً حلب بجيشٍ بلغ عدده حوالي ثلاثين ألف فارس، وعندما أصبح فـــي الرملـــة وصل رسول من عند صاحب القسطنطينية يسعى بالصلح بين المستنصر بالله وثمال بن صالح بن مرداس فوافق المستنصر بالله على الصلح وفشلت حملة رفق الخـــادم الذي كان قد وصل إلى دمشق[6]، وولي رفق الخادم إمارة دمشق في شهر محــــرم سنة 441هـ/1049م بدلاً من بهاء الدولة وصارمها طارق المستنصري، ثم جـــاءه أمر المستنصر بالله بالتوجه إلى حلب، فترك رفق الخادم مدينة دمـــشق فـــي شـــهر صفر من سنة 441هـ/1049م وقد أناب مكانه في ولاية دمشق الأمير المؤيد عـــدة الإمام الملك معين الدولة ذو الرئاستين حيدره بن الأمير غضب الدولة بن حـــسين[7]، وجرت بينهم معركة هزمه على أثرها ثمال بن صالح بن مرداس وأخذه أسيراً إلـــى حلب حيث مات فيها متأثراً بجراحه[8]، وعندما علم المستنصر بالله بما جرى لرفـــق الخادم أمر بالإفراج عن ناصر الدولة ابن حمدان[9]، وولى الأمير المؤيـــد مـــصطفى الملك معز الدولة ذا الرئاستين حيدره بن الأمير عصب الدولة حسين بن مفلح[10] في

---

[1] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 ؛أبن ميسر، المنتقى،ص 7، 9 ؛المقريزي، اتعاظ الحنفـــا، ج 1، 56 .

[2] – صور : هي مدينة حسنة حصينة، يحف بها البحر من ثلاث جهات، وفيها ربض يعمل فيه الزجاج والفخار، (انظر : ابن شداد، الأعلاق، ص 163) .

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 7، 9 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، 56 .

[4] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 .

[5] – ابن ميسر، المنتقى، ص 10 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 60، 150.

[6] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، 56 .

[7] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 85 .

[8] – ابن ميسر، المنتقى، ص 9 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 60؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 42 .

[9] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 61 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 42 .

[10] – هو أبو المكارم المؤيد حيدرة بن مفلح ولي دمشق من قبل المستنصر بالله في شهر جمادى الأولى من سنة 441هـ / 1049م، وبقي والياً عليها لسنة 450هـ /1058م، ثم ولي على إمارة دمشق للمرة الثانية فـــي=

إمارة دمشق وذلك في شهر رجب من سنة 441هـ/1049م [1]، وفي شهر شعبان من سنة 445هـ/1053م ولي ناصر الدولة الحسن بن حمدان إمارة دمشق للمرة الثانية[2].

وفي سنة 442هـ/1050م توسل ثمال بن صالح لدى المستنصر بالله من أجل الصفح عنه، مقابل إطلاق السجناء لديه من جيش المستنصر بالله، كما أرسل زوجته علوية بنت وثاب بن جعفر النميري وولده وثاب إلى المستنصر بالله محملين بالأموال والهدايا، فاستقبلهم الوزير أبو محمد اليازوري وقبل المستنصر بالله الصفح عنه وزاد في ألقاب ثمال بن صالح بن مرداس وأبن عمه المقلد[3].

وعندما توقف النيل عن الفيضان خلال الفترة من سنة 445-447هـ /1053 - 1055م[4] وأرتفعت الأسعار في مصر[5]، عزم ملك الروم على إرسال مائة ألف قفيز[6] قمح هديه من ماله الخاص فلما رأى الروم ذلك ظنوا به ميلاً للإسلام فقتلوه في شهر شوال من سنة 445هـ/1053م وأقاموا مكانه رجلاً يعرف بأبن سقلاروس من أهل أنطاكيا وكان خبيثاً فاعترض الهدايا وأخذها وقرر إنفاق ثمنها على قتال المسلمين[7].

اتجهت حملة عسكرية من القاهرة في سنة 447هـ/1055م بقيادة مكين الدولة الحسين بن على بن ملهم[8] وبمساعدة قبائل الكلبيين[9] بأتجاه بلاد الروم،

= شهر ذي القعدة من سنة 453هـ /1061م إلى أن عزل عنها في شهر ربيع الأول من سنة 455هـ /1063 م، (انظر : - الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 44) .

[1] - ابن ميسر، المنتقى، ص 10 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، 61 .

[2] - ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 86 .

[3] - ابن العديم، زبدة الحلب، ج 1، ص 267 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 62 .

[4] - ابن ميسر، المنتقى، ص 15 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 71، 75 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 43 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 132 .

[5] - المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 71، 75 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 43، ابن حجر، رفع الاصر، ص 132 .

[6] - القفيزة : تساوي تقريبا ستة وثلاثين صاعاً، والصاع الواحد يساوي مابين خمسة الى ثمانية أرطال، (انظر: هنتس، المكاييل، ص 67، 75)

[7] - المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 71،

[8] - هو مكين الدولة أبو علي الحسن بن علي بن ملهم بن دينار العقيلي، (انظر: ابن ميسر، المنتقى ، ص 15).

[9] - القبائل الكلبيين : هم بنو كلب من بطون قضاعة من القحطانية ، (انظر : القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأنباري، الشركة العربية للطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة(1959م)، ص408، وسيشار إليه فيما بعد القلقشندي، نهاية الأرب) .

وأستولوا على حصن قسطول من المناطق التابعة لمدينة حلب وذلك في شهر ربيع الأول من السنة نفسها، وأستولوا كذلك على بلدة أفاميه، وجرت بينهم وبين الروم معركة بحرية كان الظفر بها للمسلمين حيث هاجموا مدينة طرابلس وقتل من الطرفين أعداد كثيرة فيها[1]، كما توغل جيش الفاطميين في بلاد الروم ونشروا فيها الخراب والدمار إلى أن أستقر الأمر على قيام ملك الروم ابن سقلاروس بدفع ما فرض عليه من الجزية والتي زادت على ثلاثين ألف دينار وحملت إلى أنطاكيه، فلما بلغهم مقتل الوزير أبو محمد اليازوري أعادوا الجزية إلى القسطنطينية[2]، الأمر الذي آثار غضب المستنصر بالله، وتزامن هذا الحدث مع إقامة الخطبة العباسية في جامع القسطنطينية، فعندما كان رسول المستنصر بالله إلى ملك الروم القاضي أبو عبد الله القضاعي[3]في القسطنطينية جاء رسول من السلطان طغرلبك بن سلجوق يلتمس من الملكة تيودورا[4]أن تسمح لرسوله بالصلاة في جامع القسطنطينة، فسمحت له بذلك، فدخل وصلى به وخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله، فبعث القضاعي بذلك إلى المستنصر بالله، الأمر الذي زاد من غضب المستنصر بالله فأمر بأخذ جميع ما في كنيسة القيامة وإخراج البطريرك منها وأغلق جميع الكنائس في مصر والشام، ولم يكتفِ بذلك بل طالب الرهبان بدفع الجزية لمدة أربع سنوات وزاد الجزية على النصارى، وكان ذلك في سنة 447هـ/1055م[5]، وبهذا ابتدأ الفساد بين البيزنطيين والفاطميين[6].

---

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 75 .

[2] – المصدر السابق، ص 74 .

[3] – هو محمد بن جعفر بن علي بن حكمون أبو عبد الله القضاعي، مؤرخ، مفسر، من علماء الشافعية، كان كاتباً للوزير علي بن محمد الجرجرائي تولى القضاء في مصر وتوفي بها سنة 454هـ /1062م من كتبه تفسير أعلام القران المكون من عشرون مجلداً وكتاب تواريخ الخلفاء وكتاب دستور مع المحاكم، (انظر : المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 74) .

[4]– تيودورا هي ملكة الروم إمبراطورة بيزنطة ماتت سنة 447هـ/1055م بعد سبع سنوات من ملكها وتسعة أشهر وملك بعدها ميخائيل، (انظر : المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 74) .

[5] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 74 ؛ سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 127 .

[6]– ابن ميسر، المنتقى، ص 14 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 74 .

وبعد قتال طويل تسلم مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم إمارة حلب من ثمال بن صالح بن مرداس في شهر ذي القعدة من سنة 449هـ/1057م، وأعاد الخطبة فيها للمستنصر بالله، حيث كانت الخطبة قد انقطعت منها لصالح الخليفة العباسي القائم بأمر الله بعد سيطرة الأتراك عليها في سنة 447هـ/1055م، وتشير المصادر التاريخية إلى أن الوزير أبي محمد الحسن اليازوري كان يستخدم السياسة مع صاحب حلب ثمال بن صالح إلى أن خرج طوعاً من قلعة حلب وسلمها إلى والي المستنصر بالله الحسن بن علي بن ملهم، وخرج ثمال منها للقاء المستنصر بالله في القاهرة، وأثناء الطريق وصله خبر إلقاء القبض على أبي محمد اليازوري فرجع ثمال إلى حلب وأتفق ذلك مع قيام أهل حلب بتسليم البلدة إلى معز الدولة محمود بن نصر بن صالح بن مرداس في شهر جمادى الآخرة من سنة 452هـ/1060م[1] حيث قطع محمود الخطبة الفاطمية منها[2] وحاصر الحسن بن الملهم في قلعتها[3]، فسار ناصر الدولة الحسن بن حمدان بأمر من المستنصر بالله وللمرة الثانية إلى حلب[4] ومعه جيش جاءه من مصر، فاحتشد له جيش حلب والقبائل وجرت بينهم حروب[5] أدت إلى هزيمة ناصر الدولة هزيمة شنيعة[6] حيث أصابته ضربة شلت يده[7]، وعاد راجعاً إلى دمشق[8]، وبقيت بذلك حلب بيد معز الدولة محمود بن نصر بن مرداس[9].

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص21،15 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 80، 99 .

[2] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 43 .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 99 .

[4] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 43 .

[5] – ابن ميسر، المنتقى، ص 33 .

[6] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 90 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 33 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 43 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 64.

[7] – ابن ميسر، المنتقى، ص21، 33 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 99 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 64.

[8] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 43 .

[9] – ابن ميسر، المنتقى، ص 21 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 64.

أما الحسن بن ملهم فقد بعث إلى عطيه بن صالح بن مرداس وسلمه قلعة حلب فدخلها في شهر شعبان من سنة 452هـ/1060م وأقام عطيه بها يوماً ثم خرج عنها بسبب عجزه عن السيطرة عليها، ووصل إليها محمود بن نصر بن مرداس وملكها في شهر شعبان سنة 452هـ/1060م[1]، فحاصره فيها عمه ثمال بن صالح بن مرداس وبقي محاصراً لمدينة حلب[2] لغاية سنة 453هـ/1061م، وجرى بينهم صلح دخل بموجبه ثمال إلى المدينة في شهر ربيع الأول سنة 453هـ/1061م، وفي شهر ذي القعدة من نفس السنة توفي ثمال بن صالح بن مرداس ودفن في القلعة، وملك بعده حلب عطيه بن صالح بن مرداس[3]، إلى أن عاد محمود بن نصر بن مرداس إلى حلب محاصراً لها حتى ملكها[4].

وفي سنة 452هـ/1060م[5] وصل الأمير المقدم تمام الدولة قوام الملك ذو الرئاستين سبكتكين المستنصري[6] إلى دمشق وبقي فيها غير والٍ عليها إلى أن وصل القائد موفق الدولة جوهر الصقلبي من مصر في شهر ذي الحجة من سنة 452هـ/1060م ومعه خلع بولاية دمشق، وبقي فيها إلى أن توفي في شهر ربيع الأول سنة 453هـ/1061م، فكانت ولايته فيها ثلاثة شهور وسبعة عشر يوماً[7]، وولي مكانه إمارة دمشق الأمير حسام الدولة ابن البجناكي حيث وصل إليها في شهر جمادى الأولى من سنة 453هـ/1061م وجلس فيها مدة إلى أن عزل، وولي على إمارة دمشق مكانه عدة الدين والدولة ابن ناصر الدولة بن الحسن بن حمدان

---

[1] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 91 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 99 .

[2] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 101.

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 103، 107 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ص 91 .

[4] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ص 92 .

[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ص 90 .

[6] – هو الأمير المقدم تمام الدولة قوام الملك ذو الرئاستين، أبو المنصور سبكتكين بن عبد الله التركي، كان صالحا وورعا سمع الحديث ورواه، تولى إمارة دمشق في شهر ذي الحجة من سنة 452هـ/1060م، وبقي والياً عليها إلى أن توفي بها في الرابع والعشرون من شهر ربيع الأول من سنة 453هـ/1061، ودفن بها فكانت ولايته عليها ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما، (انظر : – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 45؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 73) .

[7] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 90 .

فوصلها في شهر رمضان من سنة 453هـ/1061م، ثم ولي الأمير المؤيد معتز الدولة حيدره بن عضب الدولة إمارة دمشق للمرة الثانية في شهر ذي القعدة من سنة 453هـ/1061م، وعزل عنها في شهر ربيع الآخر من سنة 455هـ/1063م[1].

4.2 إقامة الدعوة الفاطمية في العراق :

كان أبو الحارث أرسلان البساسيري التركي الملقب بالمظفر في بادئ أمره من المقربين والمقدمين على الأتراك عند الخليفة القائم بأمر الله العباسي فلم يكن القائم يقطع أمراً دون أستشارته[2]، وخطب له في المساجد وكان الجميع يخافون من سطوته[3]، ولكنه تجبر وطغى[4]، وفي سنة 446 هـ/1054م بدأت الوحشة بين القائم بأمر الله والبساسيري[5]وتأكدت الوحشة بينهم في سنة 447هـ/1055م، كما اشتكى الأتراك منه، وأطلق وزير القائم بالله رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة[6] عبارات الذم به وذكر قبيح أعماله وأنه كاتب الفاطميين معلناً الطاعة لهم وخلع طاعة العباسين[7]، فجفاه القائم[8] واستنصر عليه بالسلطان السلجوقي[9] طغرلبك الذي كان في بلاد الري[10]، فكاتبه القائم يطلب منه القدوم إليه[11].

---

[1] – المصدر السابق، ص 91 .

[2] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 80 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 66 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 417 .

[3] – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 417 .

[4] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 66 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 417 .

[5] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 528 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 58 .

[6] – هو رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن الحسن بن أحمد بن المسلمة، ولد سنة 397هـ/1006م، كان من كتاب الخليفة ثم أستوزره سنة 438هـ/1046م، وصف بالعلم والعدل، قتل في سنة 450هـ/1058م من قبل البساسيري، كانت مدة وزارته أثني عشر سنة، (انظر : ابن الجوزي، المنتظم، ج 8، ص 200 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص80) .

[7] – ابن ميسر، المنتقى، ص 20 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 71 .

[8] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 71 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 66 .

[9] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 58 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 418.

[10] – الري : هي مدينة مشهورة وقصبة بلاد ما وراء الجبال، تبعد عن مدينة نيسابور حوالي مائه وستون فرسخاً، (انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص 116) .

[11] – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 418.

وذهب بعض أهل السنة في بغداد إلى دار الخلافة وطالبوا الخليفة بأن يسمح لهم بنهب دور البساسيري الذي كان غائباً عنها في واسط فأذن لهم الخليفة بذلك، فنهبوا دوره وأحرقوها، وأبعده القائم بأمر الله عن بغداد حيث اتجه البساسيري إلى دبيس بن مزيد الأسدي[1] أمير بادية الحلة[2] لمصاهرة كانت بينهما [3].

وفي سنة 447هـ/1055م[4] دخل طغرلبك السلجوقي إلى بغداد[5]، وعندما علم البساسيري بقدومه خرج مجبراً[6] وفاراً نحو منطقة الرحبة[7]، وانضمّ إليه عدد من الأتراك[8]، وكانت الفتنة قائمة بين السنة والشيعة من أهل الكرخ على أشدها واقتتلوا فيما بينهم قتالاً شديداً[9]، كما كان الوباء والقحط منتشراً في بغداد والشام حتى وصل إلى حد أن بعض الناس أكلوا الميتة[10]، وتزوج الخليفة القائم بأمر الله من بنت داود أخو طغرلبك[11]، ورحل بعد ذلك طغرلبك عن بغداد في العاشر من شهر ذي الحجة سنة 448هـ/1056م، وذلك بعد أن أثقل وجود جيشه على أهلها، حيث أقام بها مدة ثلاثة أشهر، ثم عاد إليها مرة ثانية سنة 449هـ/1057م بعد أن استولى على الموصل وسلم ولايتها إلى أخيه إبراهيم ينال، واجتمع بالخليفة القائم في

---

[1] – هو نور الدولة دبيس بن مزيد الأسدي، عاش ثمانين سنة كان فيها أميراً سبعاً وخمسين سنة، ووصف بالفضل والإحسان، توفي في سنة 474هـ/1081م، (انظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 425) .

[2] – هي حلة بني مزيد وهي عبارة عن مدينة كبيرة تقع بين الكوفة وبغداد، (انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج 2، ص 332) .

[3] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 528،

[4] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 70 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 59 .

[5] أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 530 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 59 .

[6] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 66 .

[7] – الرحبة: قريه تقع بالقرب من القادسية على مرحله من الكوفه،(انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص 33).

[8] – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 418.

[9] – أبو الفداء، المختصر، ج1، ص 526 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 71 .

[10] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 339 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 60 .

[11] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 532 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 72 .

الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة 449هـ/1057م فولاه الخليفة جميع البلاد التابعة لـه وخلع عليه، وبعث طغرلبك إلى الخليفة خمسين ألف دينار[1].

وفكر البساسيري بالقضاء على الخلافة العباسية [2]، فطلب من المستنصر بالله بالسماح لـه بالقدوم إلى مصر، ولكن المستنصر بالله رفض ذلك، ثم طلب من المستنصر بالله أن يمده بالمال والرجال لأخذ بغداد [3] مع أستعداده لإقامة الدعوة الفاطمية في العراق ورد السلطان طغرلبك عن السيطرة على بلاد الشام ومصر، فأجابه المستنصر بالله بالموافقة[4]، وبعث إليه أموالا كثيرة [5] حتى ذكر النويري أن الوزير اليازوري قد استنفذ ما كان في خزائن القصر لكثرة ما بعث من أموال إلى البساسيري[6]، ولتحقيق ما تم الاتفاق عليه كاتب البساسيري إبراهيم ينال[7] شقيق طغرلبك وأطمعه بمنصب أخيه فخرج ينال عن طاعة طغرلبك[8]، الذي كان آنذاك مشغولاً بحصار المدن وفتحها[9]، وأنصرف عنه إبراهيم ينال مع عدد كبير من جيشه، وعندما بلغ طغرلبك خبر عصيان إبراهيم انزعج منه وسار وراءه تاركاً بعض جيشه في ديار بكر مع زوجته الخاتون ووزيره عميد الملك الكندري[10] الأمر

---

[1] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 532 .

[2] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 80 .أبن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 71 .

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 20 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 132 .

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص، 20، 14 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 71 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 59 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 418.

[5] – ابن ميسر، المنتقى، ص 18، 19 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 220 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 76 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 43 .

[6] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 220 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 76 .

[7] – ورد أسم إبراهيم ينال ب(إبراهيم نيال)، (انظر : السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 418) .

[8] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 404 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 6 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 418.

[9] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 6 .

[10] – هو عميد الملك منصور بن محمد أبو نصر الكندري، وزير طغرلبك، كان ذكيا فصيحا شاعراً، سجنه السلطان طغرلبك سنة كاملة وقتله وأستحوذ على أمواله في سنة 457هـ/1065م وكان عمره عند وفاته نيف وأربعين سنة، (انظر ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 99) .

الذي أدى إلى تفرق الجيش[1]، وعادت زوجته الخاتون بمن بقي من الجيش إلى بغداد[2]، والتقى طغرلبك وإبراهيم ينال وتقاتلا، فانتصر إبراهيم ينال وانهزم طغرلبك إلى همذان[3] فاتجه إبراهيم خلفه وحاصره بها، وبعد أنتشار الخبر بهزيمة طغرلبك وأن إبراهيم يحاصره في همذان، عزمت خاتون وابنها أنوشروان والوزير الكندري على المسير إلى همذان لإنجاد طغرلبك، فأضطربت الأمور في بغداد وانفصل أنوشروان عن خاتون وخلت بغداد، فعظم البلاء بها وقامت الفتنة بين العامة[4].

وتم بذلك لأبي الحارث البساسيري ما دبره من المكر[5]، ودخل إلى مدينة بغداد في يوم الأحد الموافق الثامن من شهر ذي القعدة سنة 450هـ/1058م ومعه الرايات البيض الفاطمية[6] وعلى رأسه أعلام مكتوب عليها أسم المستنصر بالله [7] أبو تميم معد أمير المؤمنين، فتلقاه أهل الكرخ الشيعة فرحين بقدومه[8]، وأعلن الأذان بحيّ على خير العمل ببغداد [9]، ودخل معه إلى بغداد حليفه قريش بن بدران[10]في نحو مائتي فارس[11]، ووقع ببغداد والمناطق التابعة بدخول البساسيري لها أمور

---

[1] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 6 .

[2] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 404؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 7 .

[3] – همذان : هي أكبر مدينة في بـــلاد الجب ال، (انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج 5، ص 410).

[4] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 404 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 7 ؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 202 .

[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 7 .

[6] – ابن ظافر، أخبار، ج 1، ص 217 ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 404 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 418؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 202 .

[7] – سبط ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 404 .؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 82 .

[8] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 82- 83 .

[9] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 83 – 84 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 7 .

[10] – هو قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلي، تولى أمرة الموصل في سنة 444هـ/1052م، تنبذب في الولاء بين الفاطميين والعباسيين حرصا على مصالحه في المحافظة على إمارته توفي في سنة 453هـ/1061م أثر أصابته بمرض شديد، وقام بعده بالأمر ابنه شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش، (انظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 355 ؛أبو الفداء، المختصر،ج 1،ص 537 ؛المقريزي، الخطط المقريزية، ج 1، ص 50).

[11] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 82- 83 .

هائلة وشنيعة من سلب وقتل[1] ونهبت العامـــة دار الخلافة فأخذوا منهـــا مـــا لا يحصى ولا يوصف كثرة[2]، وخطب يوم الجمعـــة ثالـــث عـــشر ذي القعـــدة ســـنة 450هـ/1058م ببغداد للمستنصر بالله بجامع المنصور وأذنوا بحـــي علـــى خيـــر العمل[3].

ودام القتال بين من بقي مع الخليفة القائم بأمر الله والبساسيري شهراً[4]، حيث قسم البساسيري جيشه إلى قسمين قسم يقاتل في النهار وقسم يقاتل في الليل[5]، فـــألقي القبض على الخليفة القائم بأمر الله ومن معه فـــي شـــهر ذي الحجـــة مـــن ســـنة 450هـ/1058م[6]، وخرج القائم مع قريش بن بدران[7]، وملك بذلك البساسيري مدينة بغـــداد[8]، ولكن البساسيري وقريش بن بدران اختلفا في مـــصير القـــائم بـــأمر الله، فأرسل البساسيري إلى قريش يستنكر منه مخالفته لما تم الاتفاق عليه بينهم ســـابقاً، وكانا قد تحالفا بأن لا ينفرد أحدهما عن الأخر بشيء ويكون العراق بينهما نصفين، فأجابه قريش بأنه لم يخالف ما تم الاتفاق عليه وأن يأخذ رئيس الرؤساء مقابـــل أن يترك لـــه أمر القائم بأمر الله فرضي البساسيري بذلك[9]، وتم الاتفاق بينهم بأن يكون القائم بأمر الله عند مهارش بن مجلي ابن عم قريش بن بدران[10] إلى أن يتفقا على ما سيكون من أمره[11].

---

[1] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 7 .

[2] – المصدر نفسه، ج 5، ص 8 .

[3] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 7 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 418.

[4] – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 418.

[5] – ابن ميسر، المنتقى، ص 18، 19 .

[6] – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 418.

[7] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 83 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 8 .

[8] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 80 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 43 .

[9] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 11 .

[10] – ابن ظافر، أخبار، ج 1، ص 217 ؛ ابن ميسر،المنتقى، ص 18، 19؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 96 .

[11] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 9 .

و في أخر ذي الحجة[1] سنة 450هـ/1058م أخرج البساسيري الوزير رئيس الرؤساء أبي مسلمة مقيداً[2] وهو يقرأ:((قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء))[3]، فبصق أهل الكرخ في وجهه لأنه كان متعصباً لأهل السنة[4]، وسبوه ولعنوه[5] ثم صلب وأخذ العامة يضربونه إلى أن مات[6]، وقد كان رئيس الرؤساء هذا كثير الأذية لشيعة أهل الكرخ[7].

فلما كان يوم الجمعة الرابع من شهر ذي الحجة سنة 450هـ /1058م قطعت الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله من مساجد العراق جميعها وخطب بها للخليفة الفاطمي المستنصر بالله[8]، وهذا الأمر لم يحدث من قبل في تاريخ الدولة الفاطمية[9]، وفي يوم الإثنين الثاني عشر من شهر صفر سنة 451 هـ/1059م قام أبو الحارث البساسيري بجمع القضاة والأشراف من العلويين والعباسين وغيرهم ببغداد وأخذ عليهم البيعة للمستنصر بالله الفاطمي فبايعوا قهرا[10]، وأستحلفهم على ذلك، ودخل معهم إلى دار الخلافة[11]، وأحسن البساسيري إلى الناس وأعطى الفقراء المال[12]، وسار إلى البصرة وواسط وخطب بهما أيضاً للمستنصر[13]، وضرب السكة في بغداد باسمه[14].

---

[1] – المصدر نفسه، ج 5، ص 12 .

[2] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 84 .

[3] – سورة ال عمران، الآية 26 .

[4] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 12 .

[5] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 84 .

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 18، 19 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 84 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 66 .

[7] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 73 .

[8] – أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 21 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 220 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 8 .

[9] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 8 .

[10] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 417 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 9 .

[11] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 417 .

[12] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 84 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 95؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 12 .

[13] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 97 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 43 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 12، 13.

[14] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 217؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 18، 19 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 83 .

وكتبت قطر الندى[1] والدة القائم بأمر الله في سـنة 451هـ/1059م إلـى البساسيري تشكوا إليه وضعها المتردي وما لحقها من الأذى والفقر حتى أنها لم تجد ما تأكله وكانت امرأة أرمنية قد ناهزت التسعين من عمرها، فاحضرها البـساسيري وخصص لها داراً[2] وأعطاها جاريتين تخدمانها وأجرى لها في كل يوم إثني عـشر رطلاً[3]من الخبز وأربعة أرطال من اللحم[4].

وكان البساسيري قد بعث بالبشائر إلى مصر[5]، وبعث كذلك بالأموال والتحف والهدايا وكان من جملة ما بعث به إلى المستنصر بـالله عمامـة القـائم بـأمر الله ووضعها في قالب من الرخام وبعث معها رداء القائم والشباك الذي كان يجلس فيـه القائم ويتكئ عليه، وقد تم الاحتفاظ به إلى أن عمرت دار الوزارة على يد الأفـضل بن بدر الجمالي فأصبح هذا الشباك للوزير الفاطمي[6].

ولما وصلت هذه البشائر والهدايا إلى المستنصر بالله تزينت القاهرة وأقيمت الاحتفالات[7] وجاءت طبالة تدعى نسب وغنت بالطبل في قصر المستنصر[8] فقالت:

يا بني العبـــاس رُدُّوا ... مَـلَكَ الأمر مَـعَد

مُلكُكُـم مَلكُ مُـعَاراً ... والعواري تُـسترَد

ففرح المستنصر بالله وسر لما قالته نسب ووهبها أرضـاً بمـصر مكافـأة لإنشادها هذا الشعر وتلك الأرض أصبحت تعرف بأرض الطبالة[9]، وأمر المستنصر بالله كذلك بإرسال عشرة الآف دينار إلى مهارش بن المجلي ابن عـم قـريش بـن

---

1 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 107 .

2 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 12.

3 – الرطل : الرطل المصري في زمن الفاطميين يزن (140) درهماً أو يساوي 437.5غرام، (انظر : هنتس، المكاييل، ص 31) .

4 – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 417 .

5 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 13 .

6 – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 231 .

7– النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 220 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 96 .

8 - المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 96 .

9 – ابن ميسر، المنتقى، ص 18، 19 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 96 ؛ ابن تغري بـردي، النجـوم الزاهرة، ج 5، ص 14 .

بدران ليرسل إليه القائم بأمر الله العباسي، ويقال إنه بنى لـــه القصر الغربي لينـــزل القائم به وأنه عزم على إكرامه وصرف مائة دينار يومياً له[1].

وفي أواخر سنة 450هـ/1058م انتصر طغرلبك على أخيه إبراهيم وقتله[2]، ففرح الناس في بغداد وأستبشروا خيراً بذلك ولكنهم لم يظهروا فرحهم هذا خوفاً من البساسيري[3]، وأتجه طغرلبك إلى العراق[4]، وعندما وصل إلى بغداد في شهر شـــوال من سنة 451 هـ/1059م[5] أرسل إلى قريش بن بدران يأمره أن يعيد الخليفة إلـــى بغداد[6] وتوعده إن لم يفعل، فأجابه قريش بأنه معه على البساسيري ولكن يخشى أن يتسرع في ذلك الأمر خوفا على حياة الخليفة، وأرسل قريش إلى البساسيري يخبره بما طلبه منه طغرلبك فسخر البساسيري منه، فقال لـــه قريش : (إنك دعوتنا إلـــى طاعة المستنصر بالله وبيننا وبينه ستمائة فرسخ، ولم يأتنا رسوله أو أحد من عنـــده ولم يرد في أي مما أرسلناه إليه، وهذا طغرلبك من ورائنا بالمرصاد)[7]، حيث كـــان وزير المستنصر بالله أبا الفرج ابن أخي أبـــي القاســـم المغربـــي وهـــو مـــــمن هـــــرب مـــــن الــــبساسيري، فذم البساسيري عند المستنصر بالله وشـــككه في أفعاله وخوفـــه من ســـــوء عــــــاقبته فتركت أجوبته مدة ثـــم عـــادت على البساسيري بغير ما كان يرجوا [8].

وأرسل طغرلبك إلى البساسيري يطلب منه أن يرد القائم بأمر الله إلى بغداد وأن يعيد الخطبة له ووعده إن فعل ذلك أن يرجع عن بغداد، وأن يكتفـــي بـــضرب السكة بأسمه والخطبة له على المنابر، كما كان عليه الوضع سابقا، ولكن البساسيري

---

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 96 .

[2] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 88 ؛ السيوطي، تـــاريخ الخلفـــاء، ص 418 ؛ شـــاكر، التـــاريخ الإسلامي، ص 203 .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 97.

[4] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 88 .

[5] العماد الاصفهاني، البستان الجامع، ص 302 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهـــرة، ج 5، ص 66؛ شـــاكر، التاريخ الإسلامي، ص 203 .

[6] – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 418 .

[7] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 88 .

[8] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 96 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 13 .

رفض ذلك فسار إليه طغرلبك وأخذ البساسيري أولاده وأهل بيته من بغداد وأتجه بهم إلى واسط[1] في شهر ذي القعدة من سنة 451هـ/ 1059م ليستعد لقتال طغرلبك، الذي دخل إلى بغداد[2]، وأعاد الخليفة القائم إليها[3]، حيث خرج طغرلبك للقائه وقبل الأرض بين يديه سبع مرات واستقبله استقبالاً رائعاً، ودخلوا إلى بغداد مع الخليفة[4] في شهر ذي القعدة سنة 451هـ/1059م وكان هذا اليوم يوماً مشهوداً[5] حيث دخل القائم بغداد والأمراء والحجاب بين يديه، وعندما رجع الخليفة القائم بأمر الله إلى دار الخلافة أعتكف على الصيام والصلاة وعفا عن كل من أذاه، ولم يسترد شيئا مما نهب من قصره إلا بثمنه[6].

ثم سار السلطان طغرلبك وراء البساسيري ولقيه في منطقة واسط وجرى بينهم قتال وتفرق من بقي مع البساسيري وهرب هو إلى أن قتله أحد غلمان طغرلبك، فقطع رأسه وحمله إلى بغداد [7]، وقد كانت وفاته في شهر ذي الحجة [8] وقيل في شهر ذي القعدة[9] من سنة 451هـ/1059م[10]، حيث علق على رمح وطوف به، وأخذ طغرلبك من جيش البساسيري أموالاً كثيرة، ونهبت دور من وقف إلى جانبه في بغداد[11] وأخذت أموال البساسيري ونسائه وحواشيه وأقربائه[12].

---

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 97 .

[2] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 88 .

[3] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 66 .

[4] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 88 .

[5] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 88 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 97 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 418 .

[6] – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 418 .

[7] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 88 ؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 203 .

[8] – ابن ميسر، المنتقى، ص 21 .

[9] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 89 .

[10] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 90 ؛ابن ميسر، المنتقى، ص 21؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 89 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 66 .

[11] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 88 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 98 .

[12] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 98 .

5.2 تمرد المعز بن باديس :

عندما خرج المعز لدين الله معد الفاطمي من المغرب متوجها إلى الديار المصرية بعد استيلاء الفاطميين على مصر سنة 358هـ/968م استخلف مكانه على بلاد أفريقية والمغرب أحد رجال دولته المشهورين ويدعى بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي وسماه يوسف ولقبه بسيف الدولة أبا الفتوح[1]، واستمرت ولاية يوسف (بلكين بن زيري) من سنة 361هـ /971م إلى أن توفي في سنة 373هـ /983م فجلس مكانه في الولاية ابنه المنصور[2] لغاية سنة 386هـ /996م، فتولى مكانه ابنه باديس الذي استمر في الحكم لغاية سنة 406هـ/1015م، ومن بعده أنتقلت الولاية إلى ابنه المعز بن باديس[3] الذي استمر بالخطبة للفاطميين إلى سنة 443هـ/1051م، وبعدها أبطل دعوة الفاطميين وأقام دعوة العباسيين ودعا للخليفة القائم بأمر الله العباسي وهو في بغداد[4].

وكان بنو زيري يدينون بالولاء والطاعة للخلافة الفاطمية حتى منتصف عهد المعز بن باديس بن زيري، فكانت الخطبة والسكة للفاطميين كما ترسل إليهم جزءاً

---

[1] – النويري، نهاية الأرب، ج 1، ص 99 ؛ أحمد، حسن خضيري، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362 – 567 هـ / 973 – 1171 م)، نشر مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة (د ـت)، ص 29، 30، وسيشار إليه فيما بعد أحمد، علاقات الفاطميين .

[2] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 7، ص 415 ؛ أحمد، علاقات الفاطميين، ص 42 .

[3] – هو المعز شرف الدولة أبو تميم بن باديس بن منصور بن بلكين الحميري الصنهاجي، صاحب أفريقيا والمعز بن باديس بن منصور بن بلكين الصنهاجي رابع الأمراء الزيريين في أفريقيا وليها سنة 406هـ/1015م إلى أن توفي في سنة 453 هـ/1061م ؛ ولد في المنصورية من أعمال أفريقيا سنة 380هـ/988م وملك مكان أبيه وكان الحاكم بأمر الله الفاطمي قد لقبه بشرف الدولة وأرسل إليه سجلاً يتضمن اللقب في سنة 409 هـ/1017م، توفي في القيروان من مرض الكبد وذلك في سنة 454هـ/1062م، وكان ملكاً جليلاً عالي الهمة أمتدحه كثير من الشعراء، (انظر : ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 37 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 11 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 72 ؛ أحمد، علاقات الفاطميين، ص 54).

[4] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 52 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص419 ؛ أحمد، علاقات الفاطميين، ص 62 ؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 208 .

من الضرائب، وقد اعتاد الخلفاء الفاطميون أن يبعثوا بسجلات التقليد والألقاب والهدايا إلى أمراء بني زيري كما كانت تؤخذ لهم البيعة في إفريقيا[1].

وقد ظهرت بوادر التوتر بين الفاطميين وبني زيري خلال فترة ولاية المنصور بن بلكين بن زيري (373-386هـ/983م- 996م)، الذي قال : أني لست من يولى بكتاب ويعزل بكتاب، في إشارة منه إلى أن الخليفة الفاطمي لا يستطيع عزله[2]، وقد أزداد نفوذه في أفريقية، فخشي الخليفة الفاطمي العزيز بالله من أنفصاله بالرغم من إظهار المنصور الولاء والطاعة للدولة الفاطمية[3]، كذلك كانت علاقة الخليفة الحاكم بأمر الله مع باديس[4]، وقد استمرت هذه العلاقة المشوبة بالتوتر والحذر بين الخلفاء الفاطميين وبني زيري إلى أن أظهر المعز بن باديس اعتناقه المذهب السني مستغلاً الظروف السيئة التي تمر بها الدولة الفاطمية أبان حكم الخليفة المستنصر بالله[5] .

و كان من أسباب عصيان المعز بن باديس بن المنصور على المستنصر بالله هو تقصيره في مكاتبة الوزير اليازوري[6] الذي أرتفع شأنه عندما ولي الوزارة واتسع سلطانه، وكاتب ملوك الأطراف فأجابوه بالتعظيم إلا المعز بن باديس الذي قصر في مكاتبته عما كان يكاتب من قبله الوزراء الفاطميين[7]، وطلب منه اليازوري أن يخاطبه بما جرت به العادة، فلم يغير المعز من أسلوب كتابته وأحتقاره لليازوري[8]، وكان للمعز بن باديس نائباً عنه في ديوان المستنصر بالله ليتولى أموره عنده، فأستدعى اليازوري نائب المعز وقال له : أظن أن المعز ينتقصني عمن سبقني من الوزراء فأن لم أكن مثلهم فإنني لست بأقل منهم، وقد كان اليازوري من

---

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 2، ص 247-249.
[2] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص 415 .
[3] – المصدر السابق، ج7، ص 431.
[4] – المصدر السابق، ج8، ص 25 .
[5] – ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص 71 .
[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 12 ؛ أحمد، علاقات الفاطميين، ص 62 .
[7] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 219 ؛ أحمد، علاقات الفاطميين، ص 63 .
[8] – ابن ميسر، المنتقى، ص 12 ؛ أحمد، علاقات الفاطميين، ص 63 .

طبقة الفلاحين، فكتب نائب المعز بما جرى بينه وبين اليازوري إلــى المعــز بــن باديس، وعندما وصلت الرسالة إليه غضب وقال : ماذا يريد مني هذا الفلاح يريــد مني أن أكاتبه بعبده لا كان هذا أبداً، وما كتبت به لمثله كثيراً عليه، وكان لليازوري جواسيس في ديوان المعز بن باديس فأخبروه بما جرى منه، فأحــضر اليــازوري نائب المعز وقال لــه: (إن صاحبك جاهلاً على عهدي به في الجهل فأكتب لــه ما يرده عن جهله)، فكتب النائب بذلك وكان جوابه أقبح من جوابه الأول، فأرسل إليــه اليازوري من أخذ دواته من عنده دون علمه، فلما وصلت إلى اليازوري أرسل إلى نائب المعز وقال لــه : (إذا الجهل مستولي على عقل المعز فأنني كما أخذت دواته هذه وهاهي أرسلها إليه وأعلمه بأنني كما أستطعت أن أخذها من ديوانه دون علمــه أستطيع أن أقتله بها)، فأرسل نائبه بذلك إلــى المعــز الــذي أزداد غــضباً علــى اليازوري، ثم أرسل اليازوري من أخذ منه نعله وهو لا يعلم، فلمــا وصــلت إلــى اليازوري أحضر نائب المعز وأعلمه بما جرى لصاحبه نتيجة جهله وقلة عقله وقال لــه: (أكتب لهذا البربري الأحمق أن عقلت وأحسنت أدبك وإلا جعلت تأديبك بهــذا النعل)، فأرسل النائب بذلك إلى المعز بن بــاديس الــذي زاد فــي مــسبة ولعــن اليازوري[1].

وقد اختلف المؤرخون الذين رجعت إليهم في تحديد السنة التي قطع بها المعز بن باديس الخطبة عن المستنصر بالله الفاطمي وإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسي، فمنهم من ذكر أن ذلك كان في سنة 435هــ/1043م[2]، ومنهم من ذكر إنــه فــي ســنة 440هــ/1048م[3] وبعضهم قالوا إن قطع الخطبة كان في سنة 443هــ/1051م[4].

فعظم ذلك على المستنصر بالله وأرسل إليه للرجوع عن ذلك ولكنه أغلظ في جوابه[5]، وأصر على خلعه وإقامة الدعوة للعباسيين[6]، وأرسل المعــز إلــى الخليفــة العباسي القائم بأمر الله يخبره بإقامة الدعوة لــه ويطلب منه الخلع، فاستجاب إليــه

---

1 – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 220 .

2 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 265 .

3 – الذهبي، العبر، ج2، ص 276 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 1، ص 65.

4 – ابن ميسر، المنتقى، ص11؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 219 ؛ أحمد،علاقات الفاطميين، ص 64.

5 – أبو الفداء، المختصر، ج1، ص 525 .

6 – ابن ميسر، المنتقى، ص 11، 12.

القائم بأمر الله وأرسل إليه الخلع مع أبي غالب الشيرازي وأرسل معه عهداً بالولاية ولواءً أسودَ وخلعة، واتجه أبو غالب الشيرازي عن طريق القسطنطينية في البحر[1]، وعندما وصل إلى القسطنطينية قبض عليه صاحبها[2]وبعث به إلى المستنصر بالله، فقدم أبو غالب إلى القاهرة وهو مشهراً به على جمل[3]، وأرسل طغرلبك إلى ملك القسطنطينية يعاتبه على ما فعله مع أبي غالب الشيرازي ويطلب منه إعادته إلى المعز بن باديس وقد تردد الملك بذلك كونه تربطه مواثيق مع المستنصر بالله إلا إنه في النهاية استجاب إلى طغرلبك وطلب أبا غالب من المستنصر بالله، فأعاده إليه وأرسل به إلى المعز بن باديس في أفريقيا[4]، فقرأ كتاب ولايته في جامع القيروان ونشر الرايات السود وهدم دار الإسماعيلية[5].

ووصل الخبر بذلك إلى القاهرة فأشار اليازوري على المستنصر بالله بتجهيز القبائل العربية وأرسالهم إلى المغرب، فقبل المستنصر بالله بمشورة اليازوري، وأعطى شيوخ القبائل الأموال وأباح لهم المغرب[6]، وكتب اليازوري إلى المعز بن باديس : (أما بعد فقد أنفذنا إليكم خيولاً فحولاً وأرسلنا عليها رجالاً كهولاً [7] ليقضي الله أمرا كان مفعولاّ)[8]، وبعث بهم إلى المعز فاستولوا على مدينة برقه، وجهز لهم المعز جيشاً فهزموه واتجهوا إلى إفريقيا وقطعوا الأشجار وحاصروا المدن ونزل بأهل أفريقيا بلاء لم يعهدوا بمثله من قبل، ثم جمع المعز جيشاً أخر يزيد عدّده عن ثلاثين ألف فارس فهزموه أيضاً ودخل المعز إلى القيروان منهزماً وجمع جيشه وخرج إليهم، فجرى بينهم قتال عنيف انهزم فيه جيش المعز وكثر القتلى بينهم

---

[1] – أبو الفداء، المختصر، ج1، ص 525 .

[2]– هو الأمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع الذي ولي عرش الإمبراطورية البيزنطية خلال الفترة (434هـ ـ447هـ/ 1042م – 1055م)، (انظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 2، ص 214) .

[3] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 219 .

[4] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 70 .

[5] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12 ، ص 55 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 65 .

[6] – أبو الفداء، المختصر، ج1، ص 525 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 65 ؛ أحمد، علاقات الفاطميين، ص 66 .

[7] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 65 .

[8] – سورة الأنفال، آيه 44.

ودخل العرب إلى مدينة القيروان ونهبوها، وأصبحوا يحاصرون وينهبون المدن التي يدخلونها إلى سنة 449هـ/1057م وانتقل المعز إلى مدينة المهدية[1]، إلى أن تـوفي بالمرض في شهر شعبان من سنة 453هـ/1061م[2]، وكانت مـدة حكمـه سـبعاً وأربعين سنة وملك بعده ابنه تميـم[3].

وعندما مات المعز طمع أصحاب البلاد في الحكم بـسبب وجـود العـرب وتغلبهم على المدن[4]، حيث أن المستنصر بالله عندما أرسل بعض القبائل العربية إلى إفريقيا ووزع عليهم مدنها[5]، وقد حالت فترة الأضطرابات التي عمت البلاد أواخـر عهد المستنصر بالله عن أهتمام الدولة بأمور المغرب حيث صرف كل جهود الدولة إلى بلاد الشام[6]، فلم تزل الدعوة للعباسيين بعد ذلك في المغرب إلى أيـام المقتفـي العباسي[7].

---

[1] – المهدية : هي عاصمة الدولة الفاطمية في المغرب، وقد بناها الإمام المهدي في سنة 303هـ/915م وسماها باسمه على ساحل بحر الروم، لتكون عاصمة دولته، (انظر : ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 220 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج1، ص 525 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 70 ؛ أحمد، علاقات الفاطميين، ص 67، 68).

[2] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 537 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 103 .

[3] – هو تميم بن المعز بن باديس، تقلد ولاية تونس والمهدية وأعمالها سنـة 454هـ/1062م وحتى سنة 501هـ/1107م لكن طاعته للخلافة لم يؤكدها أي مصدر تاريخي، (انظر : ابن ظافر، أخبـار الدول، ج 1، ص 37 ؛ ابن خلكان، وفيات، ج 1، ص 304 ؛ أبو الفـداء، المختـصر، ج 1، ص 537 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 103.

[4] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 537 .

[5] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 66 .

[6] – المناوي، الوزارة والوزراء، ص 192 .

[7] - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 52 .

6.2 ظهور الدعوة في بلاد اليمن :

ظهر في بلاد اليمن خلال حكم المستنصر بالله رجل يدعى أبو الحسن [1] علي بن محمد الصليحي[2]، الذي أستطاع السيطرة على اليمن وإقامة الدعوة الفاطمية فيها وفي الحجاز وأزال دعوة بني العباس منهما[3].

وقد بدأ ذلك عندما استطاع الداعي الفاطمي عامر[4]بن عبد الله الرواحي[5]وهو أكبر دعاة المستنصر بالله الفاطمي في اليمن[6] أن يستميل أبا الحسن علي بن محمد الصليحي وهو صغير السن إلى المذهب الفاطمي الإسماعيلي الشيعي[7]، وعندما شعر الداعي عامر بدنو أجله[8] أوصى بدعوته وبكتبه وعلومه إلى أبي الحسن علي

---

[1] – ذكر عند ابن الأثير بأبي كامل علي بن محمد الصليحي،(انظر: ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج 8،ص 325).

[2] – هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي، ولد في مدينة قتر من أعمال حراز، وكان أبو ه قاضياً يعمل في جبل مسار من أعمال حراز في اليمن شافعي المذهب، نشأ في بيت علم وسيادة، كان فقيهاً محباً للرئاسة، متواضعاً، وكان شاباً أشقر اللحية أزرق العينين، تزوج من أبنة عمه الحرة أسماء بنت شهاب الصليحي، (انظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 411 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 73، 111) .

[3] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 325؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 59 .

[4] - ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414، 415.

[5] – المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 1، ص 69 .

[6] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 538 .

[7] – المذهب الإسماعيلي الشيعي : يدعون إيصال نسب أئمتهم إلى السيدة فاطمة الزهراء والإمام علي بن أبي طالب، وزعموا أن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه أسماعيل نصاً عليه لإبقاء الإمامة في أولاده، وأختلفوا في وفاته في حياة أبيه فمنهم من قال إنه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس ومنهم من قال أن موته صحيح، والإمام بعد أسماعيل هو ابنه محمد حيث أن الإمامة عندهم لا تنتقل من الأخ إلى أخيه بعد الحسن والحسين، ومن معتقداتهم وجوب طاعة الإمام والتأويل الباطن وعدم الأخذ بالرأي والقياس في التفسير والفقه، (انظر : أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 538 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص 69؛ أحمد، علاقات الفاطميين، ص 162 ؛ سرور، محمد جمال الدين، تاريخ الدولة الفاطمية ، مطبعة دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت)، ص105، وسيشار إليه فيما بعد سرور، تاريخ الدولة الفاطمية) .

[8] – لم تذكر المصادر التاريخية تاريخ وفاته أو التاريخ الذي أنتقلت به الدعوة منه لأبي الحسن علي بن محمد الصليحي .

الصليحي الذي عكف على دراستها[1]، ولكن بعض المصادر التاريخية ذكرت أن الداعي الفاطمي عبد الله بن عامر قد أوصى قبيل وفاته بنشر الدعوة لوالد أبي الحسن علي بن محمد الصليحي الذي كان سني المذهب ويعمل قاضياً في اليمن[2]، وهو من علم ابنه أبو الحسن الدعوة وهو صغير السن حتى استمال قلبه إليها[3]، وكان أبو الحسن ذكياً حاذقاً[4]، ووصف كذلك بأنه كان شجاعاً، بطلاً، مقداماً، عالماً، شاعراً[5]، وأصبح فقيهاً بالمذهب الإسماعيلي ويعلمه[6]، ثم أصبح يعمل دليلاً للحجاج لمدة خمس عشرة سنة[7]، حيث ساعده عمله هذا على نشر المذهب الإسماعيلي وزيادة أنصاره في اليمن[8].

تزوج أبو الحسن علي بن محمد الصليحي بأبنة عمه أسماء بنت شهاب الصليحي الملقبة بالحرة التي وصفت بأنها أجمل خلق الله وهي أمّ الدعاة باليمن، وكانت ذات عزم وكرم وتفاخر ابنائها بكرمها ومدحها الشعراء[9]، وخطب لها لاحقاً على جميع منابر اليمن[10].

---

[1] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 538 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 69.

[2]- أبن ظافر، أخبار الدول، ج1، ص 221؛ أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 538.الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 129 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 69 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 111 .

[3] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 538 .

[4] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 .

[5] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 .

[6] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 325 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 .

[7] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 538 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 129 .

[8] – عزام، الدولة الفاطمية، ص 230؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 209 .

[9] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 69 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 111 .

[10] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 111 .

وعندما شعر أبو الحسن بكثرة أتباعه ترك دلالة الحجاج وثار ومعه ستون رجلاً[1]،كان قد حالفهم على الموت[2] وصعد معهم على رأس مناف وهو أعلى ذروة جبال حراز باليمن في سنة 439هـ/1047م[3]، وعملوا على نشر الدعوة الإسماعيلية فحاصرهم في قمة الجبال أكثر من عشرين ألف رجل وسفهوه وشتموه وطلبوا منه أن ينزل فرفض ذلك، إلى أن انصرفوا عنه وفكوا حصارهم له خوفاً من نفوذه القبلي، حيث كان أهل بيته وجماعته يطيعونه[4] بالإضافة إلى إنه كان ينصره رجال قبيلة حرازن[5] البالغ عددهم في اليمن ما يقارب أربعين ألف رجل[6].

وبعد شهرين من ذلك استطاع أن يبني له قلعة فوق ذلك الجبل وأستفحل أمره شيئاً فشيئاً وكان يدعوا للمستنصر بالخفية خوفاً من بطش صاحب تهامة[7] المسمى نجاح[8]، فكان يلاطفه ليستكين لأمره في الظاهر وفي الباطن يعمل له

---

[1] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 46 .

[2] - ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 ؛ صالح، محمد أمين، العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السادس والعشرون، مطبعة الجبلاوي، القاهرة 1979م، ص 62، وسيشار إليه فيما بعد صالح، العلاقة بين دولة الصليحين والخلافة الفاطمية .

[3] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 538 ؛ اليماني، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد (ت 743 هـ / 1343م)، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى حجازي، (د.ط)، (1965م)، ص49-50، وسيشار إليه فيما بعد اليماني، تاريخ اليمن ؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 209 ؛ صالح، العلاقة بين دولة الصليحين والخلافة الفاطمية، ص 62 .

[4] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 ؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 209 .

[5] – قبيلة حرازن : هم بطن من بطون قبائل حمير، ويقطنون بالقرب من منطقة زبيد، (انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج 2، ص 234 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 ؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 209).

[6] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 538 .

[7] – تهامه : أسم يطلق على جميع المناطق الساحلية المحاذية للبحر الأحمر من الشرق، سميت هذه المناطق بتهامه وذلك لارتفاع درجات الحرارة فيها وركود رياحها،(انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج 2، ص 138).

[8] – نجاح : سيطر على أغلب بلاد اليمن خلال الفترة (412-452هـ / 1021-1060م)، قتل بالسم عن طريق جاريه أهدها له أبو الحسن علي الصليحي وسيطر بذلك أبو الحسن على جميع بلاد اليمن .(انظر: أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 153 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415) .

الحيلة، إلى أن قتله بالسم عن طريق جارية جميلة كان قد أهداها لـــه وذلك في سنة 453 هـــ/1061م[1]، وأستطاع بذلك السيطرة على أغلب بلاد اليمن[2].

و كتب أبو الحسن علي الصليحي إلى المستنصر بالله وهو مازال على رأس ذلك الجبل يخبره بما هو عليه من ظهور الدعوة ويستأذنه في النزول بعساكره إلـــى تهامه ومقاتلة أهلها، فأذن لـــه المستنصر بالله بذلك[3]، فأخرج أبو الحـــسن الأمـــوال وجمع الرجال وسار إليها وأخذها[4].

واستطاع القضاء على أمراء اليمن الذين كانوا يدعون إلى القـــائم بـــأمر الله العباسي[5]، فلم تنته سنة 450هـــ/1058م[6]حتى فتح جميع أراضي اليمن، ودعا أهل اليمن إلى الدخول في طاعة المستنصر بالله وحمل تجار اليمن هدية جليلة مع عشرة الآف دينار وأرسل بهم إلى المستنصر بالله[7]، وأخذ جميع ملوك الـــيمن الـــذين زال ملكهم وأسكنهم معه حيث بنى لهم في صنعاء عدة قصور[8]، وذلك ليأمن شرهم وولى مكانهم في الحصون غيرهم ممن يثق بهم[9]، وحكم بلاد اليمن نيابـــة عـــن الخليفـــة المستنصر بالله الذي لقبه بـــ (الأمير الأجل الأوحد، أمير الأمراء، تاج الدولة، سيف الإمام، عمدة الإمامة، شرف المعالي)[10]، وجعل من صنعاء عاصمة لملكه[11].

وكان أبو الحسن قد حلف بألا يولي إمارة تهامه إلا لمن يدفع لـــه مائة ألـــف دينار، فدفعت لـــه زوجته الحرة أسماء عن أخيها أسعد بن شهاب الـــصليحي مائـــة

---

1 – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 ؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 209 .

2 – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 129 ؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 209 .

3 – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221؛ الدواداري، كنز الـــدرر، ج 6، ص 414 ، 415 ؛ المقريـــزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 69، 101 ؛ صالح، العلاقة بين دولة الصليحين والخلافة الفاطمية، ص 62 .

4 – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 101 .

5 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 325 .

6 – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 69 .

7 – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 69 ؛ صالح، العلاقة بين دولة الصليحين والخلافة الفاطمية، ص 62 .

8 - ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221.

9 - ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414، 415.

10 – السجلات المستنصرية، سجل رقم (1)، ص 30، 31؛ سجل رقم (2)، ص 33 .

11 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 111 .

ألف دينار فولاه إمارة تهامة، وقال لزوجته : يا مولاتنا من أين لك هـــذا ؟ فقالت: ((هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب))[1]، فابتسم وعلم أن الأمــوال من خزانته فأمسك بالمال وقال: ((هذه بضاعتنا ردت إلينا ونميــر أهلنــا ونحفــظ أخانا))[2] وانتقل الصليحي مقيماً في الكثير من مدن اليمن[3].

و في سنة 455هـ/1063م[4] سيطر أبو الحسن الصليحي على مكة ودعــى فيها إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله[5]، وكان ذلك بناءً على أمر المستنصر بــالله لأقرار الأمن والنظام فيها إثر النزاعات التي كانت تدور بها على إمارتها[6]، فأحسن السيرة فيها وجلب إليها الأقوات فرخصت الأسعار، وأظهر العدل والإحسان وكــسا البيت الحرام بثوب أبيض، وبقي مقيماً في مكة مدة شهر ثم رحــل عنهــا[7]، فــزاد المستنصر بالله من ألقابه فلقبه بـــ (تاج الدولة سيف الإسلام المظفر في الدين نظــام أمير المؤمنين)[8].

وفي سنة 473هـ/1080م خرج علي الصليحي إلى الحج برفقــة زوجتــه أسماء وابنه المكرم أحمد وأخوه عبد الله يرافقه ألفا جندي[9]، وعندما كان في طريقــه

---

[1] – سورة آل عمران آيه 37 .

[2] – سورة يوسف آيه 65 .

[3] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221 .

[4] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 363 ؛ أبو الفداء، المختــصر، ج 1، ص 541 ؛ ابــن تغــري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 73، 111 ؛ صالح، العلاقة بين دولة الصليحين والخلافة الفاطميــة، ص 63 .

[5] – ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج5،ص 111؛ صالح،العلاقة بين دولة الصليحين والخلافة الفاطمية، ص 63.

[6] – السجلات المستنصرية، سجل رقم 3، ص 37 .

[7] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 363 ؛ أبو الفداء، المختــصر، ج 1، ص 541 ؛ ابــن تغــري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 73، 111.

[8] – السجلات المستنصرية، سجل رقم 6، ص 45 ؛ صالح، العلاقة بين دولة الصليحين والخلافة الفاطمية،ص 63.

[9] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 538؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 ؛ ابن تغري بردي، النــجوم الزاهرة، ج5، ص 111 .

إلى مكة في الثاني عشر من شهر ذي القعدة كمن لـه سعيد[1] الأحول بـن نجـاح[2] الذي قتل أبو الحسن أباه صاحب تهامه بالسم، فقتلـه وقتـل معـه أخـاه عبـد الله الصليحي[3] وجميع بني الصليحي الذين كانوا معه وقطع رؤوسـهم وأخـذ أمـوالهم وذخائرهم، وسبى زوجة علي الصليحي أسماء وأسرها لمدة سنة كاملـة[4]، وجلـس سعيد الأحول على ملك أبي الحسن علي الصليحي[5]، فـي بـلاد تهامـه وزبيـد[6]، وانقطعت بذلك الدعوة الفاطمية من هذه المناطق وأعيدت الدعوة العباسية[7].

وعهد المستنصر بالله بالولاية والدعوة لأحمد المكرم بن أبي الحسـن وأمـر جميع دعاته في اليمن بالسمع والطاعة لـه[8]، واستقر أحمـد المكـرم بـن علـي الصليحي في صنعاء، فجمع المكرم قبائل العرب وقصد سعيد بن النجاح في منطقـة الزبيد وجرى بينهم قتال عنيف، أنهزم على أثره سعيد بن النجـاح وملـك المكـرم منطقة زبيد في سنة 475هـ/1082م، ثم عاد سعيد بن النجاح وملك منطقة الزبيـد في سنة 479هـ/1086م، إلى أن قام الـمكرم بـقتل سـعيد بـن الـنجاح في سنة 481هـ/1088م[9]، ويذكر ابن ظافر بأن قتله تم بتدبير من الـسيدة الحرة[10]، فملك بعد سعيد بن النجاح أخوه جياش، وبقي المكرم ملكاً على صنعاء إلى

---

[1] – هو سعيد الأحول بن نجاح، ثاني ملوك دولة بنو نجاح في بلاد تهامـه وزبيـد تـولى الملـك فـي سـنة 459هـ/1066م حتى قتل في سنة 481هـ/1088م.(انظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 474).

[2] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 538؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 ؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 210 ؛ صالح، العلاقـة بـين دولـة الـصليحين والخلافة الفاطمية، ص 65 .

[3] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 .

[4] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221 ؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 210 .

[5] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 .

[6] – زبيد : أسم واد يوجد به مدينة تدعى الخصيب ثم غلب على أسم المدينة أسم الوادي (زبيد)، وهـي مدينـة معروفة باليمن أنشأت أيام الخليفة العباسي المأمون، (انظر : ياقوت، معجم البلـدان، ج3، ص 131؛ ابـن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 380) .

[7] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 110 ؛ تامر، المستنصر بالله، ص 36 .

[8] – السجلات المستنصرية، سجل رقم (14)، ص 58–62؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 210 .

[9] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 538 ؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 210 .

[10] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 221 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 414 ، 415 .

أن توفي في سنة 484هـ/1091م[1]،وتشير السجلات المستنصرية إلى أن وفاته كانت في سنة 478هـ/1085م حيث بعث المستنصر بالله إلى أبي الحسن عبد المستنصر بالله بن أحمد المكرم يعزيه بوفاة والده ومقلداً أياه أمر الدعوة والولاية في اليمن[2].

وكان المكرم قد عهد بولاية العهد قبيل وفاته إلى ابن عمه المستنصر بالله أبي حمير سبأ بن أحمد الصليحي[3] وذلك لصغر سن ابنه ولكن زوجته السيدة الحرة أروى لم ترضى بذلك حيث أرادت تولية أبنها عبد المستنصر، فكتبت بذلك إلى الخليفة المستنصر بالله الذي وافق على طلبها، وأمر كافة دعاته في اليمن بطاعته وجعلها وصية عليه لدورها في الدعوة ولرجاحة عقلها وحسن سياستها، ومنحها لقب الملكة، السيدة، المخلصة، المكينة، ذخيرة الدين، عمدة المؤمنين، كهف المستجيبين، وآية أمير المؤمنين، وكافلة أولياء الله الميامين، ومنح ابنها عبد المستنصر بالله لقب (الملك الأوحد، المنصور، العادل، المكرم، عمدة الخلافة، تاج الدولة، سيف الإمام، المظفر في الدين، نظام أمير المؤمنين، عماد الملّة وغياث الأمة، شرف الإيمان ومؤيد الإسلام، عظيم العرب، سلطان أمير المؤمنين، وعميد جيوشه)[4].

ولكن أمراء اليمن لم يعترفوا بولاية عبد المستنصر، فاحتدم النزاع بينهم إلى أن تدخل الخليفة المستنصر بالله وأمر أمراء اليمن بوقف النزاع، وإطاعة السيدة الحرة وابنها[5]، فاستجاب أطراف النزاع إلى أمر المستنصر بالله وانتهى النزاع الذي كان بينهم[6].

---

[1] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 538 .

[2] – السجلات المستنصرية، سجل رقم (26) ص 90-93.

[3] – هو المنصور أبو حمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي، تولى إمارة اليمن في سنة 484هـ/1091م، توفي في سنة 495هـ /1101م، وكان أخر الملوك أ الصليحين، (انظر : ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص 512).

[4] – السجلات المستنصرية، سجل رقم (22) ص 79 .

[5] – المصدر نفسه، سجل رقم (38) ص 130.

[6] – المصدر نفسه، سجل رقم (36)، ص 120.

توفي عبد المستنصر بالله علي بن المكرم في سنة 484هـ/1091م، فتولى مكانه ابن عمه أبو حمير سبأ بن أحمد المظفر بن علي الصليحي في سنة 484هـ/1091م، وبقي سبأ متوليا إلى أن مات في سنة 495هـ/1103م وهو آخر الملوك الصليحيين[1].

[1] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 538 .

الفصل الثالث

أحوال الدولة الفاطمية قبيل تولي

بدر الجمالي الوزارة (الشدة العظمى)

1.3 أحوال مصر قبيل حدوث الشدة العظمى :

تأثرت الدولة الفاطمية في عهد المستنصر بالله بأزمة شاملة سياسية وأقتصادية وأجتماعية وأداريه كادت أن تتسبب في أسقاط الدولة الفاطمية، وقد سميت هذه الأزمة بالشدة العظمى[1]، وأشارت المصادر التاريخية التي تم الرجوع إليها إلى أن بوادر هذه الشدة بدأت في سنة 450هـ/1058م واستمرت لغاية سنة 466هـ /1073م، وكانت ذروتها خلال الفترة الواقعة ما بين 457 – 464هـ/1065 –1071م حيث أستمرت سبع سنوات[2]، وكان لها آثار خطيرة وبعيدة المدى، حيث أدت إلى تحول الدولة الفاطمية من عصر القوة إلى عصر الضعف والأنهيار ومن عصر تحكم الخلفاء بالدولة إلى عصر الوزراء العظام[3].

وذكر الدكتور محمد المحاسنة أن هذه الشدة تشتمل على صعوبات سياسية واقتصادية واجتماعية وطبيعية تعرضت لها مصر في عهد المستنصر بالله الفاطمي وعدّ امتدادها بين سنتي 457-465هـ /1065-1073م[4].

وتضمنت هذه الشدة حدوث ارتفاع كبير جداً في الأسعار[5] خاصة في أسعار المواد الغذائية التي كان الناس يحتاجون إليها في طعامهم، فكان لذلك تأثير كبير على حياتهم، وحدوث المجاعات بسبب نقص الأطعمة[6]وعدم توفرها الناتج، أما عن ارتفاع منسوب مياه النيل، وحدوث الفيضانات أو عن انخفاض منسوب مياه النيل

---

[1] – عزام، الدولة الفاطمية، ص 100.

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 58 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 233 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 310؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 3 .

[3] – عزام، الدولة الفاطمية، ص 100 .

[4] – المحاسنه، الشدة العظمى، ص236 .

[5] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 234 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 130 .

[6] – المقريزي، أغاثة الأمة، ص 46؛ اتعاظ الحنفا، ج2، ص 224، 225 .

وحدوث الجفاف، وقبل الدخول في تفاصيل هذه الشدة لا بد من التعرف على الأحوال التي سبقت قيام هذه الشدة والتي أفرزت عوامل قيامها .

كانت الفترة التي سبقت حدوث الشدة العظمى في مصر فترة عدم استقرار اقتصادي رافقه تردٍ في الأحوال الاجتماعية، فأصابت مصر مجاعة في خلافة المستنصر بالله سنة 444هـ /1052م نتجت عن قلة المواد الغذائية ونقص المؤن وأصبحت خزائن الدولة خالية من الغلال[1] .

وفي سنة 446هـ/ 1054م تعرضت البلاد للغلاء وارتفعت الأسعار فيذكر المقريزي أن تليس[2] القمح بلغ ثمانية دنانير[3]، ثم تكرر حدوث الغلاء وارتفاع الأسعار سنة 447هـ /1055م[4] ورافق هذا الأمر حدوث الأمراض والأوبئة التي بدأت تظهر وتؤثر على أحوال الناس، وتأثرت من هذه التغيرات والأزمات بلاد الحجاز خاصة مكة التي كانت تابعه للخلافة الفاطمية، فلم تتمكن الدولة الفاطمية من إرسال الطعام إلى مكة كالعادة مما أدى إلى أرتفاع أسعار الخبز وأشرف الناس على الهلاك[5] .

وعاد الغلاء إلى مصر في سنة 448هـ /1056م[6] وفي سنة 450هـ /1058م[7] وكانت الأزمة من أصعب الأزمات في مصر فقد عم الغلاء والوباء مصر وبلاد الشام ومناطق كثيرة[8]، وانتشر الموت بين الناس فكان يموت في اليوم الواحد أعداد كبيرة بسبب تدهور الأوضاع الصحية لحياة الناس[9] .

---

[1] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 2، ص 224، 225 .

[2] – التليس : هو مكيال إسلامي يعادل 8 ويبيات أي حوالي 97.5 كغم قمح، وفي العصور الوسطى كان التليس يساوي 150 رطلاً مصرياً، (انظر : هنتس، المكايل، ص 60).

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 226 .

[4] – المصدر نفسه، ج2، ص 230، 240 .

[5] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 73 ؛ محمد المحاسنه، الشدة العظمى، ص 236 .

[6] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 60 .

[7] – ابن ميسر، المنتقى، ص 6–7 .

[8] – الدواداري، كنز الدرر، ص369 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 60 .

[9] – المحاسنة، الشدة العظمى، ص 237 .

2.3 الشدة العظمى :

بدأت الشدة العظمى في مصر سنة 457هـ /1065م وهي أسوا أزمة تتعرض لها مصر في تاريخها وأمتدت حتى سنة 462هـ / 1069م كما يذكر سبط ابن الجوزي[1] وعند المقريزي أن هذه الأزمة بدأت سنة 454هـ /1062م، وسماها الفتنة التي آلت إلى خراب ديار مصر[2] .

وشهدت السنوات من 457-464هـ/1065 - 1071م الغلاء الذي ما عرفته مصر من زمان يوسف عليه السلام، ودام هذا الغلاء حتى أكل الناس بعضهم بعضا[3] وثارت خلالها الفتن وغلت الأسعار، واضطربت أحوال الناس وحصر الخليفة المستنصر بالله في قصره وطمع بعض الناس في ملكه[4] .

1.2.3 أسبابها :

تناول بعض المؤرخون هذه الأزمة وتحدثوا عنها، فقد أطال المقريزي الحديث عن هذه الأزمة في مؤلفاته خاصة في كتابه اتعاظ الحنفاء، وورد الحديث عنها عند سبط ابن الجوزي وأبن الأثير وأبن كثير وغيرهم، كما تناولتها الدراسات الحديثة، أشار الدكتور محمد المحاسنة إلى أسباب هذه الشدة بالاعتماد على كتابات المقريزي وتشمل هذه الأسباب ما يلي[5] :

1. ضعف الخلافة الفاطمية .
2. سيطرة رجال الدولة المتنفذين بشؤون الحكم .
3. نقص مياه النيل .
4. توقف الفلاحين عن العمل بالزراعة .
5. فساد العربان واعتدائهم على الدولة .
6. عدم توفر الأمن في البلاد .

---

[1] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 191- 192.

[2] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 2، ص 265 .

[3] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 4، 5 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 416 .

[4] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 5 .

[5] – المحاسنة، الشدة العظمى، ص 243 .

وكان الجوع وارتفاع الأسعار الذي ضاعف شدة هذه الأزمة وزيادة تأثيرها على الناس ناتج عن توقف الإنتاج الزراعي خاصة بعد أن تعرضت مصر لنقصان مياه النيل التي لم تعد كافية لري الأراضي الزراعية وانعدام الأمن فلم يعد الفلاحون آمنين على أنفسهم ومزروعاتهم فتوقفوا عن العمل بالزراعة[1] .

وكان ضعف الخلافة الفاطمية وفساد إدارتها بالإضافة إلى الفتن والحروب التي نشبت بين عناصر الجيش أشد العوامل تأثيرا وأكثرها أهمية في استمرار الشدة العظمى وزيادة ضررها على أهل مصر[2] .

ضعف الخلافة وفساد الإدارة الفاطمية:

لقد كان لضعف سياسة المستنصر بالله وسوء إدارته الأثر الكبير في الفوضى الأدارية التي عانت منها الدولة الفاطمية، فبعد وفاة الوزير أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي في سنة 436هـ/1044م[3]، سيطرت أمّ المستنصر بالله على الدولة وحكمتها[4]، حيث كان المستنصر بالله معتمداً على الجرجرائي في إصلاح الأعمال وحفظ الأموال وتدبير السياسة وعمارة البلاد[5]، وافتقدت أمّ المستنصر بالله بعد مقتل

---

[1] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 5، ص230؛ الذهبي، دول الإسلام، ج 1، ص 8 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 2، ص 296، 297 .

[2] – أشتهر الخلفاء الفاطميون في إقامة الولائم الفاخرة لأهل القاهرة التي كانت مضرباً للمثل عبر التاريخ لما تحتويه من كميات ضخمه من الأطعمة والحلوى حيث كانت تبلغ طول المائدة الواحدة حوالي أربع مائة ذراع وعرضها سبعة أذرع ونصف وهكذا عرف الفاطميون كيفية أستمالة أهل القاهرة، فضل الدعاء قائماً للخلافة الفاطمية طالما هي في يسر وأن ساءت أحوالها الاقتصادية أنفض العامة عنها، (انظر: عاشور، سعيد عبد الفتاح، صور من مجتمع القاهرة في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثامن عشر، مطابع سجل العرب، القاهرة 1391هـ / 1971م، ص85، وسيشار إليه فيما بعد عاشور، صور من مجتمع القاهرة) .

[3] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 84 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 214، 241، 242 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 356 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 1، ص48، 106، 150.

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص3، 25، 54 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 216، 225؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 1، ص 106، 149 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 21، 22 ؛العوفي، محمد سالم شديد، العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي 447-567 هـ /1055- 1171م، ط1، (1982م)، ص190، وسيشار إليه فيما بعد العوفي، العلاقات السياسية ؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 155.

[5] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 83 .

الوزير أبو محمد الحسن اليازوري في سنة 450هـ/1058م [1]، الناصح الأمين لهـا ومن يقف في وجه نزواتها، حيث كان اليازوري مدبراً لأمور الدولـة وسياسـتها[2]، وكان من أكابر وزراء الدولة الفاطمية[3]، حيث اشـتهر بالـصدق والعفـة[4] وسـمو الأخلاق، كما كان واسع الصدر، حليماً وورعاً[5]، وكان قد سـاس الأمـور أحـسن سياسة، واستطاع أن يسير بالبلاد وسط التيارات المختلفة، كما حد مـن انـدفاع أمّ المستنصر بالله وتدخلاتها في شؤون الحكم[6]، فأبتدأ الفساد بعد مقتله واختلفت أحوال الدولة واتجهت نحو الاضطراب[7]، فأخذت أمّ المستنصر بالله بعده تغير الوزراء فلا يعين وزير حتى يقال أو يقتل الأمر الذي أدى إلى ضعف الدولة وساعد على قيـام الفتن بين الجيش ونشر الفوضى[8].

واتسمت سنة 451هـ /1059م وما تلاها بكثرة صرف الوزراء والقـضاة، وقد بين المقريزي سبب ذلك بكثرة مخالطة المستنصر بالله للعامة وتقديمه لـلأرذال في مجلسه بحيث كان يصل إليه في كل يوم ثمانمائة ورقـة مـن الـشكاوى علـى الوزراء، كما كثر السُعاة إلى منصب الوزارة، الأمر الذي أوقع الحيرة فـي نفـس المستنصر بالله، فضعف الوزراء عن التدبير والدفاع عن أنفسهم وتجرأ العامة عليهم واستخفوا بهم[9]، وأصبح الوزراء يقتنعون بالاسم دون الأمر والنهي[10].

---

[1] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 221 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 82 .

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 25 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 225 .

[3] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 221 .

[4] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 129، 130، 131 .

[5] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 82 ؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 157 .

[6] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 129، 130، 131 ؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 157 .

[7] – العوفي، العلاقات السياسية، ص 133؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 146 .

[8] – المناوي، الوزارة والوزراء، ص 157 .

[9] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 102 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 43 ؛ سلطان، عبد المـنعم عبـد الحميد، الأسواق في العصر الفاطمي دراسة وثائقية (358- 567هـ / 969 – 1171م)، مؤسـسة شـباب الجامعة، (د.ط)، الإسكندرية(1997م)، ص 129، وسيشار إليه فيما بعد سلطان، الأسواق .

[10] – ابن الصيرفي، الإشارة، ص 95 ؛ تامر، المستنصر بالله، ص 13 – 32 .

فقد تولى أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد المغربي منصب الوزارة[1] في شهر ربيع الآخر من سنه 450هـ/1058م [2]، إلى أن صرف عنها في التاسع من شهر رمضان سنة 452هـ/1060م[3]، فكانت مدة وزارته سنتين وأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً[4]، وكان من عادة الوزراء أنهم إذا صرفوا عن منصب الوزارة لا يرجعون إلى أي منصب أخر[5]، ولكن عندما صرف أبو الفرج عن الوزارة طلب أن يتولى ديوان الأنشاء[6]، فأجيب إلى ذلك وعين ناظراً في ديوان الإنشاء كما طلب وجلس في هذه الوظيفة سبعة وعشرين سنة[7]، وعندما سئل أبو الفرج المغربي عن سبب طلبه هذا قال : (حقنا لدمي ودم جميع من سار هذا السير من الوزراء)[8]، وعين مكانه في منصب الوزارة أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي[9].

و في شهر جمادى من سنة 452هـ/1060م صرف عن القضاء أبو القاسم عبد الحاكم بن وهيب وتولى مكانه في شهر رجب من نفس السنة أبو عبد الله أحمد ابن محمد بن أبي زكريا إلى أن توفي في شهر صفر من سنة 453هـ /1061م، فولي القضاء مكانه أبو علي أحمد بن عبد الحاكم بن سعد بن مالك الفارقي، وبعد

---

[1] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 357.

[2] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 223 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 372 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 93، 150 .

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 22 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 223؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 374، المقريزي، المقفى الكبير، ج 5، ص 502 ؛ اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 150، 101.

[4] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 5، ص 502 .

[5] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 374 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 5، ص 502 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 71 .

[6] – مهمة كاتب الديوان تسليم الرسائل الواردة إلى الخليفة والإجابة عنها كما يستشيره الخليفة في الكثير من الأمور ويشترط فيمن يتولى ديوان الأنشاء والمكاتبات بأن يكون من الكتاب البلغاء وتأتي منزلته بهد منزلة الوزير مباشرة، (انظر : القلقشندي، صبح الأعشى، ج 3، ص 563) .

[7] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 5، ص 502 .

[8] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 374 .

[9] – ابن ميسر، المنتقى، ص 22 ؛ ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص357 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 223 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 374 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 150 ؛ المقفى الكبير، ج 5، ص 502 ؛ 101 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 43 .

أيام صرف الفارقي عن القضاء واستقر مكانه أبو القاسم عبد الحاكم بن وهيب المليجي الذي صرف في شهر رمضان من نفس السنة وولي مكانه أبو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعد الفارقي الذي استخلف ابنه عميد الملك أبا الحسن[1].

وفي شهر محرم من سنة 453هـ /1061م هـ صرف أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي عن الوزارة[2]وكان قد مضى عليه فيها أربعة أشهر[3]، وولي الوزارة مكانه عبد الله بن يحيى بن المدبر[4] وذلك في شهر صفر من السنة نفسها[5] وصرف عنها بعد سبعة أشهر وعين مكانه أبو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي[6]، وبقي الفارقي في منصب الوزارة إلى أن توفي في سنة 454هـ/1062م، وولي مكانه أخوه أبو علي أحمد بن عبد الحاكم الذي كان يلي القضاء فصرف عن القضاء في شهر صفر من سنة 454هـ/1062م وصرف عن الوزارة كذلك بعد سبعة عشر يوماً، وأعيد أبو الفرج عبد الله البابلي إلى منصب الوزارة في شهر ربيع الأول من سنة 454هـ/1062م إلى أن استقال بعد خمسة أشهر، وولي الوزارة مكانه ذو الكفايتين سديد الدولة أبو عبد الله حسين الماسكي[7] وفي عهد

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 22 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 375 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 101 .

[2] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 223 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 375؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 101؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 202 .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 150 .

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 22 ؛ ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 357 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 223 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 375 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 150؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 202 ؛ تامر، المستنصر بالله، ص 13 .

[5] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 375 .

[6] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 223 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 375 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 150 .

[7] – هو أبو عبد الله الحسين بن سديد الدولة ذي الكفايتين محمد الماسكي، كان ممن وزر للمستنصر بالله في سنة 454هـ/1062م، عندما صرف عن الوزارة سار إلى مدينة صور من الشام فأقام بها عدة سنوات ثم رجع إلى مصر وخدم مشرفا على أعمال متولي الديوان في الإسكندرية ثم صرف عن ذلك، كان من أماثل الكتاب وأحد الأنباء الفضلاء وله عدة مصنفات ورسائل، توفي سنة 487هـ/1094م، (انظر: – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 357؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 154).

وزارته كانت الفتنة بين العبيد والأتراك، وصرف الماسكي عن الوزارة في شهر شعبان سنة 454هـ/1062م[1]أي بعد خمسة أشهر، وأعيد إليها أبو الفرج عبد الله البابلي[2] إلى أن استقال من منصبه مرة أخرى، فولي الوزارة بعده أبو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم الفارقي الذي بقي في هذا المنصب إلى سنة 455هـ/1063م[3]، حيث ولي في شهر محرم من السنة نفسها في منصبي القضاء والوزارة معاً أبو علي أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم إلى أن صرف عنهما بعد شهر من توليته، وولي مكانه في منصب الوزارة أبو الفضل عبد الله بن يحيى بن المدبر وولي في منصب القضاء أبو القاسم عبد الكريم بن وهيب، وبعد ثلاثة أشهر من توليه الوزارة توفي الوزير أبو الفضل عبد الله بن المدبر في شهر جمادى الأولى [4] واستقر في الوزارة مكانه تاج الرياسة أبي غالب عبد الظاهر ابن فضل بن العجمي[5] الذي صرف عن الوزارة وألقي القبض عليه في شهر شعبان من سنة 455هـ/1063م أي بعد ثلاثة أشهر من توليه منصب الوزارة، وأعيد إلى القضاء والوزارة معاً أبو محمد الحسن بن أبي كدينة الذي بقي في المنصبين لمدة أربعة أشهر وصرف عنهما في شهر ذي الحجة من سنة 455هـ/1063م وولي مكانه في القضاء والوزارة جلال الملك أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي الذي استخلف أخاه أبا الحسن علي بن عبد الكريم في القضاء، وبقي جلال الملك في المنصبين لمدة شهر واحد وصرف في شهر محرم من سنة 456هـ/1064م، وولي الوزارة مكانه بالإضافة إلى القضاء أبو المكارم المشرف بن أسعد بن مقبل، ففوض منصب قاضي القضاة إلى أبي محمد الحسن بن مجلى بن أبي كدينة ثم صرف

---

[1] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 376 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص103 .

[2] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 224 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 150 .

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 23 ؛ ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 357 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 376 .

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 27 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 103، 107 .

[5] – ابن ميسر، المنتقى، ص 28 ؛ ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 357 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص107، 108 ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 202 .

عنهما[1] فأعيدت الوزارة إلى أبي غالب بن العجمي إلى أن صرف عنها بعد ثلاثة أشهر[2]، وفوض منصب القضاء في شهر ربيع الآخر سنة 456هـ/1065م إلى أبي الحسن عبد الحاكم إلى أن صرف في جمادى الأولى من السنة نفسها، وولي مكانه القضاء أبو القاسم بن عبد الحاكم بن وهيب في شهر رجب من سنة 456هـ/1065م وولي مكان ابن العجمي في الوزارة أبي البركات حسين بن عماد الدولة فأقام في الوزارة إلى شهر رمضان وصرف، كما صرف أيضا عن القضاء أبو القاسم عبد الحاكم بن وهيب، وفي شهر ذي الحجة من السنة نفسها ولي القضاء والوزارة معاً أبو محمد الحسن بن أبي كدينة[3].

وهكذا استمر تبدل الوزراء والقضاة في هذه الفترة، فصار التعيين والعزل في الوزارة والقضاء يتم لسبب قد يكون موجباً لذلك وقد لا يكون، وهذا جعل من يتولى منصب الوزارة أو القضاء غير آمن أن يستمر في منصبه أياماً وربما أقل من ذلك، مما فتح المجال لتدهور الأحوال السياسية والأمنية في البلاد وانعدمت الثقة بين الخليفة ورجال دولته، فخربت الأعمال وكثرت النفقات وأنتشر الفساد[4] .

كما سيطرت قبيلة لواته على الوجه البحري[5]وسيطر العبيد والسودان على الصعيد[6] وسيطر الأتراك على مصر والقاهرة وتقاتلت هذه الطوائف فيما بينها واستبد ولاة المدن والأقاليم كل بما في يده[7]، حيث تغلب حصن الدولة معلى بن حيدره الكتامي على ولاية دمشق وتغلب القاضي عين الدولة بن

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 28 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص107، 108 ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 149 ؛ تامر، المستنصر بالله، ص 18 .

[2] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 378 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 108 .

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 28 ؛ ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 357 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 378 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 108 ؛ تامر، المستنصر بالله، ص 15 .

[4] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 43 ؛ سلطان، الأسواق، ص 129 .

[5] – الوجه البحري : هو كل ما سفل عن القاهرة إلى البحر الرومي حيث مصب نهر النيل، (انظر : القلقشندي، صبح الأعشى، ج 3، ص 456) .

[6] – الصعيد : يطلق على جميع الأراضي المصرية الواقعة جنوب القاهرة،(انظر: المقريزي، الخطط المقريزية، ج 1، ص 73) .

[7] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 381 .

عـــقيل على مدينة صور وتغلب بنو عمار على مدينة طرابلس الـــشام، كمـــا ملـــك السلطان ألب أرسلان[1] أغلب البلاد الشامية وخرجت عن أيدي الفـــاطميين[2]، حيـــث ملكت عساكره مدينة دمشق[3]في سنة 468هـ/1075م[4].

كما ألقت الشدة العظمى بآثارها على الحجاز حيث انقطع المال الـــذي كـــان يصلها من مصر، الأمر الذي أضطر صاحب مكة محمد بن أبي القاسم إلـــى أخـــذ الذهب من استار الكعبة المشرفة والمزراب وباب الكعبـــة وصـــنع منهـــا الـــدراهم والدنانير وأخذ في مصادرات ممتلكات أهل مكة فنزح عنها عدد كبير' وكذلك فعـــل صاحب المدينة المنورة بالقناديل التي كانت في المسجد النبوي من شدة الحاجة، كما قام المستنصر بالله بأخذ قناديل الفضة والستور من مشهد إبـــراهيم الخليـــل عليـــه السلام[5]، وقد كانت الدولة الفاطمية قبل الشدة العظمى تدفع من النفقات العامة مائتي ألف دينار وهو مبلغ لم يسبق لأي دولة من دول الإسلام آنذاك أن قامت بدفع مثله، وبانقطاع هذه النفقات في سنوات الشدة العظمى[6]انقطعت الخطبة الفاطمية من مكـــة في سنة 462هـــ/1069م [7] حيث قام صاحب مكة محمد بن أبي القاسم الحـــسيني

---

[1] – السلطان ألب أرسلان : هو عضد الدولة أبو شجاع محمد الملقب بالملك العادل سلطان العالم ابن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق التركي، ثاني ملوك بني سلجوق، اسمه – ألب أرسلان – تركي ويعني باللغـــة العربية محمد، وهو ابن أخي السلطان طغرلبك محمد وولي عهده، وتولى السلطة بعده في الثامن من شـــهر رمضان سنة 455هـــ/1063م وقيل في سنة 457هـــ/1065م، كان عادل، كريما، رحيما، حسن الـــسيرة، مهيب، مطاع، قتل ألب أرسلان في سنة 465هـــ/1073م على نهر جيحون بيد يوسف الخـــوارزمي مـــن الباطنية ودفن في مدينة الري، قضى سبع سنوات وستة أشهر وأياما في الحكم، (انظر : – ابن القلانـــسي، نيل تاريخ دمشق، ص 106 ؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج 4، ص 1971؛ ابن كثير، البدايـــة والنهايـــة، ج 12، ص 114) .

[2] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 99 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمـــان، ص 143 ؛ ابـــن ميـــسر، المنتقى، ص 35 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 131 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 88 .

[3] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 229 .

[4] – ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص 526 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 424 .

[5] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 481 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 20 .

[6] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 132.

[7] – الذهبي، العبر، ج 2، ص 312 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 106 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفـــا، ج 1، ص 132 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 85 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 421 .

بمكاتبة السلطان ألب أرسلان وهو في خرسان يخبره بإقامة الخطبة العباسية وقطع الخطبة الفاطمية، فأرسل إليه ألب أرسلان ثلاثين ألف دينار وخلعاً سنية وأجرى لـه في كل سنة عشرة الآف دينار[1]، ولم يلتفت المستنصر بالله إلى انقطاع خطبته من الحجاز لانشغاله بنفسه ورعيته من شدة الغلاء والبلاء[2]، وقد كاد الخراب أن يستولي على سائر الأقاليم التابعة للدولة الفاطمية [3].

كما خرجت جزيرة صقليه عن سيطرة الخلافة الفاطمية، حيث ملكت الفرنج الجزيرة وذلك بسبب أن المستنصر بالله قد أرسل في سنة 463هـ/1070م إلى واليها يطلب منه المال، وكان هذا الوالي عاجزاً عن دفع ما طلب منه، فما كان منه إلا أن بعث إلى الفرنج وفتح لهم باب البلد وملكوا الجزيرة [4].

وانتشرت الفتن والحروب وكل من قوي على صاحبه أكله ولا يوجد من ولاة الأمر من يشتكى إليه، وكثر النهب والسلب فأصبح النـاس ملازمين لبيوتهم لا يخرجون منها إلا للضرورة القصوى[5].

الفتنة بين عناصر الجند :

ابتدأت الفتنة بين الجند في سنة 454هـ/1062م[6] وكان سببها أن المستنصر بالله كان في كل سنة يركب على النجب ومعه النساء والخمر إلى المكان المعروف بجب عميرة، وفي شهر جمادى الآخرة من هذه السنة خرج المستنصر بالله إلى جب عميرة [7]على هيئة من يريد الحج على سبيل الأستهزاء والتهكم ومعه الخمر

---

[1] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 106؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 132.

[2] – الذهبي، العبر، ج 2، ص 312 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 85 .

[3] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 23 .

[4] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 88 .

[5] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 379 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 148.

[6] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 224 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 105 ؛ العوفي، العلاقات السياسية، 190.

[7] – جب عميرة : عرف بأسم بركة الحجاج أو بركة الجب، نسب إلى عميرة بن تميم التجيبي صاحب الجب، وهو الموقع الذي يبرز إليه الحجاج عند ذهابهم من مصر إلى مكة المكرمة، (انظر : المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص163) .

في الروايا بدلا من الماء ليسقيه للناس كما يسقى الماء في طريق الحج[1]، فقام أحد الأتراك الذي شرب الخمر بتجريد سيفه على بعض العبيد، فأجتمع العبيد عليه وقتلوه، الأمر الذي آثار حفيظة الأتراك الذين أجتمعوا وذهبوا إلى المستنصر بالله وقالوا له : أن كان هذا من رضاك فالسمع والطاعة، وإن كان من غير رضاك فلا نصبرن على ذلك، فلم يقم المستنصر بالله بأي عمل من شانه ضبط الأمور بين الطرفين سوى إنكار علمه بذلك، الأمر الذي أدى إلى أن أجتمع الأتراك وقتلوا جماعة من العبيد في منطقة كوم شريك[2] .

وكانت أمّ المستنصر بالله متحيزة لأبناء جلدتها العبيد وتعينهم بالأموال والسلاح[3]، فقامت بدور أساسي في الفتنة التي كادت أن تقضي على الدولة الفاطمية، حيث إنه وبعد وفاة الوزير الجرجرائي وتولى الوزير صدقه بن يوسف الفلاحي[4]مكانه، سيطرت أمّ المستنصر بالله على الدولة وحكمتها[5]، كذلك أصبح سيدها ووزيرها أبو سعيد التستري ذا شأن عظيم في الدولة بحيث لم يبق للوزير صدقه بن يوسف بن علي الفلاحي معه أمر أو نهي سوى لقب الوزارة وبعض الصلاحيات[6]، الأمر الذي آثار غضب الوزير الفلاحي على أبي سعيد التستري، فأغرى به الجند إلى أن قتلوه في سنة 439 هـ /1047م[7]، ومن شدة غضب والدة

---

1 – ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 21 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 105 .

2 – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 225 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 21، 22 ؛ العوفي، العلاقات السياسية، 190؛ عمايره، محمد عبد الله، الجيش الفاطمي، 297-567هـ /909-1171م، رسالة دكتوراه، إشراف محمد عبده الحتامله، الجامعة الأردنية، غير منشور، (1999م)، ص100، وسيشار إليه فيما بعد عمايره، الجيش الفاطمي .

3 – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 225 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 21، 22 ؛ العوفي، العلاقات السياسية، 190.

4 – ابن ميسر، المنتقى، ص 3 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 51 .

5 – ابن ميسر، المنتقى، ص25، 54 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 106، 149 ؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 155.

6 – ابن ميسر، المنتقى، ص 3 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 216 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 106 .

7 – ابن ميسر، المنتقى، ص 3، 25 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 216 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 51، 106؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 22 .

المستنصر بالله على الذي جرى للتستري أخذت في شراء عبيد السودان وأكثرت من عددهم وجعلتهم مقربين لها فأشتد أمرهم في الدولة إلى أن صار العبد يحكم حكم الولاة[1]، فقد خصتهم بالنظر وبسطت لهم الرزق ووسعت عليهم، وبدأت تظهر كرهها للأتراك وتنتقص من مكانتهم[2]، وكانت قد طلبت من الوزير أبي البركات الحسين الجرجرائي أن يوقع ما بين الأتراك والعبيد فخاف الوزير الجرجرائي من عاقبة الأمور ولم يفعل، فغضبت منه أمّ المستنصر بالله وصرفته عن الوزارة، كما أمرت الوزير أبو محمد الحسن اليازوري أن يوقع ما بين الطائفتين فلم يقبل منها اليازوري ذلك ودبر الأمر وساسه إلى أن قتل، وعندما ولي أبو الفرج البابلي الوزارة أمرته أمّ المستنصر بالله بما أمرت به الجرجرائي واليازوري ففعل وأوقع الفتنة ما بين العبيد والأتراك[3]، فلما وقعت الفتنة بينهم قامت أمّ المستنصر بالله بالوقوف إلى جانب العبيد[4].

وعندما علم الأتراك بما تقوم به أمّ المستنصر بالله، دخلوا على المستنصر بالله وأخبروه بما تقوم به والدته وأغلظوا عليه في الكلام، فما كان من المستنصر بالله إلا أن حلف لهم بأنه ليس على علم بذلك ودخل على والدته وأنكر عليها ما فعلته،وصار السيف قائماً بين الأتراك والعبيد، فسعى الوزير آنذاك أبو الفرج محمد المغربي بالصلح بين الطرفين، فاصطلحوا لفترة قصيرة ثم اجتمع العبيد وخرجوا عن القاهرة إلى منطقة شبرا دمنهور[5]، فكانت هذه الواقعة أول الاختلاف بديار مصر[6]، والشرارة التي أسهمت في أندلاع الفتنة التي كانت وقعت بين عناصر الجند.

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 25 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 225 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 106 ؛أبن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 22 ؛ العوفي، العلاقات السياسية، 190.

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 25 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 106 .

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 25 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 225 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 106.

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 25 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 22 .

[5] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 225 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص21، 22.

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 24 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 105 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 22 .

وبخروج العبيد من القاهرة قويت شوكة الأتـراك فيهـا وأخـذوا يطـالبون المستنصر بالله بزيادة أرزاقهم إلى أن فرغت خزائن الدولة من الأموال، هذا والعبيد يعدون العدة ويتجمعون في شبرا دمنهور إلى أن وصل عددهم إلى خمسين ألفاً مـا بين فارس وراجل[1]، فبعثت أمّ المستنصر بالله في سنة 459هـ /1066م إلى قـادة العبيد في شبرا دمنهور وأغرتهم بالأتراك، فاجتمع العبيد واتجهوا إلى الجيزة حيـث خرج الأتراك لقتالهم بقيادة ناصر الدولة الحسن بن حمدان وجرت بـين الطـرفين معركة أسفرت عن هزيمة الأتراك في بادئ الأمر، فجمع ناصر الدولة جنده وأغار عليهم مرة أخرى وهزمهم وأجبرهم على الهروب إلى منطقة الصعيد، حيث تجمـع العبيد من جديد لإعادة الكرة على الأتراك ليثأروا منهم، فقلق لذلك الأتراك وأتجـه بعض أمرائهم إلى المستنصر بالله شاكين إليه ذلك، فما كان من أمّ المستنصر بـالله حتى أمرت من عندها من العبيد بالهجوم عليهم وقتلهم ففعلوا ما أمرتهم به سـيدتهم، وعندما علم ناصر الدولـة بـما جـرى خرج ومن بقي مـن الأتراك إلى ظـاهر القاهـرة، ووقـعـت حـرب استمرت عـدة أيام بين الأتراك والعبيد المقيمين في مصر والقاهرة حيث أسفرت عن انتصار الأتراك وقتل عدد كبير من العبيد بحيث لم يبقَ منهم في القاهرة ومصر إلا القليل مع بقاء العبيد المقيمين بالصعيد على حـالهم ووجود عدد منهم بالإسكندرية، فاتجه ناصر الدولة بجيشه إلى العبيد المتواجدين في الإسكندرية، فسألوه الأمان فأمنهم وولى بالإسكندرية رجل يثق به، وانقـضت سـنة 459هـ/1066م في حرب العبيد[2].

وقويت شوكة الأتراك مع بداية سنة 460هـ/1067م وقلت هيبة المستنصر بالله عندهم وطمعوا به، وكان مقررهم في كل شهر ثمانية وعـشرين ألـف دينـار فأصبح في كل شهر أربعمائة ألف دينار، ولم يكتفوا بذلك فطالبوا المستنـصر بـالله بالمزيد من الأموال، فاعتذر لهم كونه لم يتبقِ عنده شيئ فطلبوا منه بيـع ذخـائره،

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 24، 31؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 226؛ عمايره، الجـيش الفـاطمي، ص 101 .

[2] – ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 398 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 32 ؛ النويري، نهايـة الأرب، ج 28، ص 227 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 110 .

فأخرجها إليهم وبيعت بأبخس الأثمان[1]، وقد أسهب المؤرخون في وصف تلك النفائس التي أخرجت من خزائن المستنصر بالله[2].

ولم يكتف ناصر الدولة ابن حمدان بالسيطرة على القاهرة والإسكندرية وأراد السيطرة على مجمل الديار المصرية، فخرج مع الأتراك لمقاتلة العبيد الذين تمركزوا في منطقة الصعيد وقد كثر فسادهم فيها إلى أن أصبحوا قطاع طرق، وجرى بينهم قتال انهزم على أثره ناصر الدولة ومن بقي معه من الأتراك إلى منطقة الجيزة، فشاغبوا ثانية على المستنصر بالله واتهموه بقيامه بمد العبيد بالمال والسلاح سراً، فأقسم لهم المستنصر بالله بأنه لم يقم بذلك[3].

وتجمع الأتراك وخرجوا إلى لقاء العبيد الذين تمركزوا في منطقة الصعيد وقاتلوهم، فقتل من العبيد أعداد كثيرة ولم ينج منهم إلا القليل، وانتهى بذلك ذكر العبيد من الصعيد[4].

وعظم أمر ناصر الدولة، وابتدأت الوحشة بينه والأتراك في سنة 461هـ/1068م، وذلك بسبب أن ناصر الدولة أصبح ينفرد بالأمر دون استشارة أمراء الأتراك، فعظم ذلك عليهم وفسدت نيتهم اتجاهه[5]، واشتكوا منه إلى الوزير خطير الملك محمد بن الحسن اليازوري وأخبروه بأن ناصر الدولة يؤثر المال الذي تدفعه الدولة لهم ويخص به أصحابه والمقربين منه فقط ولا يصلهم منه سوى القليل، فاخبرهم خطير الملك بأن ناصر الدولة ما وصل إلى هذه المنزلة الرفيعة إلا بمساعدتهم وإن فارقوه لن يستمر لـه هذا الأمر، فاتفق الأتراك على محاربته وإخراجه من الديار المصرية وأخبروا المستنصر بالله بما هم عازمون عليه وسألوه

---

[1] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 95؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 399 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 32 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 227 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 111 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 82 .

[2] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 233 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص123، 126.

[3] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 399 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 227 ؛ عمايره، الجيش الفاطمي ص 101 .

[4] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 94 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 227 .

[5] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 94 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 227 .

أن يخرجه عنهم، فاستغل المستنصر بالله هذه الفرصة وأرسل إلى ناصر الدولة يأمره بالخروج من القاهرة ويهدده إن لم يفعل، ولم يكن المستنصر بالله قادراً أن يفعل ذلك لولا وقوف أغلب أمراء الأتراك إلى جانبه، فخرج ناصر الدولة وأصحابه من القاهرة متوجهاً إلى منطقة الجيزة، ونهبت دوره ودور حواشيه وأصحابه الذين خرجوا معه[1].

وعاد ناصر الدولة إلى القاهرة ليلاً وأجتمع مع القائد تاج الملوك شادي[2] وقبل رجليه طالباً مساعدته للقضاء على الأمير الدكز[3] والوزير خطير الملك عن طريق قتلهما عند ذهابهما إلى قصر المستنصر بالله، ووافقه شادي حيث ركب في صبيحة اليوم التالي لإتمام ما تم الاتفاق عليه، فعلم الأمير الدكز بما دبر لـــه وهرب إلى قصر المستنصر بالله مستجيراً به، وأرسل شادي إلى ناصر الدولة يطلب منه القدوم إلى القاهرة، فخرج ناصر الدولة من الجيزة بجيشه متجهاً إلى القاهرة، وعلم الأمير الدكز بذلك وطلب من المستنصر بالله الخروج لمقاتلته، وحشد لـــه المستنصر بالله الجند وعامة الناس الذين خرجوا للقائه، فجرت بينهم معركة أسفرت عن هزيمة ناصر الدولة ومقتل عدد من أصحابه وهروبه إلى قبيلة بني سنبس ليتقوى بهم حيث أقام عندهم وصاهرهم[4].

وعندما تحقق ناصر الدولة من ميل المستنصر بالله عنه، عمل على إبطـــال دعوته فكتب إلى السلطان ألب أرسلان السلجوقي يطلب منه أن يمده بالعسكر والمال ليتمكن من السيطرة على الديار المصرية وإقامة الدعوة العباسية فيها[5]، حيث أرسل ناصر الدولة الفقيه أبي جعفر محمد بن أحمد النجار إلى السلطان ألب أرسلان يطلعه

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 33 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 227.

[2] – لم يجد له الباحث ترجمه .

[3] – الدكز: هو شيخ الأتراك والمقدم عليهم ولقبه أسد الدولة وكان زوج أبنة ناصر الدولة الحسن بن حمدان ولم يمنعه ذلك من القضاء عليه في سنة 465هـ/1073م، وقد قتل الدكز بمقدم بدر الجمالي إلى مصر؛ (انظر : أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 190 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 20).

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 34 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 228 .

[5] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 98 ؛ أبو الفداء، المختـــصر، ج 1، ص 545 ؛ النـــويري، نهايـــة الأرب، ج 28، ص 229 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 131 ؛ العوفي، العلاقـــات الـــسياسية، ص 188.

على أمر ناصر الدولة وما حققه من تقدم وتحكم في الدولة الفاطمية وعن نيته تسليم مصر إلى الدولة العباسية[1]، فتجهز ألب أرسلان بعساكره من خراسان[2] وقطع الدعوة الفاطمية من حلب [3]في سنة 463هـ/1070م [4]، واستعد للمسير إلى دمشق ومنها إلى مصر، لكنه لم يتمكن من إكمال حملته العسكرية هذه فعندما كان في حلب جاءه الخبر بأن ملك الروم الأمبراطور رومانوس الرابع قد قطع بلاد أرمينية متوجهاً إلى خراسان فرجع ألب أرسلان مسرعا إلى بلاده والتقى مع عساكر الروم في معركة ملاذكرد وهزمهم أقبح هزيمة وأسر ملكهم[5]، ثم أطلقه مقابل المال وهدنة لمدة خمسين سنة[6]، وكان ألب أرسلان قد خلف وراءه جيشاً من الأتراك في بلاد الشام فملكوا أغلب البلاد الشامية[7].

---

[1] – العوفي، العلاقات السياسية، ص 188 .

[2] – خراسان : هي البلاد الواقعة اول حدودها مما يلي العراق واخر حدودها مما يلي الهند وطخارستان وغزنه وسجستان وكرمان وبلخ، ويشمل اقليم خراسان على نيسابور وهراة ومرو وبلخ وسرخس، (انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص 350) .

[3] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 98، 99؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 142 ؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج 4، ص 1971 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 545 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 229 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 313 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 131 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 421 .عوفي، العلاقات السياسية، ص 188 .

[4] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 99 ؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج 4، ص 1971 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 545 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 421 ؛ العوفي، العلاقات السياسية، ص 188 .

[5] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 99 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 143 ؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج 4، ص 1971 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 35 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 131 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 88 ؛ العوفي، العلاقات السياسية، ص 188 .

[6] – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 421 .

[7] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 99 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 143 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 35 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 131 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 88 .

كما اتفق ناصر الدولة مع الشريف أبي طاهر حيدرة الحسيني[1] وحازم وحميد أبني جراح اللذين كانا في سجن المستنصر بالله وأخرجهما على الفتك ببدر الجمالي والي الشام، وأعطاهم ناصر الدولة أربعين ألف دينار لينفقونها في هذا الوجه، كما أتفق ناصر الدولة مع الشريف بأن يرتبه في حال عودته من مهمته في منصب الخلافة مكان المستنصر بالله نظراً لنسبه الصحيح[2].

وعندما علم المستنصر بالله ما فعله ناصر الدولة لإسقاط الخلافة الفاطمية وقيام الدعوة للخليفة العباسي في البلاد المصرية واتباعها للدولة العباسية، وما ينوي فعله للشريف أبي طاهر حيدرة الحسيني[3]، جهز إليه جيشاً مكوناً من ثلاثة فرق، فتقدمت إحدى الفرق إلى ناصر الدولة وهو في البحيرة فهزمها وأسر قائدها وقتل الكثير منهم وانهزم من بقي واستولى على ما بقي معهم من غنائم فتقوى بها، وتقدمت إليه الفرقة الثانية من جيش المستنصر بالله دون أي علم لها بما جرى للفرقة الأولى فهزمها وأخذ منهما كل ما كان معهم فكثرت أمواله وكبر شأنه واستبد على المستنصر بالله واستخف به وبمن معه، فقطع الطعام والمال عن القاهرة ومصر ونهب أكثر الوجه البحري، كما قطع الخطبة عن المستنصر بالله من الإسكندرية ودمياط وجميع الوجه البحري وخطب بهما للخليفة العباسي القائم بأمر الله[4] .

وطال حصار ناصر الدولة للقاهرة فغلت فيها الأسعار وعدمت الأقوات واشتد الجوع وضج الناس[5]، وخاف المستنصر بالله أن يقوم أمراء الأتراك بتسليمه إلى ناصر الدولة للخروج من هذه الأزمة، فاضطر إلى مراسلته لعقد الصلح معه[6]، واشترط عليه ناصر الدولة إبعاد الدكز وأن ينفرد ناصر الدولة بإدراة البلاد وتدبير

---

[1] – الشريف العلوي أبي طاهر حيدرة بن الحسن الحسيني الذي نفاه بدر الجمالي من دمشق وكان الشريف محببًا للناس وتلقبه العامة بأمير المؤمنين، قتله بدر الجمالي في سنة 462هـ /1069م، (انظر : ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص15، 16) .

[2] – ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص15، 16 .

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 36 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 230 .

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 36 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 230، 233؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 131، 138 .

[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 18 .

[6] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 133 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 18 .

الأمور والعساكر فرضي المستنصر بالله بذلك كله[1] دون أن يمتلك أي قرار أخـر، فقد كانت الحرب بين الأتراك وناصر الدولة قد أمتدت ثمانية أشهر يتحاربون فيهـا ليلاً ونهاراً، الأمر الذي أدى إلى أمتناع الناس عن الحركة والزراعة فتفاقم الـبلاء بالناس واشتد جوعهم ونهب الجند العامة وهرب التجار[2].

كما وقع الصلح أيضاً بين ناصر الدولة والأتراك في شهر محرم مـن سـنة 463هـ /1070م، على أن يكون ناصر الدولة مقيما في خارج القاهرة ويحمل إليه مال مقرر لـه وأن يكون تاج الملوك شادي نائبا عنه في القاهرة، وسـير ناصـر الدولة بموجب الأتفاقية الغلال إلى مصر، وبعد شهور من الاتفاقية وقع خلاف بينهم وعادت الفتنة إلى القاهرة كالسابق وذلك بسبب أن تاج الملوك شـادي قـد خـالف الأتفاق واستبد بالأمور وقلل من المال الذي يجب أرساله إلى ناصر الدولة، فجمـع ناصر الدولة الأعراب وخرج بهم إلى القاهرة حيث استدعى تـاج الملـوك شـادي وغيره من المقدمين الذين خرجوا إليه مطمئنين فألقى القـبض علـيهم[3] وحاصـر القاهرة في شهر ذي القعدة سنة 463هـ/1070م ودخل إليها بجيشه ونهب وأحـرق جزءاً منها، ثم غادرها متجها إلى البحيرة[4]، فجهز إليه المستنصر بالله جيـشا مـن الأتراك والعامة، ودارت بينهم حرب انهزم على أثرها ناصر الدولة وهـرب إلـى البحيرة فقطع الدعوة للمستنصر بالله من الوجه البحري وكتب إلى القـائم بـأمر الله العباسي يسأله أن يجهز إليه الخلع والألويـة الـسوداء، فـساءت أحـوال الخليفـة المستنصر بالله وتعاظمت عليه الشدائد في مصر[5].

---

[1] – ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 18 ؛ عمايره، الجيش الفاطمي ص 103 .

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 36 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 230، 233؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 131، 138 .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 133، 134 .

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 38 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 231 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفـا، ج 1، ص 134 .

[5] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 231 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 .

وبعد أن تأكد ناصر الدولة الحسن بن حمدان من ضعف المستنصر بالله [1] دخل إلى القاهرة في شهر شعبان من سنة 464هـ/1071م وحكم بها وبالغ في إهانة المستنصر بالله، حيث أرسل[2] قاصد بن حمدان[3] إلى المستنصر بالله يطلب منه المال، فرآه الرسول وهو جالس على حصيرة وحوله ثلاثة خدم، وذكر له رسالته من ناصر الدولة، فقال له المستنصر بالله : أما يكفي ناصر الدولة أن أجلس في مثل هذا البيت على هذا الحال، فبكى الرسول وعاد إلى ناصر الدولة وأخبره بما جرى، فصرف له ناصر الدولة في كل شهر مائة دينار[4]، كما قبض على أمّ المستنصر بالله وعاقبها وأخذ منها الأموال[5]، حيث أخذ منها خمسين ألف دينار[6] وهربت إلى العراق في سنة 464هـ/1071م [7] ومعها بنات المستنصر[8]، وتفرق عن المستنصر بالله جميع أقاربه وأولاده ومضوا إلى بلاد المغرب والعراق[9]، وهرب أغلب من كان مع المستنصر بالله إلى الشام ووفدوا على صاحبها بدر الجمالي[10]، فقد كان بدر الجمالي يكره ناصر الدولة الحسن بن حمدان وصار المستنصر بالله في قصره كالمحجور عليه[11].

---

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 .

[2] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 400 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 231 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 .

[4] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 400 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 231 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 .

[5] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 548 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 231 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 .

[6] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 548 .

[7] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 .

[8] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 224 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 233 .

[9] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 548 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 231 .

[10] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 18 .

[11] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 231 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 18 .

وشرع ناصر الدولة في إقامة الدعوة العباسية في مصر وإزالة الدعوة الفاطمية[1] منها، ولكنه لم يتمكن من ذلك لكثرة أتباع الفاطميين من أمراء الجيش والولاة وفي محاولة منه لإبعادهم عن مخططاته أخذ يتتبع أقارب المستنصر بالله وحواشيه وأخذ من قدر عليه منهم وفر من وجد سبيلاً إلى الفرار[2]، كما أصبح يولي منهم الولايات فلا يتمكن هذا الولي من الولاية حتى يأمره بالعودة ويولي رجلا آخر مكانه[3].

ففطن لذلك الأمير الدكز والأمير بلدكوز، وخافوا إن تم له قطع خطبة الفاطميين وإقامة خطبة العباسين فإنه لن يبقي منهم أحداً، وكان ناصر الدولة قد شرع فعلاً في قطع الدعوة الفاطمية من الإسكندرية ودمياط والريف المصري[4] بعد أن تغلب على ولاة المستنصر بالله فيها.

واجتمع الأمير الدكز والأمير بلدكوز بما بقي من الأتراك واتفقوا على قتل ناصر الدولة، حيث كان ناصر الدولة ابن حمدان قد أمن وترك الاحتراس إلى قوته وسطوته وظن أن الدنيا صفت له وحده، فاجتمع الأتراك وركبوا إلى بيته الذي كان في منازل العز[5] في شهر رجب سنة 465هـ/1073م ومعهم خمسون رجلاً[6]، فدخلوا عليه من غير استئذان وخرج إليهم وهو في ردائه مطمئن لقوته ومهابته فقتله

---

[1] – ابن ميسر،المنتقى، ص 38 ؛ أبو الفداء،المختصر، ج 1، ص 548 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 .

[2] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 .

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 38 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 .

[4] – الريف في اللغة هو موضع الزرع والشجر، إلا إنه أطلق في مصر على بلاد أسفل الأرض وفيها سبع كور أهمها دقهله وتنيس ودمياط والعباسية، (انظر : المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت 390هـ /999م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، ليدن، بريل 1967م، ص194، وسيشار إليه فيما بعد المقدسي، أحسن ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 3، ص 438) .

[5] – منازل العز دار أنشأتها السيدة تغريد أمّ الخليفة العزيز بالله، تشرف على النيل، اتخذها الخلفاء العباسيون متنزها وسكنها ناصر الدولة الحسن بن حمدان إلى أن قتل، (انظر : المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص 484) .

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 232 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص25، 92 .

الدكز[1] عن طريق ضربه بسكين في خاصرته[2]، وأخذوا رأسه وقتلوا معه أخاه فخر العرب[3]وأخاه تاج المعالي وجماعة من أهل بيته[4]، كما قتلوا معه محمود بن ذيبان أمير قبيلة بني سنبس والأمير شاور بن حسين[5] والوزير أبا غالب عبد الطاهر بن فضل بن الموفق في الدين ابن العجمي[6]، وذهبوا برؤوسهم إلى المستنصر بالله وطالبوه بالأموال فأخبرهم بأن ناصر الدولة لم يبقَ لديه شيئاً وأنه لا دخل له بالعداوة التي بين الأمير الدكز وناصر الدولة، ودار بينهم حديثٌ طويل أجبر المستنصر بالله إلى بيع المزيد مما عنده، فقد باع المستنصر بالله جميع مقتنياته وجميع ما كان في قصره[7]، وقطعت جثة ناصر الدولة الحسن بن حمدان إلى عدة قطع وأرسلت كل قطعة إلى بلد، وانقطع بذلك ذكر ال حمدان من مصر[8].

و كان المستنصر بالله يظن إنه بعد مقتل ناصر الدولة سيرتاح من تسلطه عليه ولكن[9] بعد مقتل ناصر الدولة الحسن بن حمدان أستطال على المستنصر بالله سلطان الجيش الأمير يلدكوش والأتراك والوزير أبو محمد الحسن بن مجلي بن أسد بن أبي كدينة[10]و الأمير الدكز، فضاق الخناق على المستنصر بالله وساءت حالته[11]،

---

[1] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 548 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 232 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 92 .

[2] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 25 .

[3] – من جملة ما أخذه فخر العرب من خزائن المستنصر بالله مقطع حرير أزرق رقيق بديع الصنع منسوج بالذهب وسائر أنواع الحرير فيه صورة لأقاليم الأرض بمدنها وسعة حصونها وجبالها وبحارها وأنهارها وفيه صورة لمكة المكرمة وللمدينة المنورة مكتوب في أخر هذه الصورة (مما أمر بعمله المعز لدين الله شوقا لحرم الله وإشهارا لمعالم رسول الله في سنة 353 هـ والنفقة عليه أثنان وعشرون ألف دينار)، (انظر : المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج 1، ص 124) .

[4] – أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 548 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 232 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 92 .

[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 25 .

[6] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 .

[7] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 25،19، 92.

[8] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 232 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 92 .

[9] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 234 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136.

[10] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136؛ المقفى الكبير، ج 2، ص395 .

[11] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39.النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 234 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 321 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136.

كما اضطرب الأمر في مصر من سنة 465هـ/1073م إلى سنة 467هـ/1074م إلى أن ولي بدر الجمالي الوزارة في مصر[1].

2.2.3 مظاهرها :

كانت أهم مظاهر هذه الشدة هو حدوث أزمة اقتصادية وتردي في الأحوال الأجتماعية بسبب انتشار الأمراض والأوبئة التي فتكت بالناس .

وكانت الأزمة الاقتصادية شديدة جداً فقد عبر عنها بعض المؤرخون في كتاباتهم وبالغ بعضهم في وصفها مبالغة كبيرة، وفيما يلي أستعراض لما قاله بعض المؤرخين عن هذه الأزمة :

يقول ابن أيبك الدواداري : (وفي سنة 461هـ / 1069م كثر الوخم والوباء بمصر وعاد الطير المعروف بالرخم كثيراً جداً حتى عاد في سائر دور مصر يطرد فلا يبرح وعاد الناس يطلع في حلوقهم صنعة التخمة فيموتون بها فقيل : سنة الوخم والرخم والتخم فنعوذ بالله من أنظارها)[2].

ويقول ابن كثير عن أحداث سنة 462هـ /1069م: (وفيها كان الغلاء شديد في مصر فأكلوا الجيف والميتات والكلاب فكان الكلب يباع بخمسة دنانير) [3]، وعن أحداث سنة 461هـ /1069م يقول المقريزي : (واشتد الغلاء بمصر وقلت الأقوات في الأعمال وعظم الفساد والضرر وكثر الجوع حتى أكل الناس الجيف والميتات ووقفوا في الطرقات يخطفون من يمر من الناس فيسلبونه ما عليه)[4] .

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 58 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 1، ص 548 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 234 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 524 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 128، 130، 136؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 4 .

[2] – الدواداري، كنز الدرر، ص 387 .

[3] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 105 .

[4] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 2، ص 279 .

فكانت المجاعة من أكبر مظاهر الشدة العظمى، وحدثت بسبب قلة الإنتاج الزراعي والجفاف وخراب الأراضي الزراعية، ورافق ذلك ارتفاع كبير في الأسعار[1] .

و كان تدهور الأحوال السياسية سبباً في زيادة حدة هذه المجاعة فالمزارعون أصبحوا غير آمنين على أنفسهم ومزروعاتهم وصاروا مهددين بالاعتداء وفرض الضرائب العالية، وضعفت التجارة وأصبح التاجر أيضا غير آمن لا في حله ولا في ترحاله خلال تنقله لغرض تجارته في البلاد[2].

واشتد الغلاء ببلاد مصر في سنة 461هـ /1068م وقلت الأقوات في الأعمال وعظم الفساد وأكل الناس الجيف والميتات ووقف بعضهم في الطرقات يقتلون من يظفروا به ويأخذوا ماله؛ وهلك بسبب الحرب الدائرة في مصر أمم لا تحصى[3]، ففي هذه السنة بيعت حارة بمصر بطبق خبز عن كل بيت رغيف خبز فعرفت هذه الحارة بعد ذلك بحارة طبق، كما تذكر بعض المصادر التاريخية في هذه السنة أن المستنصر بالله لم يجد ما يأكله سوى ما كانت الشريفة بنت صاحب السبيل[4] بأبشاذ[5] تبعث به إليه حيث كانت ترسل إليه في كل يوم رغيفي خبز من جملة ما كانت تتصدق به على العامة[6].

و امتنع الناس عن ممارسة الأعمال الزراعية فتفاقم البلاء بالناس وأشتد جوعهم[7]ونهب الجند العامة فهرب عامة التجار[8]، وتفرق أهل مصر في البلاد،

---

[1] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 5، ص 230 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 2، ص 296، 297 ؛ أغاثة الأمة، ص 55 .

[2] – المحاسنة، الشدة العظمى، ص 243 .

[3] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص 97 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 35 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 387 .

[4] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 128، 129 . .

[5] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 223 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص240 .

[6] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 223 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص240 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، 129 .

[7] – ابن ميسر، المنتقى، ص 36 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 230، 233؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 131، 138 .

[8] – ابن ميسر، المنتقى، ص 36 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 230، 233؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 131، 138 .

ووصل إلى بغداد أشياء كثيرة مما نهب من قصر المستنصر بالله وفيها ما نهب من بغداد في أحداث البساسيري[1]، وغلت الأسعار حتى بيع ثلاثة عشر رطلاً من الخبز بدينارًا وعدمت الأقوات وضج الناس، وكان معظم الغلاء في سنة 462هـ/ 1069م حيث بيع في هذه السنة تليس القمح بألف دينار ولا يسلم هذا القمح لأصحابه إلا بالحراسة الشديدة واتفاق السلامة [2].

كما تعددت في هذه السنة أسباب هلاك الناس إما بالوباء الذي انتشر في فترة الشدة العظمى[3] أو القتل أو الخوف أو الجوع[4]، فألقى الناس موتاهم في النيل دون أكفان[5]، وهاجر من مصر والشام الى العراق في شهر ذي القعدة من سنة 462هـ/1069م أعداد كبيرة من الرجال والنساء هاربين من الخوف والغلاء، وأخبروا من التقوا به بأن مصر لم يبق فيها إنسان كبير من شدة الجوع وكثرة الموت، وأن الناس أكل بعضهم بعضاً، حيث ظهر في فترة الشدة العظمى جماعة من آكلي لحوم البشر[6].

واضطر الناس من شدة الجوع إلى أكل البهائم حيث لم يبقَ إلا ثلاثة خيول للمستنصر بالله بعدما كان لـه منها الآلاف[7]، وأكلت الكلاب إلى أن قل وجودها فبيع الكلب بخمسة دنانير[8]، كما أكلت القطط[9] حيث بيع السنّور وهو نوع من أنواع القطط بثلاثة دنانير[10]، وارتفعت اسعار السلع حتى بيعت وأوقية[11] الزيت بقيراط واللوز

---

[1] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 224 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 233 .

[2] – ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 5، 18 .

[3] – النويري،نهاية الأرب، ج 28،ص 234 ؛ المقريزي،اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 ؛السيوطي،تاريخ الخلفاء،ص 422.

[4] – ابن الصيرفي، الإشارة، ص 95 ؛ العماد الاصفهاني، البستان الجامع، ص 305 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 58 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 519 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 149 .

[5] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 134 .

[6] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 482 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 128 .

[7] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 482 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 240 .

[8] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 482 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 18 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 128 .

[9] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 128 .

[10] – ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 18 .

[11] – الأوقية : تختلف الأوقية من مدينة الى أخرى وهي تتراوح مابين 150غم إلى 225غم، (انظر : هنتس، المكاييل، ص 20) .

والسكر بوزن الدراهم والبيضة بعشرة قراريط وراوية الماء لغسل الثياب بـدينار[1]، وبيعت البيضة بدينار وأردب القمح بمائة دينار في الأول ثم عـدم وجـود القمـح أصلاً[2]، كما طبخ الناس جلود البقر وباعوا الرطل بدرهمين وأوقية اللحمـة بـدرهم وباعت الناس أملاكهم بأبخس الأثمان [3].

وتعطلت دواوين الدولة وخرجت نساء قـصر المستنـصر بـالله ناشـرات شعورهن يصحن من الجوع [4]، حيث لم يبق للمستنصر بالله إلا الحصيرة التي يجلس عليها[5]، كما أسهبت بعض المصادر التاريخية في ذكر القصص عما وصـلت إليـه أحوال الدولة خلال فترة الشدة العظمى، وهنا نذكر بعضاً منها للقياس عليها حيـث يذكر أن رجلاً اشترى سبعين حبة قمح بسبعين ديناراً وذلك أن هذا الرجل قد اشترى قمحاً بسبعين ديناراً فنهبته منه العامة فنهب مع العامة ولم يظفر إلا بـسبعين حبـة قمح[6]، وكان السودان يقفون في الأزقة يخطفون النساء بالكلاليب ويشرحون لحومهن ويأكلونها[7]، حيث أجتازت إمراة بزقاق القناديل بمصر، وكانت سمينة فعققها السودان بالكلاليب وقطعوا من عجزها قطعة وقعدوا يأكلونها، وغفلوا عنها فخرجت من الدار وأستغاثت فجاء الوالي وكبس الدار فأخرج منها ألوفا من القتلى وقتل السودان[8]، ولم يكن أحد يدفن ميته في النهار خوفا من أن تسرق جثته[9].

---

[1] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 482 .

[2] – ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 19 .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 1، ص 134 .

[4] – المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 1، ص 128 .

[5] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 400 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 10 ؛ أبـو الفداء، المختصر، ج 2، ص21، 548 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 1، ص 128 .

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 57 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 234 .

[7] – ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 19، 20 ؛

[8] – ابن ميسر، المنتقى، ص 58 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 20 .

[9] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 105 .

ودخل رجل الحمام فقال لـــه صاحب الحمام: من تريـــد أن يخـــدمك ســـعد الدولة[1] أو عز الدولة أو فخر الدولة، فقال لـــه الرجل: أتهزأ بي!، فقال لـــه صاحب الحمام : لا والله انظر إليهم فنظر فإذا أعيان الدولة ورؤساؤها صـــاروا يخـــدمون الناس في الحمام لكونهم باعوا جميع موجوداتهم في الغلاء واحتاجوا إلى الخدمة[2].

كما أخرجت الثياب والتحف والهدايا التي كانت في قصر المستنصر بالله منها ما أخذ في ثورة البساسيري، وكانت هذه الأشياء التي لخلفاء بني العباس عند خلفاء مصر يحتفظون بها لبغضهم لبني العباس، فلما ضاق الأمر على المستنـــصر بـــالله أخرجها وباعها بأبخس ثمن لشدة الحاجة[3]، وقيل أن ما أخذ من خزائن المستنـــصر بالله وقصره كتب في مجلد مكون من عشرين قرطاسا [4].

وقام بعض التجار باحتكار السلع خاصة المواد الغذائية، وتركـــز الاحتكـــار على السلع الضرورية بهدف كسب الأرباح، وعمد تجار الأطعمة والمواد الغذائيـــة إلى إخفائها من الأسواق مما أدى إلى ارتفاع أسعارها[5] فعجز الناس عن شرائها .

ويبدوا أن وطأة هذه الأزمة دفعت بعض الناس إلى القيام بأعمال وتـــصرفات خارجة عن المألوف خاصة بين الفقراء الذين صعب عليهم توفير لقمة العـــيش فـــي هذه الفترة الحرجة، فيذكر ابن الجوزي إنه في هذه الشدة تم اكتشاف رجـــل يـــذبح الصبيان والنساء ويأكل لحومهم ويبيع ما يتبقى ثم يقوم بإخفاء رؤوسهم وأطـــرافهم في حفرة أعدها لذلك، فتم القبض عليه وقتل[6] .

---

[1] – لعل ابن تغري بردي يقصد بسعد الدولة الأمير المعروف بسعد الدولة سلام عليك الذي أخذ في السادس من شهر صفر من سنة 461هـــ ما في خزانة البنود من الالآت وغيرها فوجد فيها ألف وتسعمائة درقة لمطيـــة (نسبه لقبيلة اللمط البربرية في المغرب) غير ما أخذه منها من ألآت الحرب والأعلام الموشـــحة بالـــذهب والفضة، (انظر : المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 114) .

[2] – ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 19 .

[3] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 105 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، ج 5، ص 19 .

[4] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 127 .

[5] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج 12، ص 191، 196 ؛ المقريزي، اتعـــاظ الحنفـــا، ج 2، ص 297، 299 ؛ المحاسنة، الشدة العظمى، ص 244 .

[6] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 16، ص 118 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 106 ؛ المحاسنة، الشدة العظمى، ص 244 .

وقد أثارت هذه الأعمال الرعب بين الناس وصاروا يتخوفون على أنفسهم، وهاب الكثير من الناس الخروج في الشوارع ليلاً، وتأثر جميع أهل مصر بهذه الضائقة الصعبة .

الفصل الرابع

ظهور بدر الجمالي ودخوله مصر

1.4 تولي بدر الجمالي ولاية دمشق :

لقد أشارت المصادر التاريخية التي رجعت إليها إلى أن أول ظهور لبدر الجمالي على الساحة السياسية في الدولة الفاطمية هو عندما ولي إمارة دمشق من قبل الخليفة المستنصر بالله .

لقد شهدت إمارة دمشق تبدل الكثير من الولاة عليها[1]، ففي أواخر خلافة الظاهر لإعزاز دين الله ولي فيها أنوشتكنين الختني الدزبري في سنة 419هـ/1028م، وبقي فيها في عهد الخليفة المستنصر بالله إلى أن هرب عنها في سنة 433هـ /1041م إلى مدينة حلب بعد خلاف وقع بينه وبين جنده وأهل البلدة، كان سببه قيام الوزير أبي القاسم علي بن أحمد الجرجرائي بتحريض أهل دمشق عليه بعد أن وصله إنه قال بحقه : (قد خرف الوزير)، وولى المستنصر بالله بعده إمارة دمشق لناصر الدولة الحسين بن الحسن بن حمدان في شهر جمادى الآخرة من سنة 433هـ/ 1041م، إلى أن قبض عليه في سنة 440هـ/1048م وأسر في مصر، وفي شهر رجب من السنة نفسها ولى المستنصر بالله على إمارة دمشق طارق الصقلبي[2] ثم عزله عنها في شهر محرم من سنة 441هـ / 1049م، وولي بعده رفق المستنصري الذي أقام والياً عليها أياماً إلى أن عزل وولي مكانه المؤيد حيدره بن مفلح في شهر جمادى الأولى من نفس السنة وبقي والياً عليها إلى أن عزل في سنة 450هـ/1058م[3]، فولى مكانه المستنصر بالله ناصر الدولة الحسين بن حمدان الذي دخلها في شهر رجب من نفس السنة، وبقي فيها إلى سنة 452هـ/1060م

---

[1] – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 5-53 .

[2] – هو بهاء الدولة طارق الصقلبي، ولي إمارة دمشق بعد ناصر الدولة الحسين بن حمدان في شهر رجب من سنة 440هـ/1048م، عزل عنها في شهر محرم من سنة 441هـ/1049م، وولي مكانه رفق المستنصري، (انظر : الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 43) .

[3] – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص43، 44 .

حيث أرسله المستنصر بالله في شهر ربيع الأول من السنة نفسها لقتال بني كلاب وجرت بينه وبين بني كلاب قتال حيث هزم ناصر الدولة وتوجه إلى مصر[1] .

وفي شهر ذي الحجة من سنة 452هـ/1060م عين المستنصر بالله سبكتكين المستنصري والياً على إمارة دمشق، وبقي والياً عليها إلى أن توفي بها في شهر ربيع الأول من سنة 453هـ /1061م[2]، فكانت ولايته فيها ثلاثة شهور وسبعة عشر يوماً[3].

وفي شهر جمادى الأولى سنة 453هـ/1061م ولي عليها الأمير حسام الدولة ابن البجناكي، وجلس فيها مدة ثم عزل في شهر رمضان من السنة نفسها، وولي مكانه ناصر الدولة بن الحسين بن حمدان فوصلها في شهر رمضان سنة 453هـ/1061م، وبقي فيها إلى أن عزل عنها في شهر ذي القعدة سنة 453هـ/1061م، فولي مكانه المؤيد حيدره بن مفلح، الذي بقي فيها إلى أن عزل عنها في شهر ربيع الأول من سنة 455هـ/1063م[4].

وفي الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة 455هـ/1063م ولي بدر الجمالي ولاية دمشق والمناطق التابعة لها[5]، وولي معه النظر في ديوان الخراج والأعمال والنفقات الشريف القاضي ثقة الدولة ذو الجلالين أبو الحسن يحيى بن زيد الحسيني الزيدي[6].

وبعد سنة وأربعة أشهر من ولاية بدر الجمالي لدمشق[7]، حدث خلاف بينه وبين جيشها والعامة ووقعت بينهم حروب، ولم يستطع بدر في ظل هذه الأجواء من

---

1 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 33 .

2 – المصدر نفسه، ج2، ص 45.

3 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 90، الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 45.

4 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص90، 91 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 44 –46.

5 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 92 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 363 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 28 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 232 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 46؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 107 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

6 – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 107 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 28 ؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 92 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

7 – ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

البقاء داخل المدينة خوفاً على نفسه منهم فخرج منها كالهارب في ليلة الثلاثاء الموافق الرابع عشر من شهر رجب سنة 456هـ/1064م[1].

وعين المستنصر بالله مكانه في ولاية دمشق حيدرة بن منزو[2]، الذي وصل إليها في شهر رمضان سنة 456هـ/1064م وبقي فيها إلى أن عزل، وولي مكانه شهاب الدولة دُري[3] في شهر ذي القعدة سنة 456هـ/1064م ثم صرف عنها في السنة نفسها[4].

وبقيت دمشق خالية من الولاة إلى أن ولي عليها للمرة الثانية بدر الجمالي فدخلها في السادس من شهر شعبان سنة 458هـ/1065م[5]، وفوض لبدر الجمالي بالإضافة إلى ولاية دمشق ولاية الشام كاملة[6]، وقد صرف له الخليفة المستنصر بالله من النفقات ما مقداره مليون دينار[7].

أما بالنسبة لأبرز الأحداث التي شهدتها الولاية الثانية لبدر الجمالي على دمشق في سنة 459هـ/1067م، فقد بعث المستنصر بالله إلى والي حلب محمود بن

---

1 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 92 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ في التساريخ، ج 8، ص 363 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 46 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

2 – هو الأمير حصن الدولة أبو المعلى حيدرة بن منزو بن النعمان تولى إمارة دمشق بعد هروب بدر الجمالي عنها في يوم السبت الموافق العشرين من شهر رمضان من سنة 456هـ/ 1064م ثم أنصرف عنها، أساء السيرة في الناس وعذبهم إلى أن خربت أعمال البلاد ووقع بينه وبين جيشها خلاف فخاف منهم وهرب إلى مدينة بانياس ثم إلى مدينة صور ثم إلى مدينة طرابلس التي حمل منها مقيداً إلى مصر وبقي فيها إلى أن قتل في سنة 481هـ / 1088م، (انظر : الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 49، 50) .

3 – هو شهاب الدولة دري بن عبد الله، ولي دمشق في العشر الأخير من شهر ذي القعدة من سنة 456هـ/1064م، ثم صرف عنها في بقية هذه السنة وولي الرملة التي قتل بها في شهر ربيع الآخر من سنة 460هـ/1067م، (انظر : الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 51) .

4 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 92 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 29 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 232 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 52 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 108.

5 – ابن ميسر، المنتقى، ص 30 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 109 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 ؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 93، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 92 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 232 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 47 .

6 – ابن ميسر، المنتقى، ص 30، النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 232 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 47 .

7 – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 109 .

نصر بن صالح بن مرداس يطلب منه إرسال المال إليه وغزو الروم وصرف الأتراك الغز إن كان ما زال على طاعته، فامتنع عن ذلك، وعندما وصل جوابه إلى المستنصر بالله أرسل إلى بدر الجمالي المقيم في دمشق، وأخبره بأن محمود قد خلع الطاعة ومال إلى العباسيين، فندب بدر الجمالي لقتاله عطيه بن صالح بن مرداس الذي كان آنذاك في منطقة الرحبة[1]، ولكن القاضي جلال الملك بن عمار المقيم في طرابلس تدخل بينهم وأصلح الحال[2].

وكان بدر الجمالي يتنقل في الإمارة من دمشق إلى صور حتى ملكها وأخرج صاحبها عين الدولة أبو الحسن محمد بن عبد بالله بن أبي عقيل، الذي كان قاضياً فيها فتغلب عليها وتولى أمرتها واستقل بها[3].

وعندما بلغ بدر الجمالي وهو في دمشق نبأ مقتل ولده في عسقلان، توجه إليها من دمشق في سنة 460هـ/1067م، وعندما وصل إلى مسجد القدم خارج دمشق[4]، حدثت فتنة بينه وبين جيشه وأهل البلد في يوم الجمعة الموافق التاسع والعشرين من شهر جمادى الأولى تزامنت مع الحرب القائمة في مصر[5]، وجرى خلال هذه الفتنة نهب وحرق قصر الأمارة[6] وخزائن بدر الجمالي[7]، فترك بدر الجمالي مدينة دمشق هارباً منها مع ما بقي معه من الجيش إلى مصر[8].

---

[1] – الرحبة : هي قرية تقع بجوار منطقة القادسية على الطريق المؤدية إلى الكوفة، (انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص 33 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 14 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 71 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 59) .

[2] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص 80 .

[3] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[4] – المصدر نفسه، ص 91 .

[5] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 93 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 33 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 47 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 130 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[6] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 96 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 53 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 47 .المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 147 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[7] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 82 .

[8] – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 47 .ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

وكانت هذه الفتنة ما بين المغاربة والمشارقة من المقيمين في مدينة دمشق[1]، حيث كان المشارقة في هذه الفتنة يمثلون الأشخاص الذين يميلون إلى الدولة العباسية والمغاربة يمثلون الأشخاص الذين يميلون إلى الدولة الفاطمية[2]، كما كان بعض العامة يكرهون بدر الجمالي ويعدّونه مسيئاً لهم، وذلك بسبب قيامه بطرد الشريف العلوي أبي طاهر حيدرة بن الحسن الحسيني من دمشق، فقد كان الشريف محبوباً عند الناس وتلقبه العامة بأمير المؤمنين حيث كان عالماً قارئاً محدثاً وكان عدواً لبدر الجمالي[3].

فهرب بعضهم[4] إلى دار الملك الخضراء المجاورة من جهة القبلة لجامع بني أمية[5] المعروف بجامع دمشق[6]، فضربت هذه الدار بالنار أثناء الفتنة فأتصلت النيران بالجامع من الجهة الغربية، وعجز الناس عن إطفائها فأتى الحريق على الجامع ومحتوياته فاندثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة[7]، حيث سقطت القبة الكبيرة[8] وسقوفه وتناثرت فصوصه المذهبة وتغيرت معالمه وتقلعت الفسيفساء التي كانت في أرضه وعلى جدرانه، فقد كانت سقوفه مذهبة كلها وجدرانه مذهبة

---

1 – ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 383 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج1، ص 455 .

2 – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 104 .

3 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 82،15، 86 .

4 – ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 383 .

5 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 96 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 383 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 53 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 311 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 104، المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 1، ص 147 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

6 – العماد الاصفهاني، البستان الجامع، ص 305 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 383 130 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج1، ص 455 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 311 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 104 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 1، ص 130 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 421 .

7 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 96 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 383 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج1، ص 455 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 311 ؛ عوايشه، محمد، معالم أثريه متنوعة تقف شاهداً على عظمة الفن المعماري العربي الإسلامي، جريدة الرأي، الملحق الثقافي، عدد 12660، 2005/5/20م، ص 6، وسيشار إليه عوايشه، معالم أثريه .

8 – المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 1، ص 130 .

وملونة مصور فيها جميع بلاد الدنيا[1]، ولم يبقَ منه إلا أربعة جدران[2]، وقد كان هذا الجامع من إحدى العجائب لجمال محتوياته ولحسنه وبهائه[3].

ولما دخل الشريف العلوي أبو طاهر حيدرة بن الحسن مدينة القاهرة بعد أن نفاه بدر الجمالي من مدينة دمشق[4]، توجه إلى ناصر الدولة ابن حمدان وشكا إليه بدر الجمالي، ثم اتفق معه على إخراج كل من حميد بن محمود بن الجراح وحازم بن علي بن الجراح[5] من السجن، حيث كانا في سجن المستنصر بالله منذ ما يقارب العشرين سنة، واتفقوا جميعا على قتل بدر الجمالي فقدم لهم ناصر الدولة أربعون ألف دينار لإنفاقها في هذا العمل، ووعد ناصر الدولة الشريف أبو طاهر العلوي بأن يتولى الخلافة مكان المستنصر بالله بعد إنجاز هذه المهمة، وهذا دليل على مدى كرهه لبدر الجمالي والعمل بكل الوسائل من أجل التخلص منه[6].

ومن جراء هذه الفتنة انهزم بدر الجمالي عن دمشق، وتوجه إلى مصر حيث قلده المستنصر بالله إمارة عكا[7]، وفي شهر شعبان من سنة 460هـ/1067م[8]وبعد خروج بدر الجمالي من ولاية دمشق ولى فيها المستنصر بالله الأمير قطب الدولة بأرزطغان[9]، ومعه الشريف العلوي أبو طاهر حيدرة بن الحسن الحسيني ناظراً في

---

1 – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 104 .

2 – عوايشه، معالم أثريه، ص 6.

3 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 96 ؛ ابن الأثير،الكامل، ج 8، ص 383 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج 1، ص 130 .

4 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 94 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 34 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 82 .

5 – بنو الجراح : هم أحد بطون قبائل طيء التي أقامت في فلسطين وهي قبيلة عظيمة من القحطانية ويتفرع منها بطون وأفخاذ متعدده، (انظر : القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 371) .

6 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5، ص15 – 18 .

7 – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 147 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

8 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 94 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 51 .

9 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 51 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 82 .

أعمالها[1]، وأقاما بها مدة ثم خرجا منها في شهر ربيع الأول سنة 461هـ/1068م[2].

في سنة 461هـ/1068م[3] ظفر بدر الجمالي بالشريف العلوي أبي طاهر حيدرة ابن الحسن الحسيني وكانت بينهم مشاكل سابقة دعت بدر الجمالي إلى أن يجتهد في طلبه[4]، فلما دخل بدر الجمالي إلى دمشق هرب منها الشريف العلوي إلى عمان البلقاء والتجأ عند بدر بن حازم فأرسل بدر الجمالي إلى بدر بن حازم يطلب منه إرسال الشريف العلوي إليه مقابل أثنى عشر ألف دينار وخلعاً كثيرة فغدر بدر بن حازم بالشريف العلوي وأرسله إلى بدر الجمالي[5] الذي كان موجوداً في ساحل الشام فقتله أقبح قتلة[6] وقيل إنه قتله خنقًا، ثم سلخ جلده وقيل بل سلخه حياً، فاستاء الناس لهذا الفعل مع مثل هذا الرجل[7] الذي كان يعد من العلماء[8].

وبعد أن خرج الأمير قطب الدولة بارزطغان ومعه الشريف أبي طاهر حيدرة بن الحسن الحسيني من دمشق سيطر عليها الأمير حصن الدولة معلى بن حيدرة بن منزو الكتامي في شهر شوال من سنة 461هـ/1068م واقتحم مدينة دمشق قهراً بالسيف وأساء السيرة بالناس[9]، فقد أخذ ولاية دمشق من غير أمر المستنصر بالله، وجاءه التقليد من قبل المستنصر بالله لاحقاً، فبالغ بالمصادرات

1- ابن ميسر، المنتقى، ص 33 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 112 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج5، ص 82 .

2 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 51 .

3 – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 127 .

4 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 94 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 34 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 82 .

5 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 94 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 82 .

6 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 94 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 34.المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 127 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 82، 86 .

7 – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 94 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 34 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 82، 86 .

8 – ابن ميسر، المنتقى، ص 34 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 127 .

9 – ابن ميسر، المنتقى، ص 35 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 52 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 127 .

والظلم ومصادرة الفقراء وكان قاسٍ على الرعية إلى أن خربت أعمالها وهجرها أهلها هرباً من ظلمه لهم كما هجرت المزارع[1].

وعلى أثر سوء تدبير المعلى، وقع خلاف بينه وبين عساكره، فخاف المعلى على نفسه وانهزم عن دمشق هارباً إلى مدينة بانياس[2] فوصل إليها في يوم الجمعة الموافق الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة من سنة 467هـ /1074م وأقام بها وعمرها ثم خرج منها في سنة 472هـ/1079م خوفاً من الجيش الذي قدم من مصر إلى مدينة صور عند ابن أبي عقيل المستولي عليها ثم ترك مدينة صور واتجه إلى مدينة طرابلس وأقام بها عند زوج أخته جلال الملك بن عمار مدة من الزمن وسافر إلى مصر، فاعتقل هناك ومات بالأعتقال ضرباً بالنعال سنة 481هـ/1088م[3].

وكان أتسز بن أوق الخوارزمي محاصراً لمدينة دمشق في شهر رمضان من سنة 467هـ/1074م إلى أن أنصرف عنها في شهر شوال من نفس السنة، وأصبح في كل سنة يحاصر دمشق ويحصد زرعها ويمنع العامة من الزراعة حتى ارتفعت الأسعار[4]، فعندما علم أتسز بهروب المعلي عن دمشق رجع محاصراً إليها في شهر ذي الحجة من نفس السنة، ثم رحل عنها في شهر صفر من سنة 468هـ/ 1075م، ثم عاد وحاصرها في شهر شعبان من السنة نفسها، وشدد عليها الحصار حتى ارتفعت الأسعار وقل الطعام[5].

وفي أثناء ذلك وبعدما هرب معلى بن حيدره عن دمشق أجتمعت المصامدة[6]وقررت توليه زعيمهم رزين الدولة أنتصار بن يحيى المصمودي على

---

[1] – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 52 .

[2] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 95 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 120 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 138.

[3] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 95 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 53 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 120 .

[4] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 152 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 220 .

[5] – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 55 .

[6] – المصامدة : هي قبيلة من البربر بالمغرب تنسب إلى مصمود، وكانوا جزءاً أساسي من الجيش الفاطمي حيث أعتمد عليهم الفاطميين في حكمهم، (انظر : ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت

إمارة دمشق في شهر محرم من سنة 468هـ/1075م، فرضي به العامة لحسن سيرته[1].

وبقي أتسز محاصراً لمدينة دمشق وزادت معاناة أهلها حتى أضطروا إلى تسليمه البلدة صلحاً مقابل توليته رزين الدولة أنتصار مدينة بانياس ويافا والساحل[2]، وبذلك دخل أتسز مدينة دمشق في شهر ذي القعدة من سنة 468هـ/ 1075م وخطب على منابر دمشق للخليفة العباسي المقتدي[3]، وزالت من على منابر دمشق الخطبة للفاطميين ولم تعد بعد ذلك[4]، وقد غضب المستنصر بالله من الأمير حصن الدولة معلى بن حيدرة بسبب سقوط مدينة دمشق بيد العباسيين ولعنه في سجل ولاية بدر الجمالي للوزارة في مصر[5].

2.4 عودة بدر الجمالي إلى مصر وتوليه الوزارة :

بعد مقتل ناصر الدولة ابن حمدان استطال على المستنصر بالله أمير الجيش الأمير يلدكوش والوزير أبو محمد الحسن بن مجلي بن أسد بن أبي كدينة[6]و الأمير

456هـ/1063م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر 1962م، ص 495، وسيشار إليه ابن حزم، جمهرة ؛ معجم البلدان، ج5، ص 136) .

[1] – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 54 .

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص 54 .

[3] – المقتدي : هو الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد بن عبد الله القائم، توفي والده قبل ولادته في سنة 448هـ /1056م فأسماه جده عبد الله على اسمه ولقبه بالمقتدي بأمر الله، بويع بالخلافة بعد وفاة جده سنة 467هـ / 1074م وعمره تسع عشرة سنة، كان ديناً خيراً قوي النفس عالي الهمة، من محاسنه إنه نفى المغنيات من مدينة بغداد، تزوج أبنة السلطان ملكشاه سنة 474، توفي في الرابع عشر من شهر محرم سنة 487هـ / 1094م بعد خلافة قاربت العشرين عاماً، (انظر : ابن العبري، تاريخ مختصر، ص 192-196 ؛ شاكر، التاريخ الإسلامي، ص 227) .

[4] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 225 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 526 ؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص 55 ؛ المقريزي، المقفى، ج 2، ص 220 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص 120 .

[5] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 218 .

[6] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136؛ المقفى الكبير، ج 2، ص395 .

الدكز، فضاق الخناق وعظم روعه وساءت حالة الخليفة المستنصر بـــالله[1]، فـشكا المستنصر بالله حاله إلى بعض من يثق بهم فأشاروا عليه بمكاتبة بدر الجمـــالي وأن يفوض إليه أمر مصر ويكفيه بمن يعارضه فيها[2]، فكتب المستنصر بالله إلـــى بـــدر الجمالي وهو في عكا ليتولى شؤون البلاد[3]، فقد أدرك المستنصر بالله أن بـــدر هـــو الوحيد القادر على إنقاذ البلاد كونه أقوى ولاته لامتلاكه جيشاً كبيـــراً مكـــون مـــن الأرمن[4] الذين تعود أصولهم إلى بلاد أرمينيه[5] التي هاجروا منها إلى مصر وبـــلاد الشام بعد خضوعها لسيطرة الإمبراطورية البيزنطية[6] .

وكانت أحوال مصر قد فسدت وتغيرت أمورها وخربت، وكانت أخبار ذلـــك تصل إلى بدر الجمالي وهو في عكا، فيتحسر لما يبلغه ويتندم بسبب بعـــده عنهـــا، وينتظر الفرصة للعودة إليها[7].

وبشكل سري[8] أرسل المستنصر بالله رسالة إلى بدر الجمالي بخط يد الوزير أبي الفرج محمد بن المغربي وهو آنذاك يتولى ديوان الأنشاء يستدعيه فيها ويحثـــه على القدوم إلى مصر ونجدته ومن جملة ما كتب :

فأن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فـــأدركنـــي ولمّا أمزّق

وعندما وصلت الرسالة إلى بدر[1] ازدادت رغبته في ملك مصر فلم يتمالـــك نفسه وصاح[2] قائلاً : لبيك وأخذ يكررها ثلاث مرات[3]، وكتب إلى المستنصر بـــالله

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 321 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136.

[2] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 234 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابـــن الـــوردي، ج 1، ص 525؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 101 ؛ ابن حجر، رفع الاصـــر، ص 91 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 23 .

[4] – ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـــ/ 1406م)، تاريخ ابن خلدون، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فـــي أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتـــب العالميـــة، ط1، بيـــروت، لبنـــان 1413هـــ/1992م، ج4، ص21، وسيشار إليه فيما بعد ابن خلدون، العبر ؛ عزام، الدولة الفاطمية، ص 115 .

[5] – بلاد أرمينيه : هي المنطقة الجبلية الواقعة في غرب أسيا ويحدها من الغرب أسيا الصغرى ومـــن الـــشرق هـــضبة أذربيجان والشاطئ الجنوبي لبحر الخز ومن الشمال والشمال الغربي الأراضي الواقعة على شواطئ بحر بنطش وبلاد القوقاز ومن الجنوب السهل الشمالي الغربي لبلاد ما بين النهرين، (انظر : عمايره، الجيش الفاطمي، ص 106) .

[6] – عمايره، الجيش الفاطمي، ص 106 .

[7] – ابن الصيرفي، الإشارة، ص 95 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 147 .

[8] – الذهبي، العبر، ج 2، ص 321.

يشترط عليه ألا يقدم إلا وجيشه معه، وأنه لن يبقي على أحد من جيش مصر ووزرائهم، فأجابه المستنصر بالله إلى ذلك[4]، ولعل المقصود بجيش مصر أمراء الجند حيث أن المصادر لم تذكر أن بدر الجمالي قام بحل الجيش الفاطمي[5].

وقرر بدر الجمالي التحرك فوراً والعودة إلى مصر في فصل الشتاء في وقت لا يساعد على ركوب البحر، إلا أن إصراره على الوصول إلى مصر لأقرب وقت ممكن[6] ليتمكن من مباغتة الأمراء الأتراك والمفسدين، خاصة وأن المستنصر بالله أراد من عودة بدر إلى مصر أن تكون عملاً سرياً[7].

وترك بدر الجمالي مدينة عكا وركب البحر[8] يرافقه عبد الله بن الخليفة المستنصر بالله، وجيشه المكون من جماعات من الأرمن في مائة مركب[9] وبعض من كان يثق بهم من الرجال وعدد من أهل عكا أخذهم معه كرهائن[10].

وبعد أربعين يوماً من إقلاعه وصل بدر إلى دمياط فأقام بها حيث استضافه رجل يدعى سليمان اللواتي[1] وهو كبير أهل البحيرة وأكثرهم مالاً وأوسعهم حالاً،

---

[1] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 395 ؛ سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 144 .

[2] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[3] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 395 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 234 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 101 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 395 ؛ عمايره، الجيش الفاطمي، ص 107 .

[5] – عزام، الدولة الفاطمية، ص 115 .

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 235 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 101 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 395 .

[7] – الذهبي، العبر، ج 2، ص 321 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 92 .

[8] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص 398 .

[9] – ابن الصيرفي، الإشارة، ص 95 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 171 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 235 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 321 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 101 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 395 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 23 .

[10] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 171 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 395 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 91 .

وحمل بدر ما يحتاجه من الغلال، كما اقترض بدر المال من تجار تنيس ومياسيرها[2]، ليتمكن من مواصلة رحلته وأكمال مهمته.

واتجه بدر الجمالي بعد ذلك إلى منطقة قيلوب واستقر بها[3]، وبعث إلى المستنصر بالله في السر يشترط عليه أن يقبض على الأمير بلدكوز ليتمكن من دخول القاهرة[4]، فاستجاب المستنصر بالله إلى طلبه وأمر بالقبض على الأمير بلدكوز واعتقله في خزانة البنود[5].

وأرسل المستنصر بالله العسكر لاستقبال بدر الجمالي فاستقبلوه ودخل إلى القاهرة عشية يوم الأربعاء الموافق الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى وقيل في شهر ربيع الآخر سنة 466هـ/1073م[6].

وعندما دخل بدر الجمالي على الخليفة المستنصر بالله، قام بتقريبه إليه ودعا له وشكر سعيه وبالغ في إكرامه[7]، وقرر أن يكون الرسول بينهما الوزير أبي الفرج محمد بن أبي المغربي كاتب الإنشاء آنذاك، فسار إليه الوزير أبي الفرج

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 2، ص 136 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 101 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 395 .

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 101 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 395 .

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 235؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 101 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 395 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 92 .

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 235؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 101 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 395 .

[5] – ابن الصيرفي، الإشارة، ص 95 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 101 .

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 234 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 395 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 92 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 23 .

[7] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 395 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 92 .

محمد بن أبي المغربي وأخبره بما آلت إليه أحوال الدولة، وأصبح المغربي من المقربين إلى بدر الجمالي إلى أن توفي سنة 478 هـ/1085م[1].

لم يكن أحد من الأمراء في الديار المصرية على علم بأسباب أستدعاء بدر الجمالي، وأنما ظنوه زائراً حيث أظهر لهم بدر أن ما جاء به إلى مصر هو شوقه إليهم، وخدعهم بما أبداه من كثر المحبة والتملق لهم، وأعرض خلال هذه الفترة عن المستنصر بالله، ولم يذكره إلا بسوء، فبالغ الأمراء في إكرامه وضيافته[2]، فلما عرف بدر إنه قد استوفى ضيافة جميع الأمراء دعاهم جميعاً إلى وليمة صنعها لهم لم يتخلف عنها أحد منهم، وفي تلك الليلة أصبح الجند الذين مع بدر يدخلون إلى القاهرة في الخفية بشكل جماعات متفرقة حتى بلغ عددهم فيها حوالي تسعمائة رجل[3]، وكان بدر قد قرر مع أمراء جيشه بأن يتكفل كل واحد منهم بأمير من الأمراء المدعوين ويظهر له إنه قائمٌ على رأسه لخدمته، وجعل العلامة بينهم بعد أن ينتهي الأمراء من طعامهم، حيث ترفع المائدة ويخرج بدر الجمالي لقضاء الحاجة، كما يبدأ الأمراء بالتوجه إلى قضاء الحاجة في الخلاء حيث يرافق كل أمير من الأمراء الرجل المكلف بخدمته فإذا دخل إلى الخلاء عمل على قتله وكذلك يتم مع بقية الأمراء المدعوين[4]، وأمرهم أن يأتوه برؤوس هؤلاء الأمراء فأصبح بدر وقد حضره من رؤوس الأمراء الشيء الكثير[5].

وبهذا تمكن بدر الجمالي من قتل جميع الأمراء في تلك الليلة دون أن يشعر الثاني بما جرى مع الأول[6]، فلما تم الأمر قرر بدر إعطاء جميع ما في أمرة كل

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 47 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 142 ؛ المقفى الكبير، ج 5، ص 395، 502 .

[2] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 396، 397 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 92 .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136 .

[4] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136 ؛ المقفى الكبير، ج 2، 397 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 92 .

[5] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 235؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 321 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136 .

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، 397 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 92 .

أمير من الأمراء الذين قتلوا إلى الرجل المعين لقتله بما في ذلك داره وجواريه وماله[1].

وفي الصباح التالي ذهب بدر الجمالي إلى المستنصر بالله وأخبره بما جرى في الليلة السابقة فقرره الخليفة المستنصر بالله على الوزارة[2] وفوض إليه الأمور كلها وعاهده على ذلك وجعل إليه أمرة قاضي القضاة وداعي الدعاة[3] ولقبه (السيد الأجل أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين هادي دعاة المؤمنين) وصار هو الذي يولي القاضي والداعي فيكون كل منهم نائباً عنه، وفيما تضمن تقليده (وقد قلدك أمير المؤمنين جوامع تدبيره وناط بك النظر في كل ما وراء سريره فباشر ما قلدك أمير المؤمنين من ذلك مدبراً للبلاد، مصلحاً للفساد ومدمراً لأهل العناد)[4].

وخلع عليه كذلك المستنصر بالله بالعقد المنظوم بالجوهر بدل الطوق الذي كان للأمراء، وزيد له الحنك الذي يعرف اليوم باللثام مع الذؤابة المرخاة[5] وهي التي يقال لها العذبة[6] وجعل له الطيلسان المقور ويعرف بالطرحة وهي التي يلبسها قاضي القضاة[7]، ونظراً لفقر الدولة الفاطمية آنذاك جعل عوض العقد المنظوم بالجوهر الذي كان من خلع الوزارة ويعادل خمسة الآف مثقال من الذهب قلادة من العنبر المغشوش تسمى بالعنبرية[8].

---

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136 ؛ المقفى الكبير، ج 2، 397 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 92 .

[2] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 77؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، 397 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 92 .

[3] – داعي الدعاة : هو كبير المعلمين بدار العلم والمشرف على أساتذتها النين يعملون على بث الدعوة الفاطمية وتلقينها للطلبة، (انظر : القلقشندي، صبح الأعشى، ج 3، ص 413).

[4] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، 397 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 92 .

[5] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 234 ؛ المقفى الكبير، ج 2، 397 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 92 .

[6] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، 397 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 92 .

[7] – ابن الصيرفي، الإشارة، ج3، ص 56 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 234 ؛ المقفى الكبير، ج 2، 397 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 92 .

[8] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 234 .

و كان من زي الوزراء قبيل قدوم بدر الجمالي أنهم يلبسون المناديل الطبقيات بالأحناك تحت حلوقهم مثل العدول وينفردون بلبس ثياب قصيرة يقال لها الدراريع مفردها درّاعة، وهي مشقوقة أمام وجهه إلى قريب من رأس الفؤاد بأزرار وعرىً، ومنهم من تكون أزراره من الذهب المشبك ومنهم من أزراره من اللؤلؤ، ويحمل له الدواة المحلاة بالذهب[1]، ويقف بين يديه حاجب[2] وأمره نافذ في أرباب السيوف من الأجناد وأرباب الأقلام، وكان أخرهم الوزير ابن المغربي[3].

وبهذا التقليد أصبح المستخدمون في حكمه والدعاة نواباً عنه كذلك القضاة[4]وتقاليدهم تكتب من مجلسه[5]، فقد ألقى المستنصر بالله بجميع مقاليد الحكم وأمور الخلافة إلى بدر الذي ضبطها أحسن ضبط وشرع في مطاردة المفسدين[6]، فقويت شوكته وعظم أمره وتتبع المفسدين فلم يبقِ في الديار المصرية أحد منهم حتى قتله وأخذ ماله[7].

وبذلك أصبح بدر الجمالي أول من ولي الوزارة من أرباب السيوف وأقام دولة الأرمن بمصر[8]، وقد كانت منزلة بدر الجمالي قبل توليته الوزارة أرفع من منزلة الوزارة ولكنه قبل في منصب الوزارة كي لا يولى غيره الوزارة فينازعه في الأمر[9].

---

[1] – ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت 617هـ / 1220م)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، إعاد بناءه وحققه وقدم له أيمن فؤاد سيد، دار النشر فرانتس شتايز، شتوتغارد 1992، ص 121، وسيشار إليه فيما بعد ابن الطوير، نزهة المقلتين ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2،ص 232.

[2] – الحاجب : هو من المناصب الهامة التي عرفتها الدول الإسلامية على مر التاريخ الإسلامي ومهمته تنظيم عملية الدخول إلى الخليفة أو أرباب الوظائف وكان الحاجب في الأندلس بمثابة رئيس الوزراء، (انظر : عزام، الدولة الفاطمية، ص 34) .

[3] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 232 .

[4] – ابن الصيرفي،الإشارة، ج3، ص 56 ؛ابن ميسر، المنتقى، ص 40 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، 235.

[5] – ابن الصيرفي، الإشارة، ج3، ص 56 .

[6] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 147 .

[7] – ابن ميسر،المنتقى، ص 39 ؛الذهبي،العبر،ج 2،ص 321 ؛ابن الوردي،تاريخ ابن الوردي،ج 1،ص 525.

[8] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 2، ص 312 ؛المقفى الكبير، ج 2، 402 ؛عمايره،الجيش الفاطمي، ص 107 .

[9] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 102 .

بعد أن تم تقليده نزل بدر إلى داره فحضر إليه المتصدرون بالجامع للسلام عليه، وقرأ قارئ القران ابن العجمي[1] : ((ولقد نصركم الله ببدر))[2] وسكت عن إتمام الآية فقال لـه بدر الجمالي : والله لقد جاءت في مكانها وجاء سكوتك عن إتمام الآية أحسن، وأنعم عليه[3]، ثم قال لـه أمير الجيوش بدر الجمالي: لماذا لم تقرأ ((أن هو إلا عبد أنعمنا عليه[4]))[5].

3.4 القضاء على الفوضى:

كانت الأحوال قد فسدت والأمور قد تغيرت والطوائف قد استبدت والوزراء يقتنعون بالأسم دون الأمر والنهي والرخاء قد يئس منه والإصلاح لا طائل منه والقبائل ملكت أغلب البلاد[6]، كما عانى الأقتصاد الفاطمي قبيل قدوم بدر الجمالي من تبعيات الفوضى الداخلية التي أثرت عليه، وقد أسفرت هذه الظروف عن الكثير من الجوانب الاقتصادية ويمكن إجمال تبعيات الفوضى بما يلي :

أ. نزوح التجار المصريين والأجانب عن الديار المصرية .

ب. توقف الفلاحين عن الزراعة .

ج. ارتفاع الأسعار .

د.المجاعة وانتشار الأوبئة .

وقد شرع بدر الجمالي منذ قدومه إلى مصر بمعالجة الأحوال الاقتصادية السيئة التي عمت البلاد عن طريق معالجة أسبابها فقد عمل على القيام بالإجراءات التالية :

---

[1] - ابن ميسر، المنتقى، ص 40.النويري، نهاية الأرب، ج 28، 235 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 137؛ المقفى الكبير، ج 2، 397 .

[2] - سورة ال عمران، جزء من الآية رقم 123 .

[3] - ابن ميسر، المنتقى، ص 40 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 235 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 137 ؛ المقفى الكبير، ج 2، 397 .

[4] - سورة الزخرف، جزء من الآية رقم 59 .

[5] - النويري، نهاية الأرب، ج 28، 235 .

[6] - المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 397 .

1.3.4 تجميد صلاحيات المستنصر بالله :

فقد استبد بدر الجمالي بالأمور، ولم يبقِ للمستنصر بالله أمر أو نهي إلا الركوب في العيدين[1]، حيث حجر على المستنصر بالله[2] فكان بذلك أول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء في مصر[3]، وكان المستنصر بالله على استعداد للتنازل عن صلاحياته في سبيل إنقاذ الدولة من الأنهيار ويتضح ذلك من الرسالة التي أرسلها إلى بدر الجمالي وهو في عكا يطلب منه القدوم لنجدته[4].

2.3.4 إلغاء صلاحيات أمّ المستنصر بالله :

والتي تمثلت بإلغاء ديوان أمّ المستنصر بالله، حيث لم نعد نسمع عن هذه الوظيفة التي ألغيت نهائياً وهذا دليل واضح على زوال سلطات أمّ المستنصر بالله التي لم يظهر لها أي دور في عهد بدر الجمالي[5]، وكان هذا الديوان قد أسس بعد وفاة الوزير أبي القاسم الجرجرائي في سنة 436هـ / 1044م وأول من عين فيه أبو سعيد التستري، ومنذ تأسيس هذا الديوان لم يبقِ للوزير معه أي صلاحيات تذكر[6].

3.3.4 القضاء على الأطراف المتنازعة داخل الدولة:

بعد أن دخل بدر الجمالي إلى الديار المصرية شرع في القضاء على الفوضى التي عمت مصر، فقتل من أماثل المصريين وقضاتهم ووزرائهم وأعيانهم عدداً كبيراً[7]، وأخذ كذلك في القبض على الأتراك حتى لم يدع منهم أحداً[8]، ومن جملة من

---

[1] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 5 .

[2] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 397 .

[3] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 103 .

[4] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 395 .

[5] – عزام، الدولة الفاطمية، ص 30 .

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 4 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 3، ص 373 ؛ عزام، الدولة الفاطمية، ص 30 .

[7] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 137 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 102 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 398 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 236 .

[8] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 137 .

قتل منهم الوزير أبو محمد الحسن بن ثقة الدولة علي بن أحمد بن أبي كدينة[1]، الذي أوكل إليه القضاء والوزارة سبع مرات، كان خلالها قاسي القلب جباراً وهو من سلالة عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب رضي بالله عنه، وعندما قبض عليه أرسل إلى دمياط فدخل عليه السياف ليضرب عنقه وكان معه سيفٌ رفيعٌ اضطره إلى ضربه فيه سبع مرات[2]ليتمكن من قطع رقبته، فكان عدد الضربات بعدد ولايته القضاء والوزارة[3].

و من جملة من قتلهم أيضاً من الوزراء الوزير أبا المكارم المشرف بن أسعد بن عقيل، والوزير أبو شجاع محمد بن الأشراف أبي غالب محمد بن علي، والوزير عبد الغني بن نصر بن سعيد الضيف[4].

كما وجد بدر الجمالي قبيلة لواته مسيطرة على الوجه البحري كله، والعبيد في الصعيد، والطرقات قد انقطعت براً وبحراً إلا بالحراسة المشددة، والخراب قد شمل الديار المصرية والجيش ثائر ومتمرد، فتجرد بدر لإزالة هذا الفساد حتى تمكن من إنشاء دولة جديدة، وأسترد كل ما كان قد تغلب عليه أمراء البلاد وقضاتها مثل عسقلان وصور وطرابلس وسائر أهل الفساد[5].

وفي سنة 467هـ/1074م سار بدر إلى الوجه البحري ، فأوقع بلواته وقتل مقدمهم سليمان اللواتي[6] وورد اسمه في بعض المصادر بسليم اللواتي[7]وهو كبير أهل البحيرة وأكثرهم مالاً ونفوذاً وكان قد ساعد بدر عندما قدم من عكا[8]، كما قتل معه

---

[1] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 242 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 524 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 137 .

[2] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 137 .

[3] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 242 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 137 ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 149، 150 .

[4] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 137 ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 203 ؛ تامر، المستنصر بالله، ص 16 .

[5] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 397 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج3، ص 201 .

[6] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 225 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 136، 138 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 101، 102 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 395، 398 ؛ المناوي،الوزارة والوزراء، ص 177 .

[7] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39، 41 ؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 177 .

[8] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 101، 102 .

ابنه وأسرف في قتل من كان معه[1]، حتى قيل إنه قتل منهم عشرين ألف رجل[2]، كما أسر أمراء قبيلة لواته، وأخذ منهم جميع ما يملكون من الأموال[3].

ثم اتجه بعد ذلك إلى دمياط وقتل بها من المفسدين عدداً كبيراً وخرب وحرق حصونهم ثم غادرها بعد أن أصلح أحوالها[4]، وبعد ذلك اتجه بدر الجمالي في سنة 469هـ/1076م إلى قبائل قيس العربية سليم[5] وفزارة[6] التي تجمعت وخرجت عن طاعة الدولة الفاطمية، فخرج إليهم بدر وهزمهم وأبعدهم إلى برقة[7].

كما قتل بدر الجمالي الكثير من المفسدين في الجيش الفاطمي[8]، فخلت بذلك مصر من كل طوائف الجند التي عانت البلاد المصرية من ثوراتهم الشيء الكثير ولم يبقَ في الميدان إلا الجيش الأرمني الذي قدم مع بدر من عكا[9]، وقد عرف هؤلاء الأرمن بالجيوشية نسبة إلى أمير الجيوش بدر الجمالي، وأسكنهم في حارة الحسينية التي كانت سابقاً للعبيد حيث بلغ عدد سكان هذه الحارة من الأرمن حوالي

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 41 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 138 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 398 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 26 .

[2] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 138 .

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 41 ؛ ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 225 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 138 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 398 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 26 .

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 41 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 525؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 138 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 398 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج3، ص 201 .

[5] – سليم : وهم من قيس، من ولد سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن علان، (انظر : ابن ميسر، المنتقى، ص 44 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 140؛ المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر البعلي العبيدي (ت 845هـ / 1441م)، البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبد المجيد عابدين، (د.ط)، الإسكندرية – مصر(1989م)، ص 65 –68، وسيشار إليه فيما بعد المقريزي، البيان والأعراب؛ عزام، الدولة الفاطمية، ص 116) .

[6] – فزارة : وهم بنو فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن علان، (انظر : ابن ميسر، المنتقى، ص 44 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 140 ؛ المقريزي، البيان والأعراب، ص 49؛ عزام، الدولة الفاطمية، ص 116) .

[7] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 225 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 44 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 238 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 140؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 399 .

[8] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 138 .

[9] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 398 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 12 ؛ عمايره، الجيش الفاطمي، ص 107 ؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 177 .

السبعة الآف ومنذ ذلك الوقت أصبح معظم الجيش الفاطمي من الأرمن وتلاشى أمر المغاربة والأتراك وأصبحوا من جملة الرعية[1].

و لم يدع بدر الجمالي بالبر الشرقي وجميع أسفل الأرض (الوجه البحري) مفسداً إلا وقتله أو قمعه[2]، ثم اتجه إلى البر الغربي فقتل كثيراً من المتمردين وأتباعهم، وحاصر الإسكندرية أياماً حتى أخذها قهراً وقتل الكثير من المفسدين فيها وعفا عن أهل البلد ولم يتعرض لهم بسوء وأصلح المدينة، وولى فيها القاضي ابن المحيرق[3].

وفي سنة 467هـ/1074م اتجه جيش العبيد من الصعيد إلى بدر الجمالي الذي كان متواجداً في القاهرة، فخرج إليهم بدر وهزمهم هزيمة قاسية، فاستقامت الدولة الفاطمية وعظمت هيبتها، وملك بدر البلاد وأصلح الفساد[4]، وأستدعى أكابر الصعيد إليه لإجبارهم على إعلان الولاء والطاعة للدولة الفاطمية[5].

وبعد أن انتهى بدر الجمالي من الإسكندرية سار إلى الصعيد[6] في سنة 469هـ/1076م، حيث اجتمع عدد كبير من عرب جهينة[7] والجعافرة[8] والثعالبة[9]

---

[1] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2 ص 21 ؛ عمايره، الجيش الفاطمي، ص 108 ؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 177 .

[2] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 138 .

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 41 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 525 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 138 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 398 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 26.

[4] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 225 .أبن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 525.ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 26 .

[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 26 .

[6] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 102 .

[7] – جهينة : من قبائل اليمن وتنسب إلى جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وكانت تسكن بلاد أسيوط ومنفلوط وهم أكثر عرب الصعيد، (انظر : المقريزي، البيان والأعراب، ص 32 ؛ عزام، الدولة الفاطمية، ص 116) .

[8] – الجعافرة : هم من بطن قريش من بنو جعفر الطيار بن أبي طالب، (انظر : المقريزي، البيان والأعراب، ص 33 ؛ عزام، الدولة الفاطمية، ص 116)

[9] – الثعالبة : وهم من بطن طيء وينتسبون إلى ثعلبة بن سلامات بن ثعل بن عمرو بن الغوث ....بن سباء بن يحشب بن يعرب بن قحطان، كانوا يسكنون مصر والشام، (انظر : ابن ميسر، المنتقى، ص 43 ؛ النويري،

وغيرهم في مدينة طوخ العليا وهي قرية من قرى صعيد مصر الأعلى تقع على غربي نهر النيل وأتفقوا على قتاله، فخرج إليهم بدر وهجم عليهم في منتصف الليل وبشكل مفاجئ، فقد أمر بدر الجمالي بضرب الطبول وأشتعلت المشاعل وزاد وقود النيران وجد في السير إليهم مع ارتفاع صرخات وصيحات الجند متتابعة في دفعة واحدة ووضع فيهم السيف، فهزمهم وأبادهم بالقتل وغرق عدد كبير منهم وغنم أموالهم وحملت هذه الغنائم إلى المستنصر بالله[1]، ثم عاد بدر إلى القاهرة وقد صلحت أرض مصر كلها أعلاها وأسفلها وزال المفسدون منها[2].

بعد أن انتهى بدر من ثورة القبائل العربية، وفي سنة 469هـ/1076م[3] ثار كنز الدولة محمد بن كنز الدولة أبي المكارم[4] في أسوان وسيطر عليها وعلى نواحيها وكثر أتباعه بها، فسار إليه بدر الجمالي بجيشه، فالتقى به وجرت بينهم حرب طويلة أسفرت عن قتل كنز الدولة محمد وهزيمة أصحابه بعد أن قتل منهم عدد كبير[5].

وقيل بأن كنز الدولة محمد لم يقتل في هذه المعارك وإنما هرب إلى بلاد النوبة، حيث أرسل بدر الجمالي برسالة مع أسقف مصري إلى ملك النوبة يرجوه فيها بتسليم كنز الدولة محمد إليه للمحافظة على العلاقات الودية السائدة بين الطرفين فقام ملك النوبة الذي خشي من مطاردة السلطات الحاكمة في مصر له بتسليم كنز

نهاية الأرب، ج 28، 236 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 139 ؛ البيان والأعراب، ص 3 ؛ الخطط المقريزية، ج2، ص 102 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 398 ؛ عزام، الدولة الفاطمية، ص 116) .

1 – ابن ميسر، المنتقى، ص 43 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، 236 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 139 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 398 .

2 – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 398 .

3 – ابن ميسر، المنتقى، ص 43 ؛ خليفات، عوض محمد، مملكة ربيعة العربية في وأدي النيل (القرن 3-9هـ)، نشر الجامعة الأردنية، ط1، عمان (1983م)، ص84، وسيشار إليه فيما بعد خليفات، مملكة ربيعة .

4 – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 398، خليفات، مملكة ربيعة، ص 84 .

5 – ابن ميسر، المنتقى، ص 43 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 237 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 139 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 398 .

الدولة محمد إلى بدر الجمالي في سنة 474هـ/1081م فقتله بدر الجمالي في العام التالي في سنة 475هـ/1082، وصلبه على أحد أبواب القاهرة[1].

وفي العام نفسه الذي قتل فيه كنز الدولة محمد عين بدر الجمالي شخصاً يدعى سعد الدولة سارتكين القواسي والياً على أسوان، وكانت سلطته محدودة ولم يتخذ لقب كنز الدولة الذي عرف به أمراء بني ربيعة[2]، وكان ما جرى بين زعماء ربيعة الكنوز والفاطميين في عهد الخليفة المستنصر بالله وبدر الجمالي آخر عمل عدائي بين الطرفين[3].

كما إنه وفي سنة 478هـ/1085م ثار الأوحد ابن بدر الجمالي على والده وتحصن بالإسكندرية[4] ومعه جمع كبير من القبائل العربية والعسكر، وكان ينوي قتل والده والسيطرة على الحكم بعده[5]، حيث اتفق الأوحد سراً مع أربعة من الأمراء على ذلك، فوشى بهم خازن أحدُ الأمراء إلى بدر الجمالي[6]، فسار إليه بدر الجمالي وحاصر الإسكندرية التي كان يتحصن بها لمدة شهر إلى أن أخذها بالأمان وقبض على ولده وقتل الكثير من الناس[7]، وقتل ابنه الأوحد بطريقةٍ وحشيةٍ حيث يقال إنه

---

[1] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 237 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 398 ؛ خليفات، مملكة ربيعة، ص 84 .

[2] – خليفات، مملكة ربيعة، ص 84 .

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 43 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 237 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 139 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 398 ؛ خليفات، مملكة ربيعة، ص 84 .

[4] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 225 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 46 ؛ ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 77 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 399 ؛ اتعاظ الحنفا، ج1، ص 142 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 93 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 117 .

[5] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 587 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 142 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 119 .

[6] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 587 .

[7] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 77 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 142 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 399.ابن حجر، رفع الاصر، ص 93 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 117 .

دفنه حياً، ويقال أغرقه، ويقال بل جوّعه حتى مات، وقطع بــدر الجمـــالي رؤوس الأمراء الأربعة الذين ثاروا مع ابنه وصلبهم، وغرَّم أهل الإسكندرية مالاً كثيراً[1].

وكان بدر الجمالي قد نفى العلماء من الديار المصرية بعد أن قتل خلقاً كثيراً منهم، وقال : (العلماء أعداء هذه الدولة هم الذين ينبهون العوام على ما يقولونـــه)، ونفى كذلك علماء أهل السنة، وأجبر الناس أن يكبروا خمـــساً علــى الجنـــائز وأن يسدلوا أيمانهم في الصلاة وأن يتختموا في الأيمان وأن يثوبوا في صـــــلاة الفجــر ((حي على خير العمل))، وحبس الكثير من الناس الذين ردوا فضائل الصحابة[2].

4.4 الإصلاحات التي قام بها بدر الجمالي :

1.4.4 الإصلاحات الزراعية :

ان نجاح الزراعة وما يتبعه من وفرة المحصول وزيادة الرخـــاء وانتعـــاش الأسواق يتوقف على عاملين متلازمين، العامل الأول: طبيعي ويتمثـــل فـــي مـــدى فيضان النيل بالقدر الكافي للزراعة دون زيادة عن هذا الفيضان أو نقصانه[3]، حيـــث يتميز إقليم مصر بعدم وجود الأمطار الكافية للزراعة كما لا يوجد به عيون الميـــاه الجارية[4]، وكان نجاح الزراعة في مصر يعتمد أيضاً على مستوى فيضان النيل فإذا كان الفيضان منخفضاً استحال ري جميع الأراضي الزراعية كذلك إذا كان الفيضان عالياً أدى إلى أغراق الأراضي الزراعية وإتلافها[5]، حيث إن زيادة النيل الطبيعيـــة

---

[1] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 587 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 142 ؛ المقفى الكبيــر، ج 2، ص 399 ؛ الخطط المقريزية، ج2، ص 102 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 93 ؛ ابـــن تغـــري بـــردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 119 .

[2] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 587 .

[3] – البغدادي، عبد اللطيف ت 629هـ/1237م، (1407هـــ / 1987م) الإفادة والاعتبار في الأمور المـــشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق علي محسن عيسى م الله، دار الحكمة، (د.ط)، بغـــداد (د.ت)، ص 7، وسيشار إليه فيما بعد البغدادي، الإفادة والاعتبار ؛ إدريس، محمد محمود، تاريخ الحضارة الإسلامية في مصر العصر الفاطمي، نشر مكتبة نهضة الشرق، (د.ط)، القاهرة، (1986)، ص65، وسيشار إليه فيما بعد إدريس، تاريخ الحضارة ؛ سلطان، الأسواق، ص 120 .

[4] – سلطان، الأسواق، ص 64.

[5] – البغدادي، الإفادة والأعتبار، ص 7 ؛ إدريس، تاريخ الحضارة، ص 65 .

تكون ثمانية عشر ذراعاً وإذا قلت عن ذلك لا يأخذ السلطان الخراج، حيث يذكر بأن حد الوفاء للنيل في العصر الفاطمي الأول كان ستة عشر ذراعاً[1]، أما العامل الثاني: فهو العامل المادي ويتمثل في البنية التحتية للزراعة ويرتبط بمدى عمق الترع والقنوات ومدى الاهتمام بصيانة الجسور[2] والقناطر[3] المقامة على مجرى نهر النيل وفروعه، وهذا العامل من العوامل الرئيسة للزراعة إذ إن فيضان النيل عند المستوى الطبيعي لا يكفي للزراعة ما لم يكن هنالك منشآت مائية صالحه ومصانة بشكل جيد [4].

ولا يمكننا أغفال العامل البشري وهو المزارع نفسه الذي يحتاج إلى ظروف مناسبة يتمكن من خلالها مزاولة أعمال الزراعة وتتمثل هذه الظروف بمدى توفر الأرض المناسبة للزراعة لـه وتوفر الأمن والأستقرار الذي توفره الدولة ليستمكن من تسويق منتجاته الزراعية.

و كانت الدولة الفاطمية قد اهتمت بحفر الترع والقنوات والخلجان وإقامة السدود الترابية في الولايات لتخزين المياه الزائدة للحيلولة دون غرق الأراضي الزراعية والمدن والقرى وكان ينفق عليها سنوياً عشرة الآف دينار لترميمها[5]، كذلك اهتمت الدولة بصيانة الجسور التي تقسم إلى نوعين الأول هو: الجسور السلطانية التي تعود بالنفع على جميع السكان حيث كانت الدولة تتولى عمارتها والاشراف

---

[1]- ناصر خسرو، أبو معين الدين القبادياني المروزي (ت 481هـ /1088م)، سفرنامه، (د.ط)، ترجمة أحمد خالد البدلي، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض (1983م)، ص42، وسيشار إليه فيما بعد ناصر خسرو، سفرنامه ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 2، ص 191 ؛ الخطط المقريزية، ج 1، ص 97 ؛ إدريس، تاريخ الحضارة، ص 68 .

[2] – الجسر : هو القنطرة ونحوها مما يعبر عليه، وقد غلب أستعمال لفظ الجسر في مصر على السدود الترابية التي أنشأت لحفظ الأراضي من مياه الفيضان، (انظر : المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 165 ؛ سلطان، الأسواق، ص 120) .

[3] – القناطر : هو بناء من الحجر أو الطوب لـه عين أو أكثر، وتتكون القناطر من أساس بعرض الممر المائي الذي تبنى عليه وقد بنيت القناطر في جميع عصور التاريخ المصري، (انظر : المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 146 ؛ سلطان، الأسواق، ص 120) .

[4] – سلطان، الأسواق، ص 120.

[5] – ناصر خسرو، سفر نامه، ص 88 ؛ عزام، الدولة الفاطمية، ص 82 .

عليها وصيانتها، أما النوع الثاني فهو : الجسور البلدية الخاصة النفع لجهة دون أخرى وكان يتولى عمارتها وصيانتها الفلاحون والأمراء والأعيان وغيرهم أما نفقات هذا النوع من الجسور فكانت تخصم من الخراج الذي يتعين عليهم دفعه لخزينة الدولة[1].

ومن العوامل التي ساعدت أيضاً على تطور الزراعة أن الفاطميين كانوا يقدرون أهمية الملكية الخاصة سواء للمسلمين أو لأهل الذمة، وهذا الأمر يؤدي بطبيعة الحال إلى زيادة الإنتاج الزراعي واستصلاح الأراضي الزراعية[2].

ولم تكن المجاعة في البلاد المصرية بسبب قصور النيل وإنما بسبب الفوضى التي عصفت بالبلاد والتي أدت إلى أن هجر الفلاحون مزارعهم، وعدم زراعة الأراضي التي وصلت إليها مياه الري نتيجة اضطراب الأمن وكثرة الفتن وانتشار عمليات السلب والنهب والاعتداء على الأرواح والممتلكات وانقطاع الطرق براً وبحراً الأمر الذي أسهم في القضاء على البنية التحتية للزراعة مثل الجسور والآبار والقناطر[3]، وبسبب الفوضى التي عانت منها البلاد المصرية وانقطاع الطرق في البر والبحر فلم تجد من يزرع الأرض[4].

و قد كانت الدولة الفاطمية في الأحوال العادية التي يعمها الاستقرار تهتم بالزراعة وتوفير مصادر المياه وإصلاح الأراضي فيحرص المسؤولون على عدم وجود بئر معطل أو أرض بائرة أو بلد خراب كما صرفوا عنايتهم لصيانة الترع القائمة وشق الجديد منها لري الأراضي الزراعية وقد خصصت الدولة الفاطمية لهذا الغرض ضريبة تعرف بمقرر الجسور فكان على كل ناحية أن تقرر قطع معلومة يجبى منها على كل قطعة أرض عشرة دنانير لتصرف على الجسور، كما كان هنالك عمال مختصون لصيانة الترع والجسور يقدر عددهم بمائة وعشرين ألف رجل معهم أدوات جرف الأراضي والآلات الخاصة بالحفر وكانت مهمتهم حفر

---

[1] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج 3، ص 515 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 1، ص 101 ؛ عزام، الدولة الفاطمية، ص 82 .

[2] – إدريس، تاريخ الحضارة، ص 45 .

[3] – إدريس، تاريخ الحضارة، ص 90 ؛ سلطان، الأسواق، ص 134.

[4] – إدريس، تاريخ الحضارة، ص 166 .

الترع والخلجان وإقامة الجسور والقناطر وإزالة ما يعترض طريق المجاري المائية من أشجار والنباتات التي تضر بالأراضي الزراعية[1].

كما أن الجسور كانت تستغل في أغراض أخرى غير زراعية وهي ضمان ربط البلاد المختلفة بعضها ببعض فكانت تستخدم كطرق زراعية ساعدت على سهولة المواصلات وأصبحت وسيلة للانتقال [2].

وكان ديوان الإقطاع من جملة دواوين الدولة الفاطمية ويتبع لديوان الخرج، وكانت تعطى الإقطاعيات إلى الأمراء وكبار الموظفين والأعيان وأحياناً تعطى الإقطاعيات للجند كإقطاعيات أستغلال مقابل دفع نسبه معينه من المحصول أو مبلغ نقدي متفق عليه[3].

وقد شرع بدر الجمالي بإصلاح قطاع الزراعة حيث نادى بإباحة الأرض لمن زرع وبذر[4]، فألغى بذلك الإقطاع الذي كان منتشراً في الدولة، وأباح الأرض للمزارعين ثلاث سنوات ولم يأخذ منهم شيئاً من الخراج [5]، ففرض بدر الجمالي الخراج على المزارعين في السنة الرابعة واقتصر فيها على جباية النصف وسامح المزارعين بالنصف الآخر ثم أصبح بعد ذلك يستوفي الخراج بعد أن عمرت الأرض كلها[6].

فترفهت أحوال الفلاحين واستغنوا في أيامه[7]، وانعكس ذلك على تحسن الوضع الأقتصادي حيث ارتفع الخراج من ستة مائة ألف دينار في عام 462هـ/1069م إلى ثلاثة ملايين ومائة ألف دينار في عام 478هـ/1085م[8].

---

[1] – سلطان، الأسواق، ص 121.

[2] – إدريس، تاريخ الحضارة، ص 99 .

[3] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 1، ص 405 ؛ عزام، الدولة الفاطمية، ص50 .

[4] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 94 .

[5] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج، ص 148 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 103 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 401 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 94 .

[6] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 94 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج3، ص 199 .

[7] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج، ص 148 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 103 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 401 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج3، ص 199 .

[8] – عزام، الدولة الفاطمية، ص 221، نقلا عن المخزومي، أبو الحسن علي بن عثمان (ت 585هـ /1189م)، المنهاج في علم خراج مصر، مخطوط مصور لدى الأستاذ الدكتور فالح حسين /قسم التاريخ / الجامعة الأردنية .ورقه 46-47 .

2.4.4 الإصلاحات التجارية :

كان للتجارة دور مهم في اقتصاد الدولة الفاطمية حيث كانت مصر تشكل معبراً للتجار بين الشرق والغرب بحكم موقعها الجغرافي بالدرجة الأولى، وبسبب الاضطرابات التي كانت تعاني منها الدولة العباسية الأمر الذي أدى إلى ضعف التجارة عبر الخليج العربي واتجاهها إلى أسوان ومنها وعبر نهر النيل إلى الإسكندرية[1]، وقد اهتمت الدولة الفاطمية بحماية الطرق التجارية الداخلية وحراسة القوافل التجارية، فسخرت لهذا الأمر الحاميات العسكرية في أماكن محددة على طريق القوافل التجارية للمحافظة على أموال التجار من أن تتعرض للسلب والنهب[2].

وفي ظل الفوضى والاضطراب وحالة انعدام الأمن التي عمت البلاد بدأت الهجرة الجماعية من مصر، فهرب منها كل من يستطيع ذلك وخاصة أصحاب الثروات من التجار الذين هربوا بأنفسهم وأموالهم من الوباء والغلاء[3].

وقد حرص بدر الجمالي منذ توليه الوزارة في مصر على جذب أصحاب رؤوس الأموال من التجار وغيرهم الذين هربوا من مصر خلال فترة الشدة العظمى، وذلك ليقضي على حالة الكساد التي عانت منها الأسواق، وليبعث الحياة من جديد في الحركة التجارية في أنحاء البلاد، فتروي المصادر التاريخية إنه أرسل رجاله إلى بلاد الشام لإحضار أرباب الأموال والميسورين، وكانت حالة الأمن والاستقرار التي تمتعت بها البلاد المصرية في ظل سياسة بدر العنيفة ضد المفسدين والخارجين عن النظام[4] وأمان الطرق التجارية، كفيلة بجذب أصحاب الأموال

---

[1] – ناصر خسرو، سفر نامه، ص 131 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 1، ص 202 ؛ سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 129 – 131 ؛ عزام، الدولة الفاطمية، ص 91 .

[2] – إدريس، تاريخ الحضارة، ص 175 ؛ سلطان، الأسواق، ص 139؛ سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 129 – 131 .

[3] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 399 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 148 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 401 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 103 ؛ سلطان، الأسواق، ص 132 .

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 53 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 399 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 148؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 401 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 103 ؛ سلطان، الأسواق، ص 138.

والتجار إلى البلاد من تلقاء أنفسهم، فما كاد أن يصل إلى مسامع التجار وغيرهم ممن سبق لهم الهجرة بما صار عليه الحال في مصر من استقرار وأمان حتى بدأوا بالعودة إلى مصر وكثر تردد التجار إليها واستيراد السلع من سائر البلاد[1].

وكان كبار التجار قد أستغلوا فترة الفوضى التي كانت تعاني منها الدولة الفاطمية، فعملوا على أحتكار الغلال ورفع أسعارها، فأمر بدر الجمالي بمنع الاحتكار وإخراج الغلال وبيعها، وهاجم كل من بلغه إنه يقوم بتخزينها، فأذا وجد ذلك عند أحد من التجار أخذها منه وأبقى عنده ما يكفيه هو وعائلته مدة سنة كاملة وأمر ببيع الزائد عن حاجته، فكان لهذا الإجراء أثره الواضح في انخفاض الأسعار وعودتها إلى سابق عهدها[2]، ومارس بدر الجمالي دور المحتسب[3] وكان تقليد المحتسب بسجل خاص من عنده بعد أن كان يقلد من قبل الخليفة مباشرة، فكان يأمر نوابه في معظم ولايات الدولة وأعمالها بالقيام بأعمال التفتيش على الأسواق ومعاقبة المخالفين[4].

3.4.4 الإصلاحات الإدارية :

لقد كان للفوضى التي عانت منها الدولة الفاطمية أثر سلبي على مستوى منصب الوزارة ومنصب القضاء، حيث كثر في هذه الفترة عزل القضاة حتى أن بعضهم لم يولَ منصب القضاء إلا يوماً أو أياماً معدودة كما حدث مع ابن أبي كدينة[5]، وعندما تقلد بدر الجمالي الوزارة والقضاء[6] عمل على نشر الأمن وإشاعة

---

1 – ابن ميسر، المنتقى، ص 53 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 403، 399 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 148 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 401 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 103 ؛ سلطان، الأسواق، ص 138.

2 – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 399 .

3 – إدريس، تاريخ الحضارة، ص 195 ؛ سلطان، الأسواق، ص 80 .

4 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج 3، ص 558 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 1، ص 463 ؛ إدريس، تاريخ الحضارة، ص 195 ؛ سلطان، الأسواق، ص 80 .

5 – ابن حجر، رفع الاصر، ص 95 .

6 – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 238 .

العدل بين الناس، فأعاد إلى مؤسسة القضاء هيبتها التي أنتزعت منها[1]، حيث كان القضاء قبل قدومه إلى مصر مهاناً جداً[2]، حيث لم يكن بدر الجمالي يتهاون في معاقبة كل من يخرج عن طاعة الدولة، ففي سنة 468هـ/1075م قبض على قاضي الإسكندرية ابن المحيرق الذي كان بدر قد ولاه الإسكندرية وعلى جماعة من فقهائها وأعيانها وأخذ منهم أموالا عظيمة[3].

ومن الذين تولوا منصب القضاء في عهد وزارة بدر الجمالي أبو العلاء حمزه العرقي[4] ثم ولي القضاء أبو الفضل القضاعي ثم أبو القاسم علي بن أحمد بن عمار ثم أبو الفضل بن نباتة ثم أبو الفضل بن عتيق ثم أبو الحسن بن الكحال[5]، ومن قضاته أيضا جلال الملك ابن عبد الكريم الفارقي وفخر الأحكام أبو الفضل محمد بن الحاكم المليجي والحسن بن علي بن أحمد المكرمي[6].

كما قام بدر الجمالي في سنة 470هـ /1078م بتقسيم مصر إلى أربع ولايات رئيسة هي ولاية قوص وولاية الإسكندرية وولاية القاهرة وولاية الفسطاط، ومنح مع هذا التقسيم صلاحيات متزايدة لولاة الأقاليم، وأصبح بذلك والي قوص من أقوى الولاة الأربعة وتمتد صلاحياته إلى جميع بلاد الصعيد وتأتي مرتبته بعد مرتبة الوزير لأهميته[7] .

ولضمان استقرار الأحوال السياسية في مصر قام بدر الجمالي في شهر جمادى الأولى من سنة 477هـ/1084م بتولية ابنه الأفضل شاهنشاه منصب ولي عهده في الوزارة[8].

---

[1] – عزام، الدولة الفاطمية، ص 62 .

[2] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 95 .

[3] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 102 .

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 40 .

[5] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 400 ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 151 .

[6] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 95 ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 151 .

[7] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج 3، ص 493، 494 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 3، ص 336 ؛ سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 150 .

[8] – ابن ميسر، المنتقى، ص 47 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 142 .

4.4.4 إصلاح الحركة العلمية :

لقد تأثرت الحركة العلمية في الديار المصرية من جراء أحداث الشدة العظمى، فقد تعطلت حلقات الدرس والمناظرة في المساجد، ونهبت جميع الكتب الموجودة في قصر الخلافة والكتب الموجودة بدار العلم[1] في القاهرة من قبل الجند ورجال الدولة، كما أحرق وأتلف الكثير منها، ونقل بعضها إلى خارج مصر عن طريق بيعها إلى التجار[2].

وقد حرص بدر الجمالي منذ توليه الوزارة على إعادة إعمار خزانة كتب قصر الخلافة ومكتبة دار العلم، كذلك استمر الوزراء من بعده في السير على نهجه حتى بلغ عدد كتب قصر الخلافة عند سقوط الدولة الفاطمية سنة 567هـ/1171م ما يزيد عن مائة وعشرين ألف مجلد[3].

5.4.4 أعماله العمرانية :

كان من نتائج الشدة العظمى التي أصابت مصر أن أحدثت أثراً سيئاً على مدينة القاهرة، فقد تدمر الكثير من عمرانها بسبب الأحداث التي رافقت الشدة فلما دخلها بدر الجمالي كان ضمن سياسته الإصلاحية هو إعطاء أمر بالسماح لكل من الأرمن والجيش وكافة الناس القادرين على الإصلاح والعمارة أن يقوموا بذلك[4].

---

[1] – دار العلم : سميت أيضا بدار الحكمة، بناها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله في سنة 395هـ/1004م، وتقع بجوار قصر الخلافة الغربي، وتدرس فيها كافة أنواع العلوم، (انظر : الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت 458هـ /1065م)، تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، مطبعة الأباء اليسوعيين،بيروت 1980م، ص 258، وسيشار إليه الأنطاكي، تاريخ ؛ النويري، نهاية، ج 28، ص 179؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 1، ص56 ؛ أحمد، علاقات الفاطميين، ص 169 – 173) .

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 49 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 1، 409 .

[3] – ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم ت 697 هـ/1305م، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، (د.ط)، (د.ت)، ج 1،ص 203، وسيشار إليه فيما بعد ابن واصل، مفرج الكروب ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 1، 409 .

[4]– المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 60 .

وقد بدأ بدر الجمالي أعماله العمرانية بأعادة بناء السور المحيط بمدينة القاهرة، حيث شرع في بنائه في سنة 477هـ/1084م[1]، ولكنه لم يتمكن من إتمامه حيث وافته المنية قبل ذلك[2]، وأعاد بدر الجمالي بناء باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح المقامة سابقاً على سور القاهرة[3].

وشرع ثلاثة أخوة جاءوا لهذه الغاية من إمارة الرها، فأوكل بدر الجمالي لكل واحداً منهم بناء باب [4]، وكانت هذه الأبواب مبنية سابقا من اللبن فأمر بدر الجمالي بإعادة بنائها من الحجر [5] .

وعندما شرع بدر الجمالي ببناء باب زويلة[6] غير موقعه المقام عليه سابقا من قبل جوهر الصقلي وأصبح يؤدي إلى شارع ما بين القصرين[7]، وهو من الأبواب الدائمة الازدحام من أول النهار إلى أخره[8].

---

[1]– ابن الصيرفي، الإشارة، ج 3، ص 56، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 142 سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 150 .

[2]– ابن الصيرفي، الإشارة، ج 3، ص 56 .

[3]– يوجد على سور القاهرة الكثير من الأبواب مثل باب المحروق وباب القراطين وباب البراقين وباب زويلة وباب النصر وباب الفتوح وباب الشعرية وباب القنطرة وباب البحر وباب الخوخة وباب السعادة وباب الفرج، (انظر : ابن الصيرفي، الإشارة، ج 3، ص 56 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 2، ص 142 .كحلاوي، محمد محمد، آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسين، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة (1994م)، ص29، وسيشار إليه فيما بعد كحلاوي، آثار مصر) .

[4] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 399؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 99 ؛ حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ص413 .

[5] – حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ج 3، ص 413 .

[6] – سمي باب زويله نسبة إلى العبيد السود الذين كانوا يسكنون مدينة زويله التي تقع بالقرب من المهدية، وشارك هؤلاء العبيد في حملة جوهر الصقلي على مصر وعندما بنيت مدينة القاهرة أختطت كل قبيلة من القبائل المشاركة خطة لها فأختط الزويليون خطتهم التي أشتهر منها باب زويله وحارة زويله، (انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص 159؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص 4 ؛ عمايره، الجيش الفاطمي، ص 66) .

[7] – شارع بين القصرين : هو أعظم شارع في مدينة القاهرة وأشرفه ومن عجائب الدنيا حسنا وأتساعا وزخرفة وأكثره مدارس على اليمين والشمال وبه روضات الملوك الهائلة المنظر إلى غير ذلك من محاسنه التي يعجز عن وصفها وهذا الشارع يمتد من باب زويلة إلى باب الفتوح، (انظر: الكحلاوي، آثار مصر، ص 31) .

[8] – كحلاوي، آثار مصر، ص 29 .

ويعد باب وزيلة من أعظم أبو ب القاهرة عمارة [1]، حيث أنشأ على قمته عطفة كما هي عليه العادة في أشكال الحصون حتى لا يتمكن العدو من الهجوم عليه في أوقات الحصار وليتعذر الدخول إليه بشكل جماعي، ورصفت أرضه بحجارة من الصوان الزلق حتى إذا هجم عليه جيش العدو لا تثبت قوائم خيولهم عليها فتنزلق وكانت هذه الحجارة كبيرة جداً بحيث تحتاج إلى ثلاثة أبقار لجرها، وقد بقيت هذه الحجارة إلى عهد السلطان الملك الكامل الذي أمر بالتخفيف منها بعد أن سقط عن فرسه أثناء عبوره للباب فلم يبق من هذه الحجارة إلا القليل[2].

وكتب على البندتين اللتين على جانب باب زويلة أسم بدر الجمالي وأسم المستنصر بالله، وكانت البندتان أكبر بكثير مما هما عليه أثارهما الآن حيث هدم أعلاهما لاحقا عندما بني الجامع المؤيدي حيث عمر من البندتين منارتين للجامع [3].

كما نقل بدر الجمالي باب النصر من الموقع الذي بناه جوهر الصقلي[4] وهو مطل على الجهة الشرقية من مدينة القاهرة باتجاه الصحراء[5]، وجعل لـه بدر باشورة في أعلاه مكتوب عليها بالخط الكوفي (لا اله إلا الله محمد رسول الله وعلي ولي الله صلوات الله عليهما)[6].

ويعدُّ باب النصر في حد ذاته تحفة معمارية وحربية لا مثيل لها ولا يضاهيه جمالًا وعظمة سوى باب الفتوح الذي بناه بدر الجمالي[7]، ويقع باب الفتوح بجوار جامع الحاكم بأمر الله[8] ويؤدي إلى بركة كان يجتمع بها الحجيج قبل ذهابهم إلى الحج[9].

---

[1]- المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 100 ؛ كحلاوي، آثار مصر، ص 29 .

[2]- ابن ميسر، المنتقى، ص 51 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، 238؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 146، 327 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 98 .

[3]- المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 100 .

[4] – حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ج 3، ص 413 .

[5] – الكحلاوي، آثار مصر، ص 35 .

[6] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 100 .

[7] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 99 .

[8] – جامع الحاكم بأمر الله : أول من أسسه العزيز بالله ابن المعز وخطب فيه وصلى بالناس ثم أكمل بنائه الحاكم بأمر الله وكان سابقا يعرف بجامع الخطبة، وكان إتمام عمارته في ثلاث سنوات، هدم هذا الجامع في الزلزال الذي ضرب القاهرة سنة 702هـ /1400م فجدد بنائه بيبرس ورتب فيه دروسا على المذاهب الأربعة ودروس للحديث والنحو، (انظر : السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 253 ؛ أحمد، علاقات الفاطميين، ص 166، 167 ؛ حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ج 3، ص 413) .

[9] – المقريزي، الخطط المقريزية،ج 2، ص 101 ؛ ابن حجر،رفع الاصر،ص 93 ،الكحلاوي،آثار مصر،ص 35 .

وأنشأ بدر الجمالي كذلك داراً للوزارة، حيث كان للوزراء داراً بمعزل عن قصر الخلافة في عهد الوزير يعقوب بن كلس[1]، وبقيت سكناً للوزراء إلى أن ابتنى بدر الجمالي داراً أكبر منها[2]، وكانت هذه الدار في حارة برجوان بجوار القصر الكبير الشرقي باتجاه باب العيد ويقابل لها الدار الأفضلية والدار السلطانية[3].

وكانت دار الوزارة في الدولة الفاطمية تشتمل على عدة قاعات ومساكن وبساتين وغيره وكان فيها مائة وعشرين مقسماً للماء الذي يجري في بركها ومطابخها ونحو ذلك، ولم يزل يسكن دار الوزارة التي بناها بدر الجمالي من يلي أمرة الجيوش إلى أن انتقل الأمر عن الفاطميين وصار إلى بني أيوب فاستقر سكن الملك الكامل بقلعة الجبل خارج القاهرة وسكنها ابنه السلطان الملك الصالح[4].

وبنى بدر الجمالي جامع العطارين في سنة 477هـ/1084م[5] عندما ثار عليه ابنه الأوحد وتحصن بالإسكندرية وكان ينوي قتل والده والسيطرة على الحكم بعده، فسار إليه بدر الجمالي وحاصره في الإسكندرية إلى أن أخذها وقبض على ولده وقتل الكثير من الناس من ضمنهم ابنه الأوحد[6]، وقد غرم أهل الإسكندرية مالاً

---

[1] – يعقوب بن كلس : هو كاتب يهودي اتصل بخدمة كافور الأخشيدي ثم أسلم وأصبح وزيرا للخليفة الفاطمي العزيز في سنة 368هـ /976م، (انظر : ابن الصيرفي، الإشارة، ص 47 – 49 ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 201) .

[2] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 405 ؛ عزام، الدولة الفاطمية، ص 34 .

[3] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 229 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 398 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 92 .

[4] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 229، 232 .

[5] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 225 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 46؛ ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 77؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 142 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 399 ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2، ص 204 .

[6] – ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 225؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 46 ؛ ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 77 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 142 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 399 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 93 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 119.

كثيراً بنى به الجامع الكبير المعروف بجامع العطارين[1]، وقد شرع بدر الجمالي في بنائه سنة 477هـ/1084م[2] وفرغ منه في شهر ربيع الأول من سنة 479هـ/1086[3] وأقيمت فيه صلاة الجمعة التي استمرت[4] إلى أخر أيام الخليفة العاضد[5] إلى أن زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي أمر ببناء جامع أخر ونقل صلاة الجمعة من جامع العطارين إلى جامعه[6].

وبنى بدر الجمالي مسجد النصر[7] على أثر ثورة كنز الدولة محمد بن كنز الدولة زعيم مملكه ربيعة العربية على الدولة الفاطمية وتحرك بدر في سنة 469هـ/1076م[8] إلى قمع ثورتهم في أسوان وسيطر عليها وعلى نواحيها، وقتل كنز الدولة محمد وهزم أصحابه بعد أن قتل منهم عدداً كبيراً[9]، فأمر بدر الجمالي ببناء مسجدٍ مكان الوقعة أسماه مسجد النصر[10]، وقد أتم بناء مئذنة هذا المسجد سعد الدولة سارتكين القواسي الذي عينه بدر الجمالي بعد قضائه على ثورة بني ربيعة في سنة 474هـ/1081م[11].

---

[1] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 77 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، 238 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 142؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 399 ؛ الخطط المقريزية، ج2، ص 102؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 93 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 117 .

[2] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 117 .

[3] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، 238 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 142 ؛ الخطط المقريزية، ج2، ص 102 .

[4] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، 238 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 142 .

[5] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، 238 .

[6] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 142 .

[7] – ورد اسمه ب (جامع أسنا)، (انظر : خليفات، مملكة ربيعة، ص 84).

[8] – ابن ميسر، المنتقى، ص 43 .

[9] – ابن ميسر، المنتقى، ص 43 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 237 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 139 ؛ المقفى، ج 2، ص 398 .

[10] – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 237، المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 398 .

[11] – خليفات، مملكة ربيعة، ص 84 .

وأنشأ بدر الجمالي سوقا سميت باسمه تقع بين حارة برجوان وشارع الوراقة، أي من باب حارة برجوان إلى باب الجامع الحاكم بأمر الله[1]، وهذا السوق متصل بسوق المغاربة[2].

وكان سوق بدر الجمالي من أعمر أسواق القاهرة في العصر الفاطمي، وكان من الفخامة والتنوع في أنواع البضائع والأطعمة كلها بحيث يمكن الإعتماد عليه في سد حاجة الناس من الأصناف كلها بحيث لا يحتاج سكان القاهرة إلى غيره، كما يوجد فيه بائعو الضان ولحم البقر والزياتين والجبانين واللبانين والشوايين والعطارين والخضريين بالإضافة إلى بائعي الأمتعة وجميع المواد التي تحتاجها المائدة، وكان الناس يمرون بهذا السوق بمشقة بسبب الزحام الشديد في الليل والنهار[3].

كما بنى بدر الجمالي الكثير من الكنائس لجنوده الأرمن الذين احتفظوا بديانتهم المسيحية في تلك الفترة، حيث يذكر أن جريجوري بطريرك الأرمن قد زارهم في سنة 480هـ / 1087م واستقبله بدر الجمالي بحفاوة كبيرة[4] .

كما أنشأ بدر الجمالي داراً لصناعة الديباج، حيث عمل على الاكتفاء الذاتي من مادة الديباج، فيذكر المقريزي بأن بدر قد أنشأ داراً للديباج ينسج فيها مادة حرير الديباج[5].

5.4 نتائج الإصلاحات التي قام بها بدر الجمالي :

اشتدت مهابة بدر الجمالي في قلوب الخاصة والعامة وخاف سطوته كل جليل وكبير لعظم بأسه وكثرة بطشه وقتله من الناس، فيذكر إنه قتل من أكابر المصريين والأمراء والقواد والوزراء والأعيان من أهل القاهرة ومصر وبلاد الصعيد وأسفل الأرض وثغر دمياط وتنيس والإسكندرية عدداً كبيراً ممن كانوا قد تمردوا ونشروا

---

[1]- المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 58، 442 .

[2]- ابن دقماق، الأنتصار، ج 1، ص 32 .

[3]- سلطان، الأسواق، ص 22 .

[4] – عمايره، الجيش الفاطمي، ص 108 .

[5] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 1، ص 89 ؛ عزام، الدولة الفاطمية، ص 89 .

الفساد ونشأوا على الفتن وأعتادوا مضرة الناس، وبهذا يكون قد عمل على إصلاح الديار المصرية وتعميرها[1] وعادت مصر إلى أحسن مما كانت عليه[2].

وبعد أن قضى بدر الجمالي على الثورات الداخلية ووحد البلاد[3]، وأعاد إليها الأمن والنظام والطمأنينة وأخضع كل الأطراف المسيطرة على ثروات البلاد[4]، ولكون الأمن هو عنوان التنمية والرخاء الأقتصادي فقد دأب بدر الجمالي منذ قدومه إلى الديار المصرية في القضاء على الأفراد والطوائف والتجمعات الخارجة عن النظام والتي أثرت سلباً على مقدرات الدولة الاقتصادية وبعد أن قضى على أسباب الفوضى السياسية وأضطراب الأمن شرع في إعمار البلاد[5]، فطابت نفوس الناس وقويت الهيبة وخاف المفسدون[6]، فاستقرت الأسواق وأصبح الفلاح المصري بفضل الأمن والنظام الذي وفره بدر الجمالي يقبل على زراعة أرضه مرة أخرى، وزاد الإنتاج الزراعي وزادت معه موارد الدولة الفاطمية[7]، وبسط العدل فأمنت الطرق[8]، واستغنى أهل مصر ودرّت عليهم الزراعة مختلف أنواع النعم ورخصت الأسعار وعادت مصر إلى سابق عهدها حيث كان الخلفاء يسمونها بسلة الخبز[9].

كما أعاد بدر الجمالي هيبة الدولة الفاطمية، وحرص على تطوير العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية، ففي سنة 472هـ/1079م خرج ملك النوبة من بلاده وسار إلى أسوان يريد زيارة كنيسة لهم في أسوان، فبعث والي قوص إليه من ألقى

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 39 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 147 .

[2] – ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 525.

[3] – الذهبي، العبر، ج 2، ص 321 ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 103 .

[4] – المقريزي، الخطط المقريزية، ج 2، ص 103 ؛ إدريس، تاريخ الحضارة، ص 166 .

[5] – الذهبي، العبر، ج 2، ص 321 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج، ص 148 ؛ الخطط المقريزية، ج 2، ص 103 .

[6] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 399 .

[7] – ابن حجر، رفع الاصر، ص 94 ؛ إدريس، تاريخ الحضارة، ص 166 .

[8] – ابن ميسر، المنتقى، ص 53 .المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج، ص 148 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 401 ؛ ابن حجر، رفع الاصر، ص 94 .

[9] – ابن ظهير، (توفي في القرن التاسع)، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، دار الكتب، (د.ط)، القاهرة 1969م، ص 128، وسيشار إليه فيما بعد ابن ظهير، الفضائل الباهرة .

القبض عليه وأرسل به إلى القاهرة، وعندما وصل إلى بدر الجمالي في القاهرة أكرمه وأفاض عليه بالنعم وأتحفه بالهدايا، ولكن أجله أدركه ومات في القاهرة قبل أن يعود إلى بلاده[1].

و كانت علاقة الدولة الفاطمية في هذه الفترة مع بلاد النوبة جيدة، حيث أرسل بدر الجمالي الشريف سيف الدولة مع أسقف قبطي مزود بكتاب من بطريرك الأقباط في مصر إلى ملك النوبة المسيحي يرجو فيه تسليم كنز الدولة محمد والاستمرار في المحافظة على علاقات ودية بين مصر وبلاد النوبة، ويبدوا أن ملك النوبة قد خشي من عاقبة لجوء أمير عربي خارج عن السلطات الحاكمة في مصر إلى بلاطه، لذلك سلم كنز الدولة إلى بدر الجمالي في سنة 474هـ/1081م [2].

ولا شك أن الحجاز كانت من أشد البلاد التابعة للدولة الفاطمية تأثراً بالأحوال السيئة التي تعرضت لها مصر خلال فترة الشدة العظمى، حيث كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة تعتمدان اعتماداً كبيراً في تسيير أمورها على المعونة القادمة من الفاطميين في مصر، ونتيجة عجز الدولة الفاطمية عن الوفاء بالتزامها اتجاه الديار المقدسة في الحجاز مكة والمدينة اعتدى أمير مكة على الكعبة وأنتزع ما كان على بابها ومزرابها من ذهب وسبكها دراهم ودنانير كما فرض على أهل مكة ضرائب باهضة ومثله فعل مهنا أمير المدينة المنورة، واتجه ابن أبي هاشم إلى العباسين للخروج من الأزمة المالية التي كان يعاني منها حيث أرسل إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله والسلطان السلجوقي ألب أرسلان في سنة 462هـ/1069م اللذين أمدّاه بثلاثين ألف دينار وقرروا له راتباً سنوياً مقداره عشرة الآف دينار وتم بموجب ذلك قطع الخطبة الفاطمية من مكة وإعلان الخطبة للخليفة العباسي وللسلطان السلجوقي، ومن أجل أن تكتمل لهم السيطرة على الحجاز أغروا أمير المدينة المنورة مهنا بهبة مالية مقدارها عشرين ألف دينار وصرف راتب سنوي له مقداره خمسة الآف دينار فعاد بذلك الحجاز إلى دائرة العباسيين [3].

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 46 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 142 .

[2]– خليفات، مملكة ربيعة، ص 84 .

[3] – العوفي، العلاقات السياسية، ص214 .

وبعد أن سيطر بدر الجمالي على الفوضى في مصر وجه نظره إلى الحجاز[1] وأعاد الخطبة للفاطميين، ففي عيد الأضحى سنة 467هـ/1074م[2] قطعت الخطبة العباسية، فقد أرسل بدر الجمالي إلى محمد بن جعفر بن أبي هاشم[3] أمير مكة يطلب منه إعادة الخطبة للمستنصر بالله ولكن ابن أبي هاشم لم يستجب لطلب بدر الجمالي هذا، فأرسل بدر الجمالي إلى الأعيان من بني عم محمد بن جعفر بن أبي هاشم يطلب منهم إعادة الخطبة للمستنصر بالله وأنهم أولى من محمد بن جعفر في ولاية مكة، ولكنهم لم يستجيبوا أيضا إلى طلب بدر الجمالي [4].

أمام هذا الرفض اضطر بدر الجمالي إلى استعمال اسلوب التهديد والوعيد معهم[5] فأرسل إليهم للمرة الثانية يخبرهم بأن الحجة التي كنتم تحتجون بها قد زالت بوفاة الخليفة القائم بأمر الله العباسي والسلطان ألب أرسلان ولم يبق في رقبتكم أي عهد للدولة العباسية بوفاتهم[6]، وأن الدولة الفاطمية لكم ومنكم وأن قيامكم بالخطبة للعباسيين لا يغفر له إلا الرجوع عن ذلك وإعادة الخطبة للفاطميين، وحذرهم إنه في حال عدم الأستجابة لطلبه هذا فإنه سيخرجهم من مكة عن طريق مخاطبة أبناء عمهم الأشراف بولاية مكة وسيمدهم بالمال والرجال لهذه الغاية، وأرسل إليهم بدر الجمالي مع هذه الرسالة المال[7]، حيث كان الغلاء قد اشتد في الحجاز آنذاك[8]،

---

[1] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 526، ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 119 .

[2] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 408 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 174؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 321 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 119 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 138 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 98 ؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 211 .

[3] – هو أبي هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن موسى بن عبد الله، تولى إمارة مكة سنة 454هـ / 1062م، كان ظالماً جباراً سفاكاً للدماء وكان يقتل الحجاج أحياناً لنهب أموالهم، توفي في سنة 487هـ / 1094م، (انظر : ابن تغري بردي، ج 5، ص 115) .

[4] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 174 .

[5] – العوفي، العلاقات السياسية، ص215 .

[6] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 526 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 408 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 174، ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 119 .

[7] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 174، العوفي، العلاقات السياسية، ص215 .

[8] – المناوي، الوزارة والوزراء، ص 211 .

وانقطعت المعونة العباسية في هذه السنة بسبب وفاة الخليفة القائم بأمر الله والسلطان السلجوقي ألب أرسلان[1].

فاجتمعوا مع ابن عمهم محمد بن جعفر بن أبي هاشم وأخبروه بأن المصلحة الآن تقتضي إعادة الخطبة للفاطميين وإذا لم يقوموا بذلك فأنه سيخرج أمر ولاية مكة من بين أيديهم [2]، وأخبروه كذلك بأنهم قد أقاموا الخطبة للعباسيين عندما لم ترسل إليهم المعونة من مصر، ولما رجعت إليهم المعونة فأنهم لن يقبلوا بأبن عمهم المستنصر بالله بدلاً، فخاف ابن أبي هاشم وأخذ المال الذي تم أرساله وأعاد الخطبة كارهاً غير مختار[3]، وفرق المال الذي بعث على أقاربه[4]، وخلع ألقاب القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان من لوح كان على زمزم، وأنزلت الكسوة الخراسانية ووضع مكانها كسوة بيضاء عليها ألقاب المستنصر بالله[5]، وردت الأسماء التي قلعت سابقاً من قبة المقام[6]، وكانت مدة الخطبة العباسية بها قبل أن تقطع استمرت خمس سنوات[7]، حيث إنها أقيمت في يوم الجمعة الموافق الحادي عشر من شهر رجب سنة 463هـ/1070م[8].

و لم يلبث الفاطميون أن استعادوا نفوذهم في مكة المكرمة مرة أخرى ففي سنة 470هـ /1077م وصل إلى مكة من بغداد منبر كبير في شهر رمضان منقوش عليه بالذهب عبارة (لا اله إلا الله محمد رسول الله، الإمام المقتدي بأمر الله أمير

---

[1] – العوفي، العلاقات السياسية، ص215 .

[2] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 174 .

[3] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 526 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 119 .

[4] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 526 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 174 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 321 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 119.

[5] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 174، المناوي، الوزارة، ص 211 .

[6] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 526، ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 119، المناوي، الوزارة، ص 211 .

[7] – ابن ميسر، المنتقى، ص 42، النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 236 .

[8] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 174 .

المؤمنين مما أمر بعمله محمد بن محمد بن جهير) فاتفق وصول هذا المنبـــر وقـــد أعيدت الخطبة إلى المستنصر بالله، فكسر المنبر وأحرق [1].

وفي سنة 472هـ/1079م أقيمت الخطبة العباسية في مكة وقطعت الخطبة الفاطمية منها [2]، وفي سنة 478هـ/1085م قطعت خطبة الفاطميين من الحرمين وخطب بهما للمقتدي العباسي[3].

---

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 141، العوفي، العلاقات السياسية، ص219 .

[2] – ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 560، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 142 .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 142، 145 .

الفصل الخامس

سياسة بدر الجمالي العسكرية وأعماله

1.5 أعمال بدر الجمالي العسكرية :

1.1.5 حملة أتسز على مصر :

بعد أن هرب والي دمشق معلى بن حيدره بن منزو منها[1]، وسيطرة الأمير زين الدولة انتصار بن يحيى عليها[2]، التجأ الكثير من الرجال الذين هربوا من ظلم معلى بن حيدره والرجال الذين هربوا من الديار المصرية بعد سيطرة بدر الجمالي عليها إلى أتسز، فتقوى بهم وازداد نفوذه في بلاد الشام[3]، وامتد نفوذه حتى سيطر على أغلب مدن فلسطين والساحل[4].

وعندما دخل بدر الجمالي القاهرة هرب ناصر الجيوش أبو الملوك تركان شاه ابن سلطان الجيوش يلدكوش خوفاً منه، حيث قتل بدر الجمالي والده يلدكوش مع من قتلهم من الأمراء، والتجأ تركان شاه إلى أتسز في دمشق[5]، وأهدى له ستين حبة لؤلؤ تزيد زنة الحبة منها عن مثقال وحجر ياقوت زنته سبعة عشر مثقالاً والكثير من التحف التي أخذها أبوه يلدكوش من خزائن المستنصر بالله خلال الشدة العظمى[6]، فتقرب بذلك من أتسز وأغراه بأخذ البلاد المصرية وأطمعه في أهلها

---

[1]– ابن ميسر، المنتقى، ص 42، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 138 ؛ المقفى الكبير، ج2، ص 221 .

[2] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 108 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 42 .

[3] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 108 ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 529 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 42 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 3 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 236 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 323، 329 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 103؛ العوفي، العلاقات السياسية، ص 140 .

[4] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 112 ؛ ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 218 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 171 ؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص 172 .

[5] – ابن ميسر، المنتقى، ص 44، النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 237، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 139 .

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 44 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 237 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 139 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 222 .

لينتقم لما جرى لأبيه وليتمكن من استعادة سلطاته السابقة في مصر والتـي نزعـت منه بقدوم بدر الجمالي[1] .

وكان أتسز يطمع في السيطرة على مصر وزاد طمعه بعد أن سـار إليـه الهاربون من الجيش الفاطمي ومن أنضم إليه من أهل الشام[2]، من العرب والتركمان والأكراد بما زاد مجموعه عن عشرين ألف مقاتل[3].

ويبدوا أن أتسز قد خشي أن يهاجمه الفاطميون بعد أن استقر لـه الأمر فـي بلاد الشام ورأى إنه من الصواب المبادرة بالهجوم عليهم واستغلال الأوضاع السائدة في الديار المصرية [4].

وفي سنة 469هـ/1076م جمع أتسز جيشه وخرج من دمشق إلـى طريـق الساحل ثم منها اتجه إلى الديار المصرية، والدعاء عليه واللعن متواصل من أهـل دمشق لسوء سيرته بهم[5].

وكان بدر الجمالي في هذه الفترة قد خرج لقتال العرب الثائرين على الدولة في الصعيد، فنزل أتسز في أرياف مصر وأقام بها شهر جمادى الأولـى وجمـادى الآخرة وبعض شهر رجب ومعه نحو خمسة آلاف مقاتل[6]، وقد نزل أتسز في منطقة الريف بسبب نصيحة ناصر الجيوش تركان شاه بن يلدكوش الذي قـال لـه : (لا تنشغل بالقاهرة ومصر فإذا ملكت الريف فقد ملكت مصر)[7].

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 44 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 237 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفـا، ج 1، ص 139 .

[2] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 139 .

[3] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 182 .

[4] – سرور، جمال الدين، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس الهجري ، مطبعـة دار الفكر العربي، (د.ط)، القاهرة (1957م)، ص 65، وسيشار إليه فيما بعد سرور، النفوذ الفاطمي .

[5] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 110 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 222 .

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 44 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 237 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفـا، ج 1، ص 140 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 222 .

[7] – ابن ميسر، المنتقى، ص 44 .

وبلغ بدر الجمالي وهو في بلاد الصعيد أنباء قدوم أتسز وتمركزه بالريف فقدم إلى القاهرة وجمع جيشه واستعد للقائه[1]، فجمع الرجال من أسوان وغيرها وحضر إليه بدر بن حازم الكلبي مع قبائل طيئ[2]و جمع من أهل القاهرة[3]، وكان بدر بن حازم ضمن جيش أتسز وأستطاع بدر الجمالي أن يستميله إلى صفوفه ومعه ألفا فارس، وفي هذه الأثناء ورد إلى القاهرة ثلاثة الآف رجل في المراكب في نيتهم الاتجاه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج فقال لهم بدر الجمالي : (دفع هذا العدو أفضل من الحج) فانضموا إليه جميعهم وأعطاهم بدر المال والسلاح[4]، وخرج من القاهرة ومعه ثلاثون ألف رجلٍ ما بين فارس وراجل وذلك في يوم الخميس الموافق السابع والعشرون من شهر رجب سنة 469هـ/1076م، وسير المراكب في النيل تحمل الأمدادت لجيشه من الطعام والعتاد[5].

ومن العوامل التي ساعدت بدر الجمالي في حشد الرجال والعتاد التصرفات السيئة التي قام بها رجال أتسز أثناء إقامتهم بالريف المصري من ظلمهم للعامة وأساءة السيرة فيهم وأخذ أموالهم[6]،وسبي حريمهم، وقتل أطفالهم الأمر الذي أدى إلى انزعاج الناس منهم[7]، حيث أرسل رؤوساء القرى في الريف إلى المستنصر بالله يشكونه حالهم فأخبرهم المستنصر بالله بعجزه عن مقاومة أتسز، فعرضوا عليه الرجال على أن يمدهم بالسلاح[8].

وعندما بلغ أتسز ما حشد له بدر الجمالي خاف من مواجهته وعزم على العودة إلى الشام[9]، حيث ورده بأن بدر الجمالي يريد القضاء عليه والتوجه إلى البلاد

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 44 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 140؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 222 ؛

[2] - ابن ميسر، المنتقى، ص 44 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 140.

[3] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 110 .

[4] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 182 .

[5] – ابن ميسر، المنتقى، ص 44، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 140؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 222 .

[6] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 412 .

[7] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 182 .

[8] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 412 .

[9] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 222 .

الشامية لاستعادتها منه، فجمع أتسز أصحابه للمشورة[1]، فأشار عليه بعضهم بالرجوع إلى الشام حيث قالوا له: (ان ترجع فإنك قد دست بلاد مصر وليس معك إلا خمسة الآف والقوم في كثرة وعواقب الأمور غير معروفة)[2]، فلم يوافقه أصحابه على ذلك وقالوا له : (وقد وطئت ديارهم وتعود بغير فائدة) وقال له أخوه المأمون وتركان شاه بن يلدكوش : (لا يغرنك كثرتهم فأنهم سوقة وصيحة واحدة تهزمهم فلا ترجع عن هذا الملك الذي أشرفت على أخذه)، فاستقر الرأي على ملاقاة الجيش الفاطمي[3].

وكانت المعركة بين الطرفين في يوم الثلاثاء الموافق الثاني والعشرين من شهر رجب سنة 469هـ/1076م، وكانت بينهم عدة وقائع[4] ألتف خلالها العرب بقيادة بدر ابن حازم من خلف جيش أتسز ونهبوا[5]، وحمل بدر الجمالي على ميمنة جيش أتسز والسودان على القلب[6]، فانهزم جيش أتسز وقتل أخوه المأمون أثناء المعركة، وقطعت يد أخيه الأخر، وبذلك هزم أمير الجيوش بدر الجمالي جيش أتسز وكسره ووضع السيف في عسكره قتلاً وأسراً ونهباً[7]، وعاد بدر إلى القاهرة مظفراً بهذا النصر الكبير الذي حققه[8] وأستولى على جميع ما كان مع جيش أتسز من غنائم[9]، ومن جملة ما غنموا منهم ثلاثة الآف حصان وعشرة الآف صبي وجارية ومن الأموال والثياب ما لا يحصى وبقوا مدة شهر وهم يحصون الأموال والخيل والأمتعة[10].

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 44 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 140.

[2] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 140.

[3] – ابن ميسر، المنتقى، ص 44 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 140 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 222.

[4] – ابن ميسر، المنتقى، ص 44 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 140.

[5] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 182 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 222 .

[6] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 182 .

[7] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 110، ابن ميسر، المنتقى، ص 44، النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 237 .

[8] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 222 .

[9] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 182 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 44 .

[10] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 182 .

وهرب أتسز من مصر باتجاه غزة [1] و منها توجه إلى الرملة حتى وصل إليه من بقي من عسكره [2]،و اتجه نحو بيت المقدس [3] وحاصرها ودخل إليها عنوة بقوة السيف وقتل بها نحو ثلاثة الآف نفس، ولم ينجُ إلا من استجار بالمسجد الأقصى وبقبة الصخرة [4]، وذلك بسبب ثورة أهل القدس على الأتراك أثناء حملة أتسز على الديار المصرية، ثم دخل إلى مدينة دمشق [5] يوم السبت في العشرين من شهر شعبان سنة 469هـ/1076م [6].

لقد أثرت هزيمة أتسز هذه من قبل بدر الجمالي في العلاقات بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية وفي موازين القوى بينهم فبعد أن أعتقد العباسيون بأنهم الأقوى وأن بإمكانهم استعادة مصر من الفاطميين كما حدث في بلاد الشام، تغيرت هذه الفكرة وصار الوضع مختلفا بتولي بدر الجمالي شؤون مصر بتفويض الخليفة المستنصر بالله [7].

---

[1] – ابن ميسر، المنتقى، ص 44 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 222 .

[2] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 110؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 44 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 140؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 222 .

[3] – كانت ضمن حكم المستنصر بالله وعندما قصد أتسز ابن واق التركي أرض فلسطين وملك الرملة وبيت المقدس سنة 463هـ/1070م وبقيت بيت المقدس في يده إلى أن خرج بدر الجمالي في سنة 465هـ/1073م فأستعاد الرملة وبيت المقدس وولى فيها من قبله ثم عاد إلى مصر في سنة 466هـ/1073م، فعاد أتسز إلى القدس وملكها بقية سنة 466هـ/1073م، ولم تزل في يده إلى أن قصد أتسز الديار المصرية في رجب من سنة 469هـ/1076م وعاد منهزما إلى دمشق، أثناء ذلك ثار أهل القدس على من كان يتولاهم من الأتراك من قبل أتسز وقتلوا أكثرهم والتجأ من بقي منهم إلى محراب داود وتحصنوا به إلى أن وصل أتسز إلى القدس فحاصرها حتى دخلها، وبقيت بيت المقدس في يده إلى أن خرج نصير الدولة الجيوشي فأسترجع القدس وما كان قد أستولى عليه الأتراك من بلاد فلسطين والأردن، (انظر : ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص 199) .

[4] – ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص 199 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 140.

[5] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 110؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 44 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 222 .

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 44 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 222 .

[7]– العوفي، العلاقات السياسية، ص199 .

2.1.5 حملات بدر الجمالي على بلاد الشام :

على أثر الهزيمة التي لحقت بأتسز أعلنت بعض المدن الرئيسة في بلاد الشام التي كانت تحت أمرة أتسز ولاءها من جديد للدولة الفاطمية وهذا الأمر شجع بدر الجمالي على العمل لإستعادة سلطان الفاطميين على تلك البلاد[1]، حيث قام في سنة 470 هـ/1077م [2] بإرسال جيش يقوده نصير الدولة أفتكين الجيوشي[3]، واستولى على مناطق من فلسطين ودمشق وأقام محاصراً لدمشق لعدة أيام[4]، ومن شدة الحصار اضطر أتسز إلى مراسلة تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان يستنجد به ويعده مقابل نجدته أن يسلمه دمشق وأن يكون في الخدمة بين يديه[5]، وكان تتش في هذه الفترة محاصراً لمدينة حلب فتوجه منها إلى دمشق[6]، وعندما عرف نصر الدولة الجيوشي بقرب قدوم تتش إليه رحل عن دمشق وأتجه إلى ناحية الساحل[7]، ووصل تتش إلى منطقه تسمى بمرج عذراء تقع بالقرب من مدينة دمشق مع جيشه فخرج

---

[1] – سرور، النفوذ الفاطمي، ص 62 .

[2] – ابن ميسر، المنتقى، ص 45 ؛ المقريزي،أتعاظ الحنفا، ج 1، ص 141؛المقفى الكبير، ج 2، ص 222، 399 .

[3] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 112؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 200؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 45؛ أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 5 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 127؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 141؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 222 ؛ العوفي، العلاقات السياسية، ص 141 ؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص 62 .

[4] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 112؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 45 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 127؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 222، 399؛ العوفي، العلاقات السياسية، ص 141؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص 62 .

[5] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 112 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 200 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 45 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 5 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 329 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 528 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 127 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 141 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 222، العوفي، العلاقات السياسية، ص 141 .

[6] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 112 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 5 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 528 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 141 ؛ العوفي، العلاقات السياسية، ص 141 .

[7] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 112، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 200، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 141.

إليه أتسز وأظهر لـــه الطاعة وسلم إليه البلدة، فدخلها تتش وبعد فترة قصيرة غـــدر تتش بأتسز وقتله[1] وملك بذلك تتش مدينة دمشق[2]، واستقام لـــه الأمر فيهـــا وفعـــل عكس ما فعله أتسز مع أهلها فأحسن السيرة فيهم [3]، ووجد في خزانة أتـــسز حجـــر ياقوت أحمر زنته سبعة عشر مثقالاً وستون حبة لؤلؤ كل حبة منها زنتها أكثر مـــن مثقال وعشرة الآف دينار ومائتا سرج مذهب وغيرها[4]، وكانت مدة حكم أتسز فـــي دمشق ثلاث سنوات وستة أشهر وواحداً وعشرين يوماً[5].

و كان نصر الدولة الجيوشي عندما عرف بقروب قدوم تتش إليه قـــد رحـــل عن دمشق وقصد ناحية الساحل[6]، حيث قام تتش بعد أن ملك دمشق بإرسال جـــيش وراءه ولكنه لم يتمكن من إدراكه[7].

وكان ثغرا صور وطرابلس في أيدي قضاتها قد تغلبـــا عليهـــا ولا طاعـــة عندهما لبدر الجمالي بل يصانعان الأتراك بالهدايا والملاطفات[8].

ففي سنة 471هــ/1078م وبعد أن فرغ تتش من دمشق توجه مع جيشه إلى حلب ونزل عليها أياماً ثم رحل عنها في شهر ربيع الأول سنة 471هـــــ/1078م[9]

---

[1] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 112؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمـــان، ص 200 ؛ ابـــن ميـــسر، المنتقى، ص 45 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 5 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 329؛ ابـــن الـــوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 528 ؛ ابن كثير، البداية والنهايـــة، ج 12، ص 127؛ المقريـــزي، اتعـــاظ الحنفا، ج 1، ص 141 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 222 ؛ العوفي، العلاقات السياسية، ص 141؛ ســـرور، النفوذ الفاطمي، ص 62 .

[2] – سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 200 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 5 ؛ الذهبي، العبـــر، ج 2، ص 329 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 127، المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 222.

[3] – أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 5 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 329 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 127 .

[4] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 127 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 222 .

[5] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 222 .

[6] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 112؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمـــان، ص 200 ؛ أبـــو الفـــداء، المختصر، ج 2، ص 5 .

[7] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 141 .

[8] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 112؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 200 .

[9] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 133، ابن ظافر، أخبار الدول، ج 1، ص 218 .

وعبر نهر الفرات ووصل إلى ديار بكر ثم عاد إلى الشام[1]، عنـدما علـم أن بـدر الجمالي قد أرسل جيشاً آخر إلى دمشق سنة 472هـ /1079م، وبقي محاصراً لهـا إلى أن أشرف على أخذها، ولكنه عاد خوفاً من قدوم تتش[2] .

وفي سنة 473هـ/1080م استولى جلال الملك أبو الحسن بن عمار قاضـي طرابلس وصاحبها حصن جبله، وكان ابن عمار هذا قاضي طرابلس وصاحبها قـد غلب على تلك البلاد لعدة سنوات وعجز بدر الجمالي عن مقاومته[3].

وفي سنة 476هـ/1083م، اتجه تتش من دمشق إلى ناحية طرابلس، وفـتح أنطرطوس وبعض الحصون وعاد إلى دمشق[4]، ثم سلم ابن صقيل قلعة بعلبك إلـى تتش، وكان قد ولي إمارتها من قبل المستنصر بالله[5].

ويذكر ابن الأثير بأن تتش قد حاول التقرب من بـدر الجمـالي فـي سـنة 476هـ/1083م حيث عزم على مصاهرة بدر عن طريق الزواج من إحدى بناته، وكادت أن تتم المصاهرة لولا تدخل القاضي ابن عمار صاحب طرابلس الذي أشار على تتش بألا يفعل، فعدل تتش عن ذلك [6] بعد أن وردت إليه الهـدايا والملاطفـات من مصر[7].

وبالرغم مما وصل إليه تتش في هذه الفترة من قوة وهيبة[8]، إلا إنه يبدو بأن موازين القوى بين الفاطميين والعباسيين قد أخذت في الاقتراب وذلك بفـضل بـدر الجمالي الذي عمل على تخليص الدولة الفاطمية من مشاكلها الداخلية التي استنزفت طاقاتها وخيراتها وأبعدت الدولة عن قضاياها الخارجية[9] حيث إن قوة تتش تلك لـم تثنِ عزم أمير الجيوش بدر الجمالي عن غزو بلاد الشام وتكرار المحاولة في إعادة

---

[1] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 133 .

[2] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 399 .

[3] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 110 .

[4] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 115 .

[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 115 .

[6] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5 ، ص 115، المناوي، الوزارة، ص 202 .

[7] – المناوي، الوزارة، ص 202 .

[8] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 440 .

[9] – العوفي، العلاقات السياسية، ص 144 .

السيطرة على مدينة دمشق ففي شهر ربيع الأول من سنة 478هـ/1085م قدم بدر الجمالي على رأس جيشٍ من مصر فحاصر دمشق وكان فيها تتش، فضيق على تتش وحاصره حصاراً شديداً ودارت بينهم معارك غير حاسمة فعاد عن دمشق ورحل إلى مصر[1]، ثم صرف بدر الجمالي النظر عن دمشق وقام بمحاصرة السواحل الشامية، حيث كانت الدولة الفاطمية تتمتع بقوة بحرية متميزة[2]، وتمكن من استعادة مدينة صور كما تمكن نصير الدولة الجيوشي الذي قاد الحملات الفاطمية من السيطرة على مدن صيدا[3] وعكا وجبيل[4] وأصلح أحوالها[5].

وباستيلاء بدر الجمالي على هذه المدن آثار تتش بن ألب أرسلان الذي أعد نفسه للسيطرة عليها، وكان حصن بعلبك أول المدن التي توجه إليها حيث تمكن من إجبار أهلها على طلب الأمان فقام صاحبها خلف بن ملاعب بتسليمها وعاد إلى مصر[6].

---

[1] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 440 ؛ أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 9 ؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 338 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 532 ؛ العوفي، العلاقات السياسية، ص 143 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج 3، ص 205 ؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص 62 .

[2] – العوفي، العلاقات السياسية، ص 143 .

[3] – صيدا : هي مدينة على ساحل البحر، عليها سور من الحجارة، تنسب لرجل من ولد كنعان بن حام، كورتها كثيرة الأشجار، غزيرة الأنهار، لها أربعة أق اليم متصلة بجبل لبنان وتشتمل على أكثر من ستمائة ضيعة، ولا تزال في أيدي الفاطميين حتى أخذها منهم الصليبيين في الثالث من شهر ربيع الآخر سنة 504هـ/1112م، (انظر : – ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص 98) .

[4] – جبيل : هي مدينة حسنة على البحر، لها سور من حجر حصين، ليس بها ماء جاري حيث يشرب سكانها من الآبار، (انظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 460 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 50 ؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص 96 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 238 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 145 ؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 399 ؛ العوفي، العلاقات السياسية، ص 143) .

[5] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 460 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 50 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 238 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 144، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 145؛ المقفى الكبير، ج 2، ص 399 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 126، سرور، النفوذ الفاطمي، ص 62 .

[6] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 119 ؛ العماد الاصفهاني، البستان الجامع، ص 316 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 123، 126، 128؛ العوفي، العلاقات السياسية، ص 143، سرور، النفوذ الفاطمي، ص 62 .

وفي سنة 484هـ/1091م حاصر تتش مدينة طرابلس ومعه أق سنقر وبوران[1]ونصبوا عليها المنجنيقات، وكان والي طرابلس القاضي جلال الملك ابن عمار، فأرسل إليهم ابن عمار بأن معه منشور من السلطان ملكشاه[2]بإقراره على طرابلس، فلم يقبل منه تتش ذلك، ولكن أق سنقر توقف عن قتاله، فقال له تتش : (أنت تابع لي فكيف تخالفني)، فقال: (أنا تابع لك إلا في عصيان السلطان)، فغضب منه تتش ورجع إلى دمشق ورجع أق سنقر إلى حلب ورجع بوزان إلى الرها[3].

وفي سنة 486هـ/1093م خرج من مصر جيشٌ كبيرٌ إلى ثغر صور، وذلك بسبب عصيان واليها الأمير منير الدولة الجيوشي على المستنصر بالله وعلى بدر الجمالي وتسليمه البلدة إلى تتش[4]، وكان أهل صور قد أنكروا على واليهم منير الدولة عصيانه هذا وخروجه عن طاعة الدولة الفاطمية خوفاً من سطوة بدر الجمالي[5]، ويتضح ذلك من نياتهم حيث إنه عندما أشتد القتال نادوا بشعار الخليفة المستنصر بالله ووزيره بدر الجمالي ولم يشاركوا بالقتال[6]، فقد هجم الجيش الفاطمي

---

[1]- قسيم الدولة أق سنقر صاحب حلب وبوزان صاحب الرها ولم تسعفنا المصادر بمعلومات عنهم، (انظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 477) .

[2] – هو السلطان ملكشاه جلال الدين والدولة أبو الفتح ابن السلطان أبي الشجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، أصبح ملك السلاجقة بعد وفاة أبيه السلطان ألب أرسلان في سنة 465هـ/1073م، وامتدت بلاده من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن، كانت دولته صارمة والطرقات آمنة، عمر البلاد وبنى القناطر وأسقط الضرائب وحفر القنوات وبنى المدارس وبنى كذلك جامع السلطان في بغداد، وحارب أخوه تتش، كان ملك شجاعاً، هماماً، جواداً، متواضعاً، كثير العدل حسن السيرة والوجه كريم الأخلاق، توفي بمرض الحمى وقيل إنه قد دس إليه السم في ليلة الجمعة الموافق الخامس من شهر شوال سنة 485هـ/1093م وعمره 37 سنة وخمسة أشهر، وكانت مدة حكمه تسعة عشر سنة وأشهر، ودفن في الشونيزي ولم يصلي عليه أحد لكتمان أمر وفاته، (انظر: الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 398، 436 ؛ أبو الفداء، المختصر،ج 2، ص 17 ؛ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 151).

[3] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 130؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج 3، ص 205 ؛ العوفي، العلاقات السياسية، ص 143 .

[4] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 124، النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 239 .

[5] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 124، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 146 .

[6] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 146 .

على البلدة دون أدنى مقاومة من أهلها، فنهبوا البلدة[1] وأسروا واليها منير الدولة الجيوشي وأتباعه، وحملوهم إلى مصر في الرابع عشر من شهر جمادى الأولى سنة 486هـ/1093م، وعندما وصلوا إلى القاهرة أمر بدر الجمالي بضرب أعناقهم جميعا ولم يَعفُ عن واحدٍ منهم، وغرم على أهل صور ستين ألف دينار كانت مجحفة لهم وأخذت جل أموالهم[2].

2.5 تأثيره في أوضاع الدولة الفاطمية السياسية بعد وفاته :

بعد أن تحكم بدر الجمالي في الدولة الفاطمية تحكم الملوك أصبح الوزراء الذين أتوا بعده في أيديهم السلطة الفعلية ويتدخلون في أختيار الخلفاء[3]، فعندما توفي المستنصر بالله عمل الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن بدر الجمالي على إبعاد الأمير أبو المنصور نزار عن الخلافة[4]وأخذ البيعة لأخيه المستعلي في الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة 487هـ/1094م[5]، وكان المستنصر بالله قد اختار لولاية عهده ابنه نزار ففي سنة 479هـ/1086م[6] قدم الحسن بن الصباح[7] إلى المستنصر بالله

---

[1] – أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 19، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 146 .

[2] – ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 124 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 51 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 146 .

[3] – للاطلاع على أسماء وزراء الدولة الفاطمية بعد بدر الجمالي اللذين أسهموا في تعيين الخلفاء، (انظر : إبراهيم رزق، التاريخ الفاطمي، ص 114).

[4] – المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 228 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 4 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج 3، ص 197 ؛ سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 154 – 160.

[5] – الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 443 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 4 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج 3، ص 197 ؛ سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 154 – 160.

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 47 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 143 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج 3، ص 197 ؛ سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 154 – 160.

[7] – وهو الحسن بن الصباح الإسماعيلي، رئيس الطائفة الباطنية من المذهب الإسماعيلي، كان كاتبا عند الرئيس عبد الرزاق بن براهم في مدينة الري، (انظر : ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 80 ؛ ابن وأصل، مفرج الكروب، ج 1، ص 208 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 143) .

في زي تاجر[1]، وسأل المستنصر بالله عن المذهب الإسماعيلي فأجابه عنه بشكل موثق بخط يده[2]، وكان الحسن بن الصباح قد سأل المستنصر بالله من أمامي بعدك فقال له ابني نزار الذي كان أكبر أولاده[3]، وتكفل الحسن بن الصباح له بإقامة الدعوة للمستنصر بالله في بلاد خراسان وبلاد المشرق[4]، فأمده المستنصر بالله بالمال الذي يحتاجه[5]، فمضى الحسن بن الصباح إلى بلاد العجم وأقام الدعوة الفاطمية هناك ودعا الناس له في السر ثم أظهر الدعوة أبان حكم السلطان السلجوقي ملكشاه وأخذ يبث الرسل والدعاة إلى جميع أنحاء البلاد[6].

ورفض نزار وعبد الله وإسماعيل مبايعة أخيهم المستعلي، وقال نزار عندي كتاب من المستنصر بالله بولاية العهد لي، واختفى حتى ظهر في الإسكندرية، وأعلن الخلافة ولقب نفسه الإمام المصطفى لدين الله، وكان آنذاك أفتكين التركي والياً على الإسكندرية من قبل بدر الجمالي فجعله نزار وزيراً له ولقبه بناصر الدولة، فخرج إليهم الأفضل في سنة 488هـ/1095م وجرت بينهم حروب أدت إلى انتصار الأفضل وقتل جميع من كان مع نزار[7]، ولم تخمد الثورة بعد مقتل نزار بل ظهر فريق يتشيع له في مصر وبعض بلاد فارس[8]، حيث لم يعترف الحسن بن

---

[1]- ابن ميسر، المنتقى، ص 47 ؛ ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 80؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 143 ؛ سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 154 – 160.

[2]- ابن ميسر، المنتقى، ص 48 ؛ ابن وأصل، مفرج الكروب، ج 1، ص 208 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 143 ؛ سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 154 – 160.

[3] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 497 ؛ ابن ميسر، المنتقى، ص 47 ؛ ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 80 ؛ العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص 112 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 143 .

[4] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 497 ؛ ابن وأصل، مفرج الكروب، ج 1، ص 208 ؛ العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص 112، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 143 ؛ سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 154 – 160.

[5] – ابن ميسر، المنتقى، ص 47، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 143 .

[6] – ابن ميسر، المنتقى، ص 48 ؛ العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص 112 .

[7] – ابن وأصل، مفرج الكروب، ج 1، ص 208 ؛ الدواداري، كنز الدرر، ج 6، ص 443 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج 2، ص 228 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 4 .

[8] – ابن وأصل، مفرج الكروب، ج 1، ص 208 ؛ سرور، تاريخ الدولة، ص 105 .

الصباح بخلافة المستعلي وأقام الدعوة لنزار[1]، فأنقسمت الإسماعيلية إلى فرقتين فرقة تعترف بإمامة المستعلي سميت بالمستعلية وفرقة تطعن في إمامة المستعلي وتعترف بإمامة نزار فسميت بالنزارية[2].

3.5 الخاتمة:

لقد كانت البداية الأولى لعصر المستنصر بالله زاهية ناضرة بفضل الوزير القوي أبي القاسم علي بن أحمد الجرجرائي، وكان قد سبق له أن عمل وزيرًا في عهد الحاكم بأمر الله وأبنه الظاهر، وأكسبته هذه السنوات خبرة واسعة ودراية بشؤون الحكم، فسيطر على الدولة سيطرة تامة وأحسن سياستها وتوجيه شؤونها حتى توفي في سنة 436هـ / 1045م بعد وزارة دامت ثمانية عشر عامًا تركت أثرًا طيبًا في تاريخ الدولة، وقد زار مصر الرحالة الفارسي ناصر خسرو عقب وفاة الجرجرائي، فأشاد برخاء مصر وأمنها، ووصف نظمها ومدنها وغناها وثروتها وحضارتها وصف المعجب بما رأى وشاهد.

وامتد سلطان الخلافة ليشمل بلاد الشام وفلسطين والحجاز وصقلية، وشمال إفريقيا، وتردد أسم الخليفة على المنابر في هذه البلاد، وتطلع إلى بغداد حاضرة الخلافة العباسية السُّنّية ليضمها إلى سلطانه، فنجح في استمالة أبي الحارث أرسلان البساسيري أحد قادة العباسيين، ومدّه بالأموال والذخائر، فثار على الخليفة العباسي واستولى على بغداد، وأقام الخطبة بها للمستنصر بالله الفاطمي العباسي لمدة عام وذلك في سنة 450هـ / 1058م غير أن حركة البساسيري هذه لم تستمر، ولم تعززها الدولة الفاطمية مع أنهم كانوا ينتظرون هذه الفرصة، وفي الوقت نفسه كانت قوة السلاجقة قد بدأت في الظهور، فقدم طغرلبك إلى بغداد، وأنهى حركة البساسيري، وأعاد الخليفة العباسي إلى منصبه.

---

[1] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 497 ؛ ابن وأصل، مفرج الكروب، ج 1، ص 208، 209 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 143 .

[2] – ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص 81 ؛ ابن وأصل، مفرج الكروب، ج 1، ص 209 ؛ إبراهيم رزق، التاريخ الفاطمي، ص 114 ؛ تامر، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ج3، ص197 ؛ سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 154 – 160.

وبعد وفاة الوزير القوي أبي القاسم الجرجرائي بدأت أمّ الخليفة المستنصر بالله تتدخل في شؤون الدولة وصار لها الكلمة الأولى في تعيين الوزراء والإشراف على تصرفاتهم، وأصبحت الدولة في يد أعوانها ويخاطبها الرجال في حضرة ابنها الخليفة بمولاتهم، ويشار إليها بالجهة الجليلة والستر الرفيع .

وأسفر تدخلها في شؤون الحكم عن إذكاء نار العداوة والفتنة بين طوائف الجيش، فاشتعلت المنازعات والمعارك بينهم، ولم تجد أمّ الخليفة وزيراً قوياً بعد عزل أبي محمد اليازوري سنة 450 هـ / 1058م من يمسك بزمام الأمور ويسوس الجند، وهو ما جعل أحوال البلاد تسوء بسرعة وتعمها الفوضى والاضطراب ويحل بها الخراب .

ولم يكن أمام الخليفة المستنصر بالله للخروج من هذه الأزمة العاتية سوى الاستعانة بقوة عسكرية قادرة على فرض النظام، وإعادة الهدوء والاستقرار إلى الدولة التي مزقتها الفتن وثورات الجند، وإنهاء حالة الفوضى التي عمت البلاد، فاتصل ببدر الجمالي واليه على عكا، وطلب منه القدوم لإصلاح حال البلاد، فأجابه إلى ذلك، واشترط عليه ألا يأتي إلا ومعه رجاله، فوافق الخليفة على شرطه .

وما إن حل بدر الجمالي بمدينة القاهرة حتى تخلص من قادة الفتنة ودعاة الثورة، وبدأ في إعادة النظام إلى القاهرة وفرض الأمن والسكينة في ربوعها، وأمتدت يده إلى بقية أقاليم مصر فأعاد إليها الهدوء والأستقرار، وضرب على يد العابثين والخارجين، وبسط نفوذ الخليفة في جميع أرجاء البلاد.

وفي الوقت نفسه عمل على تنظيم شؤون الدولة وإنعاش اقتصادها، فشجع الفلاحين على الزراعة برفع جميع الأعباء المالية عنهم، وأصلح لهم الترع والجسور، وأدى انتظام النظام الزراعي إلى كثرة الحبوب وتراجع الأسعار، وكان لاستتباب الأمن دور في تنشيط حركة التجارة في مصر، وتوافد التجار عليها من كل مكان .

كما اتجه بدر الجمالي إلى تعمير القاهرة واصلاح ما تهدم منها، فأعاد بناء أسوار القاهرة وبنى بها ثلاثة أبواب تعد من أروع آثار الفاطميين الباقية إلى الآن وهي باب الفتوح وباب النصر وباب زويلة، وشيد مساجد كثيرة منها جامع العطارين بالإسكندرية.

ولم يكن للوزير بدر الجمالي أن يقوم بهذه الإصلاحات المالية والإدارية دون أن يكون مطلق اليد، مفوضاً من الخليفة المستنصر بالله، حيث استبد بدر الجمالي بالأمر دون الخليفة، وأصبحت الأمور كلها في قبضة الوزير القوي، الذي بدأ عصراً جديداً في تاريخ الدولة الفاطمية في مصر، تحكم فيه الوزراء أرباب السيوف، وهو ما اصطلح عليه بعصر نفوذ الوزراء، وقد بلغت سطوة بدر الجمالي أن عهد بالوزارة لابنه الأفضل الذي كان يشاركه في أعمال الوزارة فلما توفي بدر في سنة 487هـ / 1094م خلفه ابنه في الوزارة، وأقره الخليفة على منصبه، ثم لم يلبث أن توفي المستنصر بالله بعد ذلك بشهور في الثامن عشر من ذي الحجة سنة 487هـ / 1094م عن عمر يناهز سبعة وستين عامًا، وبعد حكم دام نحو ستين عامًا.

المراجع

ابن الصيرفي، أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب (ت542هـ / 1147م). 1990م. **القانون في ديوان الرسائل** ، تحقيق أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة.

إبراهيم، سنوسي يوسف. 1986م. **زناته والخلافة الفاطمية**، طبع مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس، ط1.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، (ت 630هـ /1233م). 1987م. **الكامل في التاريخ**، 10 أجزاء، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1200م). 1995م. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، (د.ط)، القاهرة.

ابن الصيرفي، أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب (ت542هـ / 1147م). 1924م. **الإشارة إلى من نال الوزارة**، تحقيق عبد الله مخلص، المعهد العلمي الفرنسي، (د.ط)، القاهرة.

ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت617هـ/ 1220م). 1992م. **نزهة المقلتين في أخبار الدولتين**، أعاد بناءه وحققه وقدم له أيمن فؤاد سيد، دار النشر فرانتس شتايز، شتوتغارد.

ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت 685هـ/ 1286م). (د.ت). **تاريخ مختصر الدول**، دار الميسرة، (د.ط)، بيروت.

ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد (ت 660هـ /1261م). 1951م. **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، 3 أجزاء، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، (د.ط)، دمشق.

ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بـن أحمـد (ت 660هـ /1261م). 1988م. **بغية الطلب في تاريخ حلب**، 11 جزءاً، تحقيق سهيل زكـار، (د.ط)، دمشق.

ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحـي بـن أحمـد بـن محمـد (ت1089هـ /1678م). (د.ت). **شذرات الذهب في أخبار من ذهـب**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، (د.ط)، بيروت.

ابن القلانسي، أبو يعلى حمزه بن أسد (ت 555هـ /1160م). 1908م. **ذيل تاريخ دمشق**، (د.ط)، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت.

ابن المأمون البطائحي، جمال الدين أبو علـي موسـى (ت 488هـ/1195م). 1983م. **نصوص من أخبار مصر**، تحقيق أيمن فـؤاد سـيد، المعهـد الفرنسي للآثار الشرقية، (د.ط)، القاهرة.

ابن الوردي، عمر بن المظفر، (ت 749هـ / 1348م). 1969م. **تـاريخ ابـن الوردي**، المطبعة الحيدرية، ط2، النجف.

ابن أياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت 930هـ/ 1523م). 1975م. **بدائع الزهـور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، فرانس شتاينر فيسبادن، ط2، القاهرة.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسـن الأتابكـي (ت 874هـ/1469م). 1992م. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت – لبنان.

ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت 852 هـ /1448م). 1998م. **رفع الاصر عن قضاة مصر**، تحقيق علي محمد عمـر، نـشر مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة .

ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن أحمـد الأندلـسي (ت 456هـ/1063م). 1962م. **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هـارون، دار المعارف، مصر.

ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـ/1405م). 1992م. **تاريخ ابن خلدون،** المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العالمية، ط1، بيروت.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (681هـ /1282م). 1997م. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،** 3 أجزاء، تحقيق محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت – لبنان.

ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي (ت 809هـ /1406م). (د.ت). **الانتصار لوساطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها،** تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، القسم الأول،منشورات دار الأفاق الجديدة، (د.ط)، بيروت.

ابن سعيد، عبد الملك بن سعيد (ت 685هـ / 1286م). 1970م. **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة،** القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المُغرب في حُلى المغرب تحقيق حسين نصار، دار الكتب، (د.ط)، القاهرة.

ابن شداد، عز الدين أبو عبد محمد بن علي الحلبي (ت 684هـ/1285م). 1962م. **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة،** ثلاثة اجزاء، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، (د.ط)، دمشق.

ابن ظافر الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور بن ظافر بن حسين (ت613هـ /1216م). 1999م. **أخبار الدول المنقطعة،** تحقيق عصام هزايمه وأخرون، مؤسسة حماده ودار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، إربد.

ابن ظهير، توفي في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي. 1969م. **الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة،** تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، دار الكتب، (د.ط)، القاهرة.

ابن عساكر، الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت571هـ /1175م). 1995م.**تاريخ مدينة دمشق**، 50جزءاً، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت 774هـ/1373م). 1987م. **البداية والنهاية**، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت.

ابن ميسر، تاج الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف بن جلب بن غيسان (ت677هـ /1278م). 1981م. **المنتقى من أخبار مصر**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (د.ط)، القاهرة.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم ت 697 هـ/1297م. (د.ت). **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، ج 1، تحقيق جمال الدين الشيال، (د.ط).

أبو الفداء، أسماعيل بن علي بن محمود ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت732هـ /1332م). 1997م. **تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر**، ط1، تحقيق محمود أيوب، دار الكتب العلمية، بيروت.

أحمد، حسن خضيري، **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362 – 567 هـ / 973 – 1171 م)**. (د .ت). نشر مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة.

إدريس ، محمد محمود، 1986م. **تاريخ الحضارة الإسلامية في مصر العصر الفاطمي**، نشر مكتبة نهضة الشرق، (د.ط)، القاهرة.

الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت 458هـ/1065م). 1980م. **تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا**، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت.

أيوب ، إبراهيم رزق الله. 1997م. **التاريخ الفاطمي السياسي**، الشركة العالمية للكتاب، ط1، بيروت.

البغدادي، عبد اللطيف (ت 629هـ/1231م). (د.ت). **الأفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر**، تحقيق علي محسن عيسى مالله، دار الحكمة، (د.ط)، بغداد.

تامر، عارف. 1980م. **المستنصر بالله** ، طباعة دار الجيل ، ط 1، بيروت.

تامر، عارف. 1991م. **تاريخ الدولة الإسماعيلية**، ج3، مطبعة رياض الريس للكتب والنشر، ط1، لندن.

حسن، حسن إبراهيم. (د، ت). **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي في العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس (232-447 هـ / 847-1055م)**، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، بيروت.

حسن، حسن إبراهيم. 1958م. **تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريه وبلاد العرب**، (د.ط)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

خليفات، عوض محمد. 1983م. **مملكة ربيعة العربية في وادي النيل (القرن 3-9هـ)**، نشر الجامعة الأردنية، ط1، عمان.

الدوداري، أبو بكر عبد الله بن أيبك، (ت 736هـ /1335م). 1961م. **كنز الدرر وجامع الغرر** (الجزء السادس المعروف بالدرر المضية في أخبار الدولة الفاطمية)، تحقيق صلاح الدين المنجد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.ط)، القاهرة.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ /1347م). 1985م. **العبر في خبر من غبر**، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ /1347م). (د.ت). **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأخرون، طباعة وتوزيع مؤسسة الرسالة، ط 1.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ /1347م). (د.ت). **كتاب دول الإسلام**، جزءآن، تحقيق عبد الله الأنصاري، دار إحياء التراث الإسلامي، (د.ط)، قطر

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ /1347م). 1994م. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر أبو يوسف قزاوغلي (ت654هـ /1257م). 1990م. **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (حوادث 345-447هـ)**، تحقيق جنان جليل الهومندي، الدار الوطنية، (د.ط)، بغداد.

سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر أبو يوسف قزاوغلي (ت654هـ /1257م). 1968م. مرآة **الزمان في تاريخ الأعيان (حوادث 448-480هـ)**، تحقيق علي سويم، مطبعة الجمعية التاريخية التركية، (د.ط)، أنقره.

سرور، محمد جمال الدين. (د.ت). **تاريخ الدولة الفاطمية** ، مطبعة دار الفكر العربي، (د.ط).

سرور، محمد جمال الدين. 1957م. **النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس الهجري** ، مطبعة دار الفكر العربي، (د.ط)، القاهرة.

سلطان، عبد المنعم عبد الحميد، 1997م. **الأسواق في العصر الفاطمي دراسة وثائقية (358- 567هـ / 969 - 1171م)**، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، الإسكندرية.

سيد، أيمن فؤاد. 1992م. **الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة.

سيد، أيمن فؤاد. 1998م. رواد الدراسات التاريخية في العصور الوسطى والإسلامية، **المجلة التاريخية المصرية**، المجلد التاسع والثلاثين، مطبعة الدار العربية للكتاب، القاهرة.

سيمينوفا .ل.أ. 2001م. **تاريخ مصر الفاطمية (أبحاث ودراسات)**، ترجمة وتحقيق حسن بيومي، طباعة المجلس الأعلى للثقافة، (د.ط).

السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت911هـ /1505م)، 1968م. **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، جزآن، تحقيق محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، ط1.

السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت911هـ /1505م). 1964م. **تاريخ الخلفاء**، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، مطبعة المدني، ط2، القاهرة.

شاكر، محمود. 1985م. **التاريخ الإسلامي – الدولة العباسية**، جزء 2، المكتب الإسلامي، ط1، بيروت.

الشهابي، قتيبه. 1995م. **معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية من العصر الراشدي حتى بدايات القرن العشرين**، منشورات وزارة الثقافة السورية، (د.ط)، دمشق.

صالح، محمد أمين. 1979م. العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية)، **المجلة التاريخية المصرية**، المجلد السادس والعشرون، مطبعة الجبلاوي، القاهرة.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ/ 1362م). (د.ت). **كتاب الوافي بالوفيات**، تحقيق جاكلين سوبله وعلي عماره، دار النشر فرانز شتايز، ط1، شتوتغارت.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ/ 1362م). 1992م. **تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب**، تحقيق أحسان

بنت سعيد الخلوصي وزهير حميدان الصمام، منشورات وزارة الثقافة السورية، دار إحياء التراث، (د.ط)، دمشق.

عاشور، سعيد عبد الفتاح. 1971م. صور من مجتمع القاهرة في العصور الوسطى، **المجلة التاريخية المصرية**، المجلد الثامن عشر، مطابع سجل العرب، القاهرة.

عبده ، عبد الله كامل موسى. 2001م. **الفاطميون وأثارهم المعمارية في أفريقيا ومصر واليمن** ، مطبعة دار الأفاق العربية ، (د.ط)، القاهرة.

عزام، عيسى محمود. 1997م. **الدولة الفاطمية في خلافة المستنصر بالله**، **رسالة** دكتوراه، إشراف فالح حسين، الجامعة الأردنية، غير منشور.

عزام، عيسى محمود، **بلاد الشام في العصر الفاطمي الأول (358-465هـ)**. 1992م. رسالة ماجستير، إشراف عبد الله العمري، الجامعة اليرموك، غير منشوره.

العماد الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت 597هـ /1200م). 2003م. **البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان**، تحقيق محمد الطعاني، مؤسسة حماده للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، (د.ط)، إربد.

عمايره، محمد عبد الله. 1999م. **الجيش الفاطمي 297-567هـ /909-1171م**، رسالة دكتوراه، إشراف محمد عبده الحتامله، الجامعة الأردنية،غير منشوره.

العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت 749هـ /1348م). 2003م. **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر، 24 دولة الحسنيين والحسينيين والدولة العباسية والأموية بالشام والأندلس**، تحقيق يحيى الجبوري، المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي-الإمارات العربية.

عنان، محمد عبد الله. 1969م. **مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (ط1)، القاهرة.

العوايشه، محمد. 2005م. معالم أثريه متنوعة تقف شاهداً على عظمة الفن المعماري العربي الإسلامي، **جريدة الرأي**، الملحق الثقافي، عدد 12660، 2005/5/20م.

عوفي، محمد سالم بن شديد. 1982م. **العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي 447-567 هـ /1055-1171م**، ط1.

القرشي، أدريس عماد الدين (ت 872هـ/1467م). (د.ت). **عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار**، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس، (د.ط)، بيروت.

القلقشندي، شهاب الدين بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الشافعي (ت821هـ / 1418م). 1978م. **صبح الأعشى في صناعة الأنشاء**، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

القلقشندي، شهاب الدين بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الشافعي (ت821هـ / 1418م). 1959م. **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأنباري، الشركة العربية للطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة.

كحلاوي، محمد محمد. 1994م. آثار **مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسين**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت450هـ / 1058م)، 1985م. **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، دار الكتب العلمية، بيروت.

المحاسنه، محمد حسين. 1997م. الشدة العظمى وأثرها في مصر في خلافة المستنصر بالله الفاطمي)، **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الثاني عشر، العدد الأول،جامعة مؤتة - الأردن تشرين أول.

المخزومي، أبو الحسن علي بن عثمان (ت 585هـ/1189م). (د.ت). **المنهاج في علم خراج مصر**، مخطوط مصور لدى الأستاذ الدكتور فالح حسين/قسم التاريخ/الجامعة الأردنية.

المسبحي، محمد بن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز (ت 420هـ / 1029م). 1954م. السجلات المستنصرية، **سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله**، تحقيق عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي، (د.ط)، القاهرة.

المسبحي، محمد بن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز (ت 420هـ / 1029م). 1980م. **أخبار مصر في سنتين (414-415هـ)**، تحقيق وليم.ج.مليورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة.

المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت 390هـ/999م). 1967م. **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط2، ليدن، بريل.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر البعلي العبيدي (ت845هـ / 1441م). 2001م. **اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، جزءان، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر البعلي العبيدي (ت845هـ / 1441م). 1957م. **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.ط)، القاهرة.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر البعلي العبيدي (ت845هـ / 1441م). 1989م. **البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب**، تحقيق عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، الإسكندرية.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر البعلي العبيدي (ت845هـ / 1441م). 1991م. **المقفى الكبير**، تحقيق محمد اليعلاوي، 8 أجزاء، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر البعلي العبيدي (ت845هـ / 1441م). 1998م. **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، 4 أجزاء، تحقيق خليل منصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت.

المناوي، محمد حمدي، (د.ت). **الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي**، مطبعة دار المعارف بمصر ، (د.ط)، القاهرة.

ناصر خسرو، أبو معين الدين القباديانی المروزي (ت 481هـ /1088م). 1983م.**سفرنامه**، (د.ت)، ترجمة أحمد خالد البدلي، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض. (د.ط).

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 732هـ /1332م). 1992م. **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج 28، تحقيق محمد أمين ومحمد حلمي محمد، مركز تحقيق التراث، (د.ط)، القاهرة.

هنتس، فالتر. 1970م. **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت626هـ /1228م)، 1984م. **معجم البلدان**، 5أجزاء، دار صادر، (د.ط)، بيروت.

اليماني، تاج الدين عبد الباقي بن عبدالمجيد (ت743هـ / 1343م). 1965م. **تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، تحقيق مصطفى حجازي،(د.ط).

ملحق (أ)

أسماء الخلفاء الفاطميون في مصر وفترة حكمهم

ملحق (أ)

أسماء الخلفاء الفاطميون في مصر وفترة حكمهم

1. المعز لدين الله — 348 – 365 هـ / 959 –976 م .
2. العزيز بالله — 365 – 386 هـ / 976 – 996 م .
3. الحاكم لأمر الله — 386 – 411 هـ / 996 – 1020 م .
4. الظاهر لإعزاز دين الله — 411 – 427 هـ / 1020 – 1035 م.
5. المستنصر بالله — 427 – 487 هـ / 1035 – 1094 م.
6. المستعلي بالله — 487 – 495 هـ / 1094 – 1102 م .
7. الآمر بأحكام الله — 495 – 524 هـ / 1102 – 1130 م.
8. الحافظ لدين الله — 524 – 544 هـ / 1130 – 1149 م.
9. الظافر بالله — 445 – 549 هـ / 1149 – 1154 م .
10. الفائز بنصر الله — 549 – 555 هـ / 1154 – 1160 م.
11. العاضد لدين الله — 555 – 567 هـ / 1160 – 1172 م.

ملحق (ب)

ترتيب الوزراء في عهد المستنصر بالله قبل تولي بدر الجمالي الوزارة

ملحق (ب)

ترتيب الوزراء في عهد المستنصر بالله قبل تولي بدر الجمالي الوزارة [1]

الاسم	مدة حكم كل منهم	الدين والمذهب
- علي بن احمد الجرجرائي / مستمر من عهد الخليفة الظاهر 12 ذو الحجة 418 هـ - 6 رمضان 436 هـ	17 سنة و 8 أشهر وأيام	مسلم / إسماعيلي
صدقة بن يوسف الفلاحي 11 رمضان 436 هـ - 10 رمضان 439 هـ	ثلاث سنوات	يهودي اسلم / إسماعيلي
الحسين بن عماد الدولة الجرجرائي 439 هـ - منتصف شوال 441 هـ	حوالي سنتان	مسلم / إسماعيلي
صاعد بن مسعود شوال 441 هـ - 6 محرم 442 هـ	حوالي 3 أشهر	لم تذكر المصادر ديانته
الحسن بن علي اليازوري 7 محرم 442 هـ - أول محرم 450 هـ	حوالي ثمان سنوات	مسلم / سني
عبدالله بن محمد البابلي (أولى) محرم 450 هـ - ربيع الأول 450 هـ	حوالي 3 أشهر	مسلم / أمّ تذكر المصادر مذهبه
محمد بن جعفر بن محمد المغربي 25 ربيع الآخر 450 هـ - 9 رمضان 452 هـ	سنتان و 4 أشهر وأيام	مسلم / لم تذكر المصادر مذهبه
عبدالله بن محمد البابلي (ثانية) 9 رمضان 452 هـ - 3 محرم 453 هـ	حوالي 4 أشهر	
عبدالله بن يحيى بن المدبر (أولى) 3 محرم 453هـ - رمضان 453 هـ	حوالي 9 أشهر	مسلم / لم تذكر المصادر مذهبه
عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي رمضان 453 هـ - 3 محرم 454 هـ	حوالي 3 أشهر	مسلم / إسماعيلي
أحمد بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي 3 محرم 454 هـ - ربيع الأول 454 هـ	17 يوما	مسلم / إسماعيلي

[1] - أبن ميسر ، المنتقى ، ص 55 ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج 28 ،ص 241، 242 ؛ المقريزي، اتعاظ ، ج 1 ، ص 150، 151 .

الحسين بن علي العقيلي ربيع الأول 454 هـ - شوال 454 هـ	حوالي 8 أشهر	مسلم /لم تذكر المصادر فيه
عبد الله بن محمد البابلي (ثالثة) ربيع الأول 454هـ - محرم 455 هـ	خمسة أشهر	
أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم الفارقي (أولى) 13 محرم 455 هـ - 7 صفر 455 هـ	24 يوم	مسلم / إسماعيلي
عبد الله بن يحيى بن المدبر (ثانية) ربيع الأول 455 هـ - 19 جمادى الأولى 455 هـ	3 أشهر وأيام	-
عبد الظاهر بن الفضل بن الموفق المعروف بابن العجمي (أولى) 19 جمادى الأولى 455 هـ - 27 شعبان 455 هـ	3 أشهر وأيام	مسلم / إسماعيلي
الحسن بن مجلي بن أبي كدينة (أولى) 27 شعبان 455 هـ - 5 ذو الحجة 455 هـ	3 أشهر وأيام	مسلم / لم تذكر المصادر ومذهبه
أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم الفارقي (ثانية) 5 ذو الحجة 455 هـ - 23 محرم 456 هـ	43 يوم	-
الحسين بن عماد الدولة الجرجرائي (ثانية) رجب 456 هـ - أواخر رمضان 456 هـ	حوالي 3 أشهر	-
ابن أبي كدينة (ثانية) رمضان 456 هـ - 4 ذو الحجة 456 هـ	حوالي 3 أشهر	-
الحسن بن إبراهيم بن سهل التستري 4 ذو الحجة 456 هـ - منتصف محرم 457 هـ	شهر وأيام	يهودي وأسلم / إسماعيلي
محمد بن علي بن خلف (أولى) 16 محرم 457هـ - 17 محرم 457 هـ	يوم واحد	مسلم / إسماعيلي
أبن أبي كدينة (ثالثة) 21 محرم 457 هـ - 26 محرم 457 هـ	خمسة أيام	-
محمد بن علي بن خلف (ثانية) 26 محرم 457هـ - منتصف ربيع الأول 457 هـ	أقل من شهرين	-

هبة الله بن محمد الرعياني الرحبي منتصف ربيع الأول 457 هـ - آخر ربيع الأول 457 هـ	حوالي 15 يوم	مسلم / لم تذكر المصادر مذهبه
ابن أبي كدينة (رابعة) آخر ربيع الأول 457 هـ - منتصف رجب 457 هـ	حوالي 4 أشهر	-
أبو الحسن علي بن الأنباري ذو القعدة 457 هـ - ذو الحجة 457 هـ	حوالي شهر	مسلم / لم تذكر المصادر مذهبه
ابن أبي كدينة (خامسة) ذو الحجة 457 هـ - 26 صفر 458 هـ	شهران وأيام	-
هبة الله بن محمد الرعياني (ثانية) 9 ربيع الآخر 458 هـ - 16 ربيع الآخر 458 هـ	سبعة أيام	-
أحمد بن عبد الكريم الفاروقي (ثالثة) 4 جمادى الآخرة 458 هـ - جمادى الآخرة 458 هـ	أقل من شهر	-
الحسن بن علي بن محمد الماشلي 458 هـ - 458 هـ	أيام	مسلم / لم تذكر المصادر مذهبه
محمد بن علي بن خلف (ثالثة) 458 هـ - 458هـ	أيام	-
طاهر بن وزير 458 هـ - 458 هـ	أيام	مسلم / لم تذكر المصادر مذهبه
محمد بن أبي حامد التنيسي 458 هـ - 458 هـ	يوم واحد	مسلم / لم تذكر المصادر مذهبه
منصور بن زنبور 458 هـ - 458 هـ	أيام	نصراني وأسلم / اسماعيلي
عبد الغني بن نصر بن سعيد الضيف 458هـ - 458 هـ	أيام	مسلم / لم تذكر المصادر مذهبه
ابن أبي كدينة (سادسة) 459 هـ - 8 محرم 459 هـ	ثمانية أيام	-
عبد الحاكم المليجي (أولى) 8 محرم 459 هـ - 7 جمادى الآخرة 459 هـ	5 أشهر	مسلم / لم تذكر المصادر مذهبه

ابن أبي كدينة (سابعة) 459 هـ - 459هـ	أيام	-
عبد الحاكم المليجي (ثانية) 459 هـ - 459 هـ	أيام	-
ابن أبي كدينة (ثامنة) 459 هـ - 28 ذو القعدة 459 هـ	مدة يسيرة	-
أحمد بن عبد الكريم الفارقي (رابعة) 28 ذو القعدة 459 هـ - 460 هـ	مدة يسيرة	-
ابن أبي كدينة (ثامنة) محرم 460 هـ - صفر 460هـ	حوالي شهر	-
المليجي (ثالثة) 460 هـ -460 هـ	مدة يسيرة	-
ابن أبي كدينة (عاشرة) ربيع الأول 460هـ - جمادى الأولى 460 هـ	حوالي 3 أشهر	-
أحمد بن عبد الكريم الفارقي (خامسة) جمادى الأولى 460هـ - 10 ذو الحجة 460 هـ	7 أشهر وأيام	-
ابن أبي كدينة (حادي عشرة) 10 ذو الحجة 460 هـ - 23 صفر 461 هـ	شهران وأيام	-
خطير الملك محمد بن اليازوري صفر 461 هـ - 461 هـ	مدة يسيرة	مسالم / على الأرجح إنه سني كأبيه
محمد بن جعفر المغربي (ثانية) 461 هـ - رمضان 461 هـ	مدة يسيرة	-
أحمد بن عبد الكريم الفارقي (سادسة) رمضان 461 هـ - رمضان 461 هـ	أقل من شهر	-
خطير الملك محمد بن اليازوري (ثانية) رمضان 461 هـ - شوال 461 هـ	حوالي شهر	-
ابن أبي كدينة (ثاني عشرة) شوال 461 هـ - ذو القعدة 461 هـ	حوالي شهر	-

المليجي (رابعة) ذو القعدة 461 هـ - ذو القعدة 461 هـ	أيام	–
ابن ابي كدينة (ثالثة عشر) ربيع الاول 464هـ ـ أواخر ربيع الاول 464هـ	أيام	–
عبد الظاهر بن الفضل بن العجمي (ثانيه) 465هـ ـ 465 هـ	مده يسيرة	–
ابن ابي كدينة (رابعة عشر) ربيع الاول 466 هـ ـ جمادى الاولى 466هـ	أقل من ثلاث أشهر	–